# عدي بن الرقاع العاملي

## حياته وشعره

الدكتور

زكريا عبد المجيد النوتي

المدرس بجامعتي الأزهر وأم القري

الطبعة الأولى

مطبعة الحسين الإسلامية

٢٥ ح المدرسة خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٠٦٧٢٤

# مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد :

فحين كنت أعد رسالتى للدكتوراه فى شعر قبيلة بنى سليم، وبينما أقلب فى بطون الكتب والمعاجم عن شعر القبيلة – لفت نظرى هذا الشعر الكثير الوارد فى معظم المصادر منسوبا إلى الشاعر الأموى « عدى بن الرقاع العاملى » .

وعقدت العزم على أن يكون أول بحث لى بعد إنجاز رسالتى هو القيام بجمع شعر عدى وتحقيقه وإعداد دراسة حوله .

وما أن فرغت من رسالتى حتى أهديت إلى نسخة من ديوان « عدى » بشرح ثعلب، قام بتحقيقه الدكتور نورى القيسى والدكتور حاتم الضامن، مطبوع فى العراق .

ثم وقعت على نسخة أخرى لشعر عدى مجموعا، قام بجمعه الدكتور الشريف عبد الله الحسينى البركاتى وطبع فى السعودية .

ونسخة ثالثة جمع فيها الدكتور حسن محمد نور الدين شعر عدى، وطبع فى بيروت .

ومن هنا تحولت الرغبة إلى دراسة شعر الشاعر، إذ إنه لم يدرس دراسة مستقلة، بل ولا ضمن الدراسات حول الشعر الأموى .

وكم من شاعر جنى عليه المشهورون من الفحول كمعاصرى المتنبى، ومعاصرى جرير والفرزدق والأخطل. ذلك أن الدراسات الأدبية تسلك الطرق المعبدة وتتجنب الحزن والوعر.. وها هو عدى بن الرقاع: شاعر أهل الشام، صاحب الحظوة لدى الوليد بن عبد الملك كان من المتوقع أن يدرس بوصفه الأول، أو لكونه أحد شعراء البلاط الأموى.. إلا أن ذلك لم يحدث.. اللهم إلا وقفة من الدكتور الكفراوى - فى صفحات - مع شعره.

ولعل السبب فى ذلك هو عدم وجود ديوان لعدى. وكان ذلك هو حافزى وسبب اهتمامى بالموضوع، فهو بحث جديد من هذا الجانب.

وقد برزت أمامى عدة أسئلة كان لابد من الإجابة عليها:

وأولها: سر إيثار الوليد بن عبد الملك عديا على الفحول الثلاثة، جرير والفرزدق والأخطل.. ومن هنا عقدت فصلا خاصا للإجابة عنه.

ثم أين موقع عدى بين شعراء عصره، ومدرسته الشعرية.. وغير ذلك من أسئلة أجاب عنها البحث.

وإنى لأرجو أن أكون وفقت فى ذلك، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

**دكتور زكريا النوتي**

**الطائف في ٥ / ٧ / ١٩٩٤**

الباب الأول

# حياة الشاعـر

## ١ - القبيلة

قبيلة «عاملة» حي من كهلان من القحطانية، وهم ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

نسبوا إلى أمهم «عاملة» بنت مالك بن وديعة بن قضاعة، وهم حي متسع، خرجوا من اليمن عند سيل العرم إلى الشام، وأقاموا فى جبل يعرف بـ«جبل عاملة». وكان لهم صنم في مشارف الشام، يقال له «الأقيصر»، كانوا يحجون إليه ويحلقون رءوسهم عنده[١].

وقيل: «عاملة» هو: الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد... إلخ. وأم ولده: عاملة بنت وديعة.

وقال ابن حبيب:

ومن السكاسك عاملة، بها يعرف بنوها. وابناها: الزهد ومعاوية ابنا الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة.

---

(١) راجع: تاريخ ابن خلدون ٢/٢٥٧، الإنباه على قبائل الرواة ١٠٣، جمهرة أنساب العرب ٣٩٤، ٣٩٥، نهاية الأرب للقلقشندى ٣٣٢ وما بعدها، الاشتقاق لابن دريد ٢٢٥، صبح الأعشى ١/٣٣٥، ٣٣٦، تاريخ الطبرى ٤/١٣٦، صفة جزيرة العرب ١٢٩-١٣٢، معجم البلدان ١/٣٤٠، معجم قبائل العرب / كحالة ٢/٧١٤.

وقال الهمداني :

وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية نحو البحر[٢] .

❐ ❐ ❐

---

(٢) عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب / للحافظ أبى بكر الهمداني - تحقيق عبدالله كنون ص٨٧ ط ثانية - القاهرة ١٩٧٣، وصفة جزيرة العرب للهمداني ص٢٧٢ .

# ٢ - الشاعـــر

## اسمه ونسبه

هو[٣]: عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع بن عصر بن عك - أو عدة[٤] - بن شعل[٥] بن معاوية[٦] بن الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد[٧] بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وقيل: ابن يشجب بن يعرب بن قحطان.

والرقاع: هو جد جده.

---

(٣) ترجمته فى: جمهرة أنساب العرب/ ابن حزم ٣٠٠، طبقات ابن سلام ٢ / ٧٠٠، ٧٠١، الأغانى ٩ /٣٠٧، الاشتقاق لابن دريد ٢٢٥، المؤتلف والمختلف ١١٦، معجم الشعراء ٢٥٣، الشعر والشعراء ٢ /٦١٨، الإيناس بعلم الانساب ١٩٧، اللآلئ ٣٠٩، الكامل للمبرد ٢٢٦، تاج العروس/ عمل، العقد الفريد ٣ / ٣٥٠، كنى الشعراء/ ابن حبيب، الاعلام للزركلى ٤ / ٢٢١.

(٤) فى معجم الشعراء [عذرة]، وفي المؤتلف والمختلف [عرة].

(٥) فى معجم الشعراء [سعد].

(٦) قال ابن عبد ربه: عاملة هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد....، ولد الحارث الزهد ومعاوية، وأمهما: عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاعة، فنسبا إلى أمهما، ويقال: عاملة هو الحارث نفسه.

(٧) فى التعريف فى الانساب والتنويه لذوى الأحساب ص٢٥٦: [بن أدد بن عمرو بن عريب].

**كنيته :**

يكنى بـ « أبى داود »[٨]، أو « أبى دؤاد »[٩].

قال ابن حزم :

واليمانية كلها راجعة إلى ولد قحطان، ولا يصح ما بعد قحطان.

وقيل : شعل بن معاوية بن قاسط بن عميرة بن زيد بن الحاف بن قضاعة.

وقيل : إن معاوية بن قاسط دخل بنوه فى « عاملة »، فيقال : إن عدى ابن الرقاع الشاعر منهم.

وهكذا كان الخلاف فى نسب « عدى » بينا، وهذا مما أطمع فيه الشعراء وأغراهم به، إذ وجدوا فى ذلك فرصة للطعن فى نسبه، وأخذوا يهمزون ويغمزون.. فهذا « الراعى النميرى » يهجو عديا قائلا[١٠]:

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم        يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن ترضي دعاوتكم        وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

فهو يدعى أن « عديا » ضائع النسب، وأن القبائل ترفض انتساب عاملة فيها، فهو – أى عدى – ليس من أحد – كما يقول الراعى.

غير أن قضاعة لم تنكر انتساب عاملة فيها، وقد رد « عدى » على

---

(٨) كنى الشعراء ٢٩١.

(٩) معجم الشعراء ٢٥٣.

(١٠) الديوان ص ١٠، العمدة ٢/١٨٩، الحيوان ٤/٣٣٦.

« الراعى » قائلا(١١):

حدثت ان رويعى الإبل يشتمنى      والله يصرف أقواما عن الرشد

فإنك والشعر ذو تزجى قوافيه      كمبتغى الصيد فى عريسة الأسد

وقال الأزهرى(١٢):

« عاملة » قبيلة إليها ينسب « عدى بن الرقاع العاملى »، وعاملة حى من اليمن، وهو عاملة بن سبأ، وتزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط، قال الأعشى(١٣):

أعامل ! حتى متى تذهبين      إلى غير والدك الأكرم ؟

ووالدكم قاسط فارجعوا      إلى النسب الأتلد الأقدم

قال الزبيدى(١٤):

وشذ « ابن الأثير » حين جعل « عاملة » من العماليق، وقد رد عليه « أبو سعد » وغيره.

وقيل: إن لخما وجذام وعاملة هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان(١٥).

---

(١١) الديوان ص ١٧٥، ١٧٦.

(١٢) التهذيب واللسان : عمل.

(١٣) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ٣٣٣، تاج العروس (عمل).

(١٤) تاج العروس (عمل).

(١٥) جمهرة أنساب العرب ١١.

ويبدو أن هذا هو ما دفع «روح بن زنباع الجذامي»[١٦] إلى أن يطلب من «يزيد بن معاوية» أن يلحقه وقومه بإخوانهم معد .

يقول ابن سلام[١٧]:

وحدثني أبي سلام قال: قام «روح بن زنباع الجذامي» يوم الجمعة إلى «يزيد بن معاوية» حين فصل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا بإخوتنا، فإنا قوم معديون، والله ما نحن من قصب ولا غاف - شجر اليمن - فألحقنا بإخوتنا، فقال يزيد: إن أجمع على ذلك قومك فنحن جاعلوك حيث شئت، فبلغت الدعوى «عدى بن الرقاع» فقال[١٨]:

إنا رضينا وإن غابت جماعتنا ما قال سيدنا «روح بن زنباع»

يرعى ثمانين ألفا كان مثلهم مما يحالف أحيانا على الراعي

ولما كان أكثر النسابين على أن عاملة قحطانية فقد قام «ناتل بن قيس الجذامي»[١٩] «مكذبا «روح بن زنباع» أمام الخليفة.. وذلك أنه لما بلغه قول «روح بن زنباع» عند الخليفة جاء يركض حتى دخل المقصورة، فقال: أين يجلس الفاجر الكاذب «روح بن زنباع»؟

(١٦) روح بن زنباع بن سلامة الجذامي، أبو زرعة، ويقال: أبو زنباع الدمشقي، تابعي جليل، روى عن أبيه، وكانت له صحبة ت٨٤ هـ بالأردن. البداية والنهاية ٩/٥٨.

(١٧) طبقات فحول الشعراء ٢/٧٠٠-٧٠١، الممتع في صنعة الشعر / النهشلي - ت د/ زغلول سلام ص ١٦٧، ١٦٨، منشأة المعارف - أسنكدرية.

(١٨) الديوان ٢٥٨.

(١٩) في الممتع: «ثابت بن قيس» والصحيح أنه «ناتل»، وهو وال، شجاع، من =

فاشاروا إلى مجلسه، فانتظر « يزيد »، حتى إذا كان عند فصل خطبته قام فقال : يا أمير المؤمنين، بلغنى أن « روح بن زنباع » قام فزعم أنه من معد، وذلك ما لا نعرفه ولا نُقرُّبه، ولكنا من قحطان، يسعنا ما وسع قحطان، ويعجز عنا ما يعجز عنهم، فبلغ ذلك « ابن الرقاع » فقال[٢٠]:

لو أن أطعتك يا غرار كسوتنى ... فى كل مجمعة ثياب صغار

أضلال ليل ساقط أكنافه ... فى الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذى ندعى له ... بأبى معاشر غائب متوارى

تلك التجارة لا نحيب لمثلها ... ذهب يباع بآنك وأبار

فقالوا: غيرت يا ابن الرقاع، فقال: إنه والله أعزهما سخطا – يعنى ناتلاً – »[٢١].

وذكر « ابن السيد البطليوسى » بيت الكميت الأسدى :

ومـا من تهتـفين به لنصـر ... بأقرب جلبة لك من هديل

وقال[٢٢]:

---

= التابعين، كان سيد جزام بالشام، شهد صفين مع معاوية بعد موت يزيد بن معاوية دعا لابن الزبير، وطرد « روح بن زنباع » والى يزيد السابق، فأمره « ابن الزبير » على فلسطين، وبقى فيها حتى خلافة عبد الملك، فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله.

(٢٠) ديوانه – المحقق – ص ٢٥٦ . وغرار: هو لقب روح بن زنباع.

(٢١) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٠٠-٧٠١.

(٢٢) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ٣ /١٥٨، ١٥٩.

يخاطب به قضاعة ويؤيسها من نصرة من يطمع فى نصره، ويعلمها أن الذين يهتفون بهم لينصروهم، ويجيبونهم حتى يجيبوهم الهديل الحمام. وإنما قال هذا: لان قضاعة تركت نسبها فى معد بن عدنان وتيمنت، فادعت أنها من ولد مالك بن حمير، حتى قال في ذلك بعض شعرائهم:

قضاعة بن مالك بن حمير  النسب المعروف غير المنكر

قال أبو رياش:

فأنشد بعض العلماء بالنسب هذا الشعر، فقال: بل والله النسب المنكر غير المعروف، فوبخهم «الكميت» بتركهم أصلهم واعتزائهم إلى غير أبيهم.

**شاعر أهل الشام.**

وهذا اللقب لقبه به ابن دريد فى الاشتقاق[٢٣]، وسبب ذلك: أن العرب الذين كانوا فى الشام قديما كان أكثرهم – إن لم يكن كلهم – من القحطانية، وكان لهذا تاثيره في هذه البيئة من حيث شاعريتها، فإن من يستعرض نصوص العصر الأموى لا يكاد يجد للشام نشاطا يذكر من حيث الشعر.

وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أن السكان هناك كان أكثرهم يمنيين، اصطنعوا العربية الشمالية اصطناعا، فلم تؤهلهم لقول الشعر ونظمه،

---

(٢٣) الاشتقاق ٣٧٥.

ولذلك لا نجد لهم شعراء مشهورين فى هذا العصر سوى «عدى بن الرقاع العاملى»[٢٤].

كما أن الشام كانت مقرا للسلطان السياسى والحكومة الأموية، وكانت دمشق حاضرة الخلافة، ومقصد الشعراء بوجه خاص، ينشئون قصائدهم هناك فى أوطانهم فى الحجاز أو العراق ويفدون بها إلى الخلفاء فى دمشق طلبا للعطاء.. وبذلك كان الشعر يرد إلى الشام من خارجها.

ولعل «عدى بن الرقاع» هو الشاعر الوحيد الذى سكن دمشق فكان من حاضرة الشعراء لا من باديتها[٢٥].

❑ ❑ ❑

---

(٢٤) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص ٤٧.

(٢٥) تاريخ النقائض / الشايب ص ١٦٧.

## مولده ووفاته

كشان كثير من الشعراء القدماء لم يعرف على وجه التحديد سنة ولادته، غير أن عديا عاصر الفحول جريراً والفرزدق والأخطل، ومدح عبد الملك وولديه[٢٦] الوليد وسليمان.

وأخطأ بعض المؤلفين خطأ بينا فى تحديد مولده ووفاته والمدة التى عاش فيها: فيذكر صاحب «بهجة المجالس» تحت عنوان «باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة»[٢٧]: أن «عدى بن الرقاع» أنشد قصيدة يذكر فيها الخمر، فقال له «معاوية» : أما إني قد ارتبت في جودة وصفك الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته»[٢٨].

فيعلق المحقق على ذلك بقوله:

«هذا خطأ، فالمعروف أن «معاوية» ت سنة ٦٠هـ، و«ابن الرقاع» ولد نحو سنة ٩٠هـ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين «ابن الرقاع» و«الوليد بن عبد الملك» وهو الخليفة الذى كان يقرب الشاعر ويعجب به».

---

( ٢٦ ) وذلك فى قصيدته التى ذكرناها فى الهجاء، إذ يهجو فيها «مصعب بن الزبير»، ويمدح «عبد الملك» وليس الوليد كما ذهب ثعلب.

( ٢٧ ) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبى عمر القرطبى ١ / ٩٤ . تحقيق محمد مرسى الخولى ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

( ٢٨ ) البيتان سيأتيان فى الوصف.

والحق أن المصنف والمحقق كليهما مخطئ، فالقصة في الواقع كانت بين «ابن الرقاع» و«سليمان بن عبد الملك»[٢٩]، وليست مع معاوية، إذ ليس لابن الرقاع ذكر فى أيام معاوية.

وقول المحقق إن «ابن الرقاع» ولد نحو سنة ٩٠ خطأ، وهو قد ناقض نفسه حين رجع أن تكون القصة قد حدثت مع «الوليد».. وذلك لأن «الوليد» تولى الخلافة سنة ٨٦هـ وتوفي سنة٩٦هـ فمتى كان «عدى» شاعرا له؟ وهو في المهد؟ أم وهو دون السادسة؟!.

والراجح انه ولد عام ٤٥ هـ فى مدينة الجليل بفلسطين، أو بنواحى الأردن.

وبعضهم يذكر أن وفاته كانت سنة ٩٥هـ وهو خطأ كذلك، وذلك أن «سليمان بن عبد الملك» تولي الخلافة ٩٦هـ أى بعد وفاة أخيه «الوليد»، وكان عدى قد قال للوليد فى معرض مدحه[٣٢]:

عذنا بذى العرش أن نبقى ونفقده وأن نكون لراع بعده تبعا

---

(٢٩) وذكر المرتضى في أماليه ١/٢٧٧ أن ذلك كان مع الوليد.

(٣٠) ر. بلاشير فى تاريخ الادب العربى ٥٦١ تعريب د/ إبراهيم الكيلانى ط دار الفكر الثانية سنة١٩٨٤.

(٣١) الاغانى ٨/١٧٢، د/ هند حسين طه فى كتابها: الشعراء ونقد الشعر ٧٦، د/محمد لطفى الصباغ فى كتابه: فن الوصف فى مدرسة عبيد الشعر ص١٣.

(٣٢) القصيدة رقم ٢٤ فى الديوان ص٢٢٠ ونصها علي الرواية الاولى فى مدح الوليد.

فلما مات « الوليد » وخلفه « سليمان » أرسل فى طلب « ابن الرقاع »، وسأله عن بيته هذا، فقال « عدى »: لم أقل هذا ، وإنما قلت :

عذنا بذى العرش أن نبقى ونفقدهم　　　أو أن نكون لراع بعـــدهم تبــعـا

وكان ذلك فى عام ٩٦ هـ أى أن عديا عاش بعد وفاة الوليد، بل إنه عاش إلى خلافة « عمر بن عبد العزيز » ومدحه في خلافته بقصيدتين.

كما أنه مدح « عمر بن هبيرة » الذى تولى إمارة الجزيرة والعراق وخراسان، وقد عزله « هشام بن عبد الملك » سنة ١٠٥هـ.

وعلى ذلك فقد توفى فيما بين ١٠٠هـ، ١٠٥هـ، وقد رجح ذلك بلاشير[٣٣].

وأما الخطأ الصارخ فهو ما ذكره بعضهم من أن « عديا » كانت له علاقة بالخليفة « المأمون »، فقد ذكر « ياقوت »[٣٤]: أنه « لما قدم المأمون الثغر غازيا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فى ميل، وعينه على مدينة، وهيأ له الرجال والمال، فمات بعد شروعه بقليل، فبطله « المعتصم »، فقال « عدى ابن الدقاع » يمدحه :

وكـان أمـرك من أهل الطوانة من　　　نصـر الذى فـوقنا والله أعطانا

أمـراً شـددت بإذن الله عـقـدته　　　فـزاد فى ديننا خيـرا ودنيـانا

---

(٣٣) تاريخ الأدب العربى ٥٦١.

(٣٤) معجم البلدان ٤ /٤٦.

وهذا عجيب من ياقوت، فالخليفتان عباسيان، توفى الأول سنة ٢١٨هـ والآخر ٢٢٧هـ فهل كان «ابن الرقاع» من المعمرين، عاش مائتى سنة مثلا؟! . هذا ما لم نعرفه، والظاهر أن هناك شاعراً آخر اسمه عدى وكان من أمره ما ذكره ياقوت.

❐ ❐ ❐

# الفصل الثانى

## عدى وشعراء عصره

# عدى وشعراء عصره

حين يذكر الشعر في العصر الأموى يتبادر إلى الذهن ما كان من مباريات شعرية وسمت بـ « النقائض » .

وحين نبحث عن « عدى » فى هذه المباريات لا نجد له ذكرا، ولعل السبب فى ذلك تهديد « الوليد بن عبد الملك » لجرير - قمة شعراء عصره - إن هو هجا عديا . . وحرى ببقية الشعراء أن يفهموا أن هذا التهديد منسحب عليهم . . وبذلك خسرنا إسهام « عدى بن الرقاع » فى فن النقائض .

غير أنه كانت هناك بعض المناوشات الخفيفة بين عدى وغيره من الشعراء على النحو التالى :

*** عدى وجرير .**

قال ابن السيد(٣٥) : دخل « جرير » على « الوليد بن عبد الملك بن مروان » ، « وعدى بن الرقاع » ينشد قصيدته التى أولها :

عرف الديار توهما فاعتادها    من بعد ما شمل ا لبلى أبلادها

---

(٣٥) الحلل فى شرح أبيات الجمل . لابن السيد البطليوسى ص٢٥٤، ٢٥٥ تحقيق د/مصطفى إمام، ط الدار المصرية للطباعة والنشر، الاغاني ٩ /٣٠٧، ٣٠٨، الديوان ٢٦٢ .

فلما فرغ من إنشاد القصيدة قال «الوليد»: أتسمع يا ابن الخطفى؟ قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عدى بن الرقاع العاملى.

قال جرير: من الذين قال الله فيهم ﴿ وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى نارا حامية ﴾(٣٦).

فقال الوليد: لا أم لك! تقول هذا لمن يمدح أحياءنا، ويؤبن موتانا؟!.

فقال جرير:

يقصر باع العاملى عن العلا ولكن أير العاملى طويل

فقال عدى:

أأمك كانت أخبرتك بطوله أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول؟

فقال الوليد: بل هو امرؤ لم يدر كيف يقول.

فغضب جرير، فقال عدى: يا أمير المؤمنين، أجرنى من لسانه(٣٧).

فقال الوليد لجرير: والله لئن ذكرته فى شعرك لأسرجنك، وليركبنك حتى يعيرك الشعراء بذلك(٣٨).

---

(٣٦) سورة الغاشية ٢-٤.

(٣٧) زاد الأصفهانى: أن عديا وثب إلى رجل الوليد يقبلها وقال: أجرنى من لسانه.

(٣٨) تحت عنوان (باب من رفعه الشعر ومن وضعه) ذكر ابن رشيق أن من الشعراء الذين رفعهم الشعر الأخطل النصرانى، وأن عبد الملك أركبه ظهر جرير بن عطية الخطفى =

فلم يذكره جرير فى شعره، غير أنه عرض به فى قصيدته التى أولها:

حى الهدملة من ذات المواعيس      فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

فقال فيها:

إنى إذا الشاعر المغرور حربنى      جار لقبر على مران مرموس(٣٩)

بيد أن البغدادى وشارح ديوان جرير قالا:

«لم يحمل هذه الأبيات على التعريض بعدى بن الرقاع، بل قال يفخر به على «ابن لجأ»(٤٠).

وذكر محقق الديوان أنه عثر على بيت لجرير فى النقائض يصرح فيه بهجاء «ابن الرقاع». قال جرير يهجو الفرزدق وجميع الشعراء:

ذاق الفرزدق والأخيطل حرها      والبارقى وذاق منها البلتع

ولقد قسمت لذى الرقاع هدية      وتركت فيه وهية لاترقع (٤١)

---

= وهو تقى مسلم. العمدة ١/٤٤ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.. وهذا كلام لم أجده فيما قرأت من مراجع، ولعله خلط بين عدى والأخطل.

(٣٩) الأغانى ٩/٣٠٨.

(٤٠) شرح أبيات المغنى ٤/٩٦.

(٤١) راجع: النقائض ٢/٩٦٧. البارقى هو سراقة. البلتع: المستنير بن أبى بلتعة العنبرى انظر الديوان. جمع الدكتور الشريف البركاتى ص٩.

*** عدى وكثير عزة .**

**بلغ كثيرا أن «عدى بن الرقاع» يطعن على شعره ويقول:**

**«شعر حجازى مقرور، إذا أصابه قر الشام جمد وهلك».**

فأخذ «كثير» عليه يوما - وهو ينشد فى مجلس للوليد بن عبد الملك - قوله:

وقصيدة قد بت أجمع بينها   حتي أقوم ميلها وسنادها

فقال له كثير:

لو كنت مطبوعا أو فصيحا، أو عالما، لم تأت فيها بميل ولا سناد، فتحتاج إلى أن تقومها، ثم أنشد:

نظر المثقب فى كعوب قناته   حتى يقيم ثقافه منآدها

قال له كثير:

لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها، ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أسائل عالما   عن علم واحدة لكى أزدادها

قال كثير:

كذبت - ورب البيت الحرام - ، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسالك عن صغير الأمور دون كبيرها حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدى بن

الرقاع حتى ما نطق[٤٢].

## * عدى وشبيل بن الحنبار الكلبي .

ذكر الخالديان في حما ستهما ما نصه[٤٣]:

قال ابن دريد عن عمه عن ابن الكلبي قال: حدثني أبو زفير الكلبي قال:

دخل عدى بن الرقاع على «عبد الملك بن مروان» وعنده رجل من كلب يقول الشعر، يقال له: «شبيل بن الحنبار»، فقال شبيل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا ابن الرقاع. قال: الرقاع التي تكون في السقاء؟ قال: لا، هذا العاملي. قال: الذى يقول الله عز وجل: ﴿ **عاملة ناصبة. تصلى نارا حامية** ﴾؟

فضحك عبد الملك ، ثم قال لابن الرقاع: أنشدني، فانشده شعرا شبه نفسه فيه بالحية:

| | |
|---|---|
| نشا مستسرا بين هضب هشيمة | وبين حنبار عدملى تهدما |
| إذا اكتحلت عين البصير برأيه | بداه بذعر قبل أن يتهضما |
| أسل سماوى كأن لسانه | أسف سواديًّا من الكحل أسحما |
| إذا خاف خوفا أضمرته بلاده | كما يضمر الصدرالحديث المكتما[٤٤] |

---

(٤٢) الأغانى ٩/٣١٦، ٣١٧.

(٤٣) الأشباه والنظائر ٢/٩٣، ٩٤.

(٤٤) الديوان ص ٢٦٥.

فاعترض عليه «شبيل» فقطع شعره وقال:

لك الويل هلا كنت شبلا لاجفر    تشبهت أوليثا بخفان ضيغما

فشبهت مـا لا يرفع الدهر بطنه    على الأرض إلا ما حبا وتقحما

فقال ابن الرقاع:

وفى الناس أشباه كثير ولم أكن
لأشبه شرا من «شبيل» والأما
تشبهت ما لو عض «شبل بن جنبر»
لظل «شبيل» يسلح الماء والدما

فانقطع شبيل، وغلبه ابن الرقاع.

* **عدى والراعي النميرى**(٤٥).

وقد ذكرنا قول الراعى لعدى:

لو كنت من أحد يهجى . . . .    . . . . . . . . . . . . . البيت

فأجابه عدى :

حدثت أن رويعي الإبل يشتمنى    والله يصرف أقواما عن الرشد

فأنت والشعر ذو تزجي قوافيه    كمبتغى الصيد فى عريسة الأسد

* **عدى وابن الراعى النميرى**(٤٦).

---

(٤٥) العمدة ٢ /١٨٩، اللسان ٧ /١٢٦، زهر الآداب ١ /٨٥، ديوان الراعى النميرى ١٠. والديوان المحقق ص١٧٥، ١٧٦.

(٤٦) اللسان: جيب، الصحاح ٤ /١٣٣٦ وغيرهما.

قال «جندل بن الراعى» يهجو «ابن الرقاع»:

جنادل لاحق بالرأس منكبه ... كأنه كودن يوشى بكلاب

من معشر كحلت باللؤم أعينهم ... قفد الأكف موال غير طياب

*** عدى وشعراء آخرون.**

روى الأصبهانى وابن قتيبة وغيرهما(٤٧):

أنه كان لعدى بن الرقاع ابنة تقول الشعر، فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه(٤٨)، وكان غائبا عن منزله، فسمعت بنته - وهى صغيرة لم تدرك - ذروا من وعيدهم. فخرجت وهى تقول:

تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لا زلتم قرن واحد(٤٩)

فانصرفوا عنه ولم يهاجوه.

قال المبرد معلقا على هذه الحكاية(٥٠):

فهذه بلغت بطبعها - على صغرها - مبلغ الأعشى فى قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن على:

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة ... ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

□ □ □

(٤٧) الأغانى ٩ / ٣١٠، الشعر والشعراء ٦١٨، المعانى الكبير ٢ / ٧٤٥، الكامل ٢٢٦، بهجة المجالس وأنس المجالس ١ / ١٠٥. وفيه أنهم قالوا لابنة عدى: نريد أباك لنخزيه ونفضحه.

(٤٨) يماتنوه: يعارضوه.

(٤٩) القرن: الكفء فى الشجاعة وغيرها.

(٥٠) الكامل ٢٢٦.

## الباب الثانى

# شعر عدى

الفصل الأول : الشعر الأموى بين التقليد والتجديد .

الفصل الثانى : إيثار الوليد عديا على الفحول .

الفصل الثالث : فنون شعره .

# الفصل الأول

## الشعر الأموى بين التقليد والتجديد

# الشعر الأموى بين التقليد والتجديد

اختلفت آراء النقاد حول الشعر الأموى من حيث التقليد والتجديد . .

- فقد ذهب فريق إلى أن الشعر الأموى قد جمد، وإن كان هناك تغيير فهو يسير جدا وسطحى، لا يمس العناصر الأولية والسمات الأصلية التى اتسم بها الشعر الجاهلى(١).

- وفريق آخر أظهر جانب التجديد فى الشعر الأموى، وتعامل معه على أنه نوع فنى مباين أشد المباينة وأوضحها للعالم الفنى القديم - عالم العصر الجاهلى(٢).

- وفريق ثالث - بين بين - يرى أن القصيدة أصابها بعض تغيير فى الشكل والمضمون(٣)، وتفصيل ذلك على النحو التالى:

* يرى فريق من النقاد أن الشعر الأموى ظل جامدا، ليس فيه من تجديد، وأن القصيدة الأموية هى بعينها القصيدة الجاهلية.

«ولقد كان لأخذ القصيدة الأموية صورة القصيدة الجاهلية فى

---

(١) راجع : الشعر العربى بين الجمود والتطور . د/ محمد عبد العزيز الكفراوى.

(٢) راجع : التطور والتجديد فى الشعر الأموى. د/ شوقى ضيف.

(٣) القطامى.. حياته وشعره. د/ زكى عابدين غريب ص ١٥١.

تفاصيلها ما حدا بعلماء القرنين الثانى والثالث إلى أن يقولوا مثلما قال ابن قتيبة:

« وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين »، ويحدد هذا المذهب فى خطوطه الكبرى بتدرج القصيد من ذكر الديار والدمن واستيقاف الرفيق إلى النسيب ... الخ.

وأن شعر الفحول كان تقليديا صرفا، وهم عامدون إلى ذلك عمدا، حتى إنهم افتخروا بتلمذتهم علي أيدى الجاهليين، فهذا الفرزدق يقول:

وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

الأبيات..

وقد ساعد على ذلك رواج رواية الشعر الجاهلى فى زمنهم، ثم تدوينه فى أخريات عصر بنى أمية.

ويؤكد الدكتور البهبيتى اطلاع الشعراء الأمويين على الشعر القديم اطلاع الدارس الواعي فيقول:

« دع عنك الخرافة السائدة من أن جريرا والفرزدق والأخطل والراعى وذا الرمة أو الرجاز ومن لف لفهم كانوا جماعة من شعراء البادية، نزلوا الحضر ببضاعة مزجاة من الشعر فى عصر الجمع وتلمس الشاهد. فليس بين هؤلاء إلا رجل اطلع على الشعر القديم اطلاعا مقصودا، وليس فيهم إلا صاحب ثقافة واسعة جدا، نشأت عن التحصيل الدائب فى بيئة كان همها

فى ذلك العصر تحصيل القديم وتصحيحه وتحقيقه.. وأن الشاعر فيهم ليفعل ذلك عن نفسه..» وقد صرح الفرزدق بذلك[٤].

لقد ظلت وجوه الصياغة المحصورة فى عمود الشعر، ومقدمة القصيدة الجاهلية وأبنيتها ثابتة فى العصر الأموى لم يمسسها تغيير جذرى.

ومن يقارن بين عيون الشعر الجاهلى - مثلا - وبين مطولات القصائد فى العصر الأموى فسوف يرى أن بنية القصيدة هنا لا تكاد تختلف عنها هناك.

فتعدد الأغراض التى تدور حولها القصيدة، والصور الشعرية، والحديث عن تعب الناقة حتى وصلت إلى الممدوح..... إلخ، كل ذلك نجده هنا كما هو موجود هناك.

لقد كان الشاعر الأموى يتبع خطى أجداده، متدرجا من مقدمة النسيب إلى ذكر الناقة والرحلة، ثم إلى الغرض الأصلى من مدح وفخر وغيرها.

وتكتمل بالمحافظة علي وجوه الصياغة متمثلة فيما أسموه: شرف المعنى وصحته، وجزالة الألفاظ ومطابقتها لدلالاتها اللغوية، ثم تكتمل كذلك ببناء الصورة الشعرية على التشبيه الحسى والأوصاف المادية المباشرة المستمدة فى الغالب من البيئة البدوية بما فيها من بقر الوحش والغزلان والكلاب الضوارى...

---

(٤) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى - ص ١٨٦.

وتكتمل - إلى هذا وذاك - بالمعجم الشعرى والأساليب والموسيقا والأوزان .

يمكن القول إذا : إن الشعر الأموى كان لوحة مكبرة لما كان يعكسه الشعر الجاهلى من صور العصبية القبلية(٥) .

وكان الفحول الثلاثة - بصفة خاصة - أقل ممن سواهم تأثرا بالحياة الإسلامية الجديدة، فقد احتفظوا إلى حد كبير بقسط من الحياة البدوية، وكانوا يخضعون لنحو من الحياة جاهلى أو يكاد على الرغم من نشأتهم الإسلامية، إذ عاشوا بالبادية لا يبرحونها إلا لماما، وكان أدبهم كذلك، فعندهم الغريب، وفخامة الأسلوب، والمحافظة على النظام الجاهلى للقصيدة فى ديباجتها ومعانيها وفصولها، وقد أربوا على الجاهليين فى المهاجاة ، وتناول الحرم، والارتزاق بالشعر والانقطاع له، وفى هذا الخيال البدوى القديم(٦) .

* والآخرون يرون « أن عقلية الشاعر الأموى اختلفت تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر القديم، فقد ثقف أشياء لم يكن يثقفها الشاعر الجاهلى، وخضع فى تفكيره لأشياء لم يكن يخضع لها الشاعر الجاهلى »(٧) .

« وكان تجدد الشعر ملائما كل الملاءمة لتجدد الحياة، فنشأ عند العرب في عصر بنى أمية نوعان من الشعر لم يكن قد ألفهما الجاهليون، أو على أقل تقدير لم يكن هؤلاء الجاهليون قد أحسنوا فهمهما والعناية

---

( ٥ ) راجع: الشعر الأموى د/ محمد فتوح ص ١٨ ، ٦٧-٩٣ [ بتصرف وإيجاز ] .

( ٦ ) تاريخ الشعر السياسى / الشايب ٣٦٦-٣٦٩ [ بتصرف ] .

( ٧ ) التطور والتجديد ص٨١ .

بهما:

الأول: «الغزل» الذى نشأ عن حياة الترف والغنى والثروة.. صحيح أن الغزل قديم، ولكنه هنا أصبح مقصودا لنفسه، وليس وسيلة لشئ آخر..

والثانى: هو «الشعر السياسى»، وقد نشأ عن استحالة الخلافة إلى ملك، وعما كان من حرب بين العصبيات من جهة، ومن حرب بين العصبية والدين من جهة أخرى[٨].

لقد «ازدهر الشعر فى العصر الأموى محققا صورة رائعة من التطور والتجديد، وهو يتحرك من الكلاسيكية القديمة التى بلغت ذروة نضجها الفنى فى العصر الجاهلى إلى الكلاسيكية الجديدة التى راحت تأخذ طريقها في القصيدة الأموية، بعد مرحلة الانتقال [الإسلامية] التى عبرتها القصيدة العربية فى صدر الإسلام»[٩].

ومن أبرز مظاهر التجديد ما أسماه الدكتور «يوسف خليف» [ظاهرة التخصص].. وهذا التخصص قد يكون بيئيا بمعنى أن تتجه بيئة معينة لفن معين من الشعر. فبيئة الشام تتخصص فى شعر المدح، وبيئة العراق تتخصص فى الشعر السياسى والنقائض، وبيئة الحجاز تتخصص فى الغزل الحضارى، وبيئة البادية تتخصص فى الغزل العذرى ووصف الصحراء، ويتطور فيها الرجز.

وتبعا لذلك وجدنا شعراء متخصصين فى هذه الفنون المذكورة..

---

(٨) حديث الأربعاء ٢/١٥-١٩ [بتصرف وإيجاز].

(٩) فى الشعر الأموى.. دراسة فى البيئات د/ يوسف خليف ص٤.

وهكذا[١٠].

ويرى الدكتور «هدارة»[١١]:

أن العصر الأموى كان فى أوله امتدادا للحياة الأدبية الجاهلية، ثم بدأت تظهر فيه آثار التطور شيئا فشيئا، حتى اتضحت معالمها تماما فى أواخر العصر.

ويمكن القول: إن القرن الاول كان البوتقة التى انصهرت فيها معالم الحياة العربية ليتضح معدنها، ويلتمع فى بداية القرن الثانى. وأن العصر الأموى بالنسبة لتطور الأدب - كما يقول: فيليب حتى - عصر حضارة واستعداد.

وذهب الدكتور «طه حسين» إلى أننا نظلم العصر الأموى، ونظلم معه تاريخ الأدب العربى إن زعمنا أن التجديد الذى تناول لفظ الشعر ومعناه إنما حدث فى العصر العباسى خاصة، فإن العصر الأموى قد كان عصر تجديد أيضا، بل قد كان عصر تجديد قوى ظاهر فى اللفظ والمعنى. ولم يقتصر التجديد عليهما فقط، بل حاول الشعر أن يجدد فى الموضوع أيضا، إلا أنها كانت محاولة غير موفقة[١٢].

لقد كان الأثر الإسلامى واضحا كل الوضوح فى الشعر الأموى ولا سيما فى الأسلوب. ويختلف مقدار هذا التأثير من حزب إلى حزب، فبينا

---

(١٠) نفسه.

(١١) اتجاهات الشعر العربى ص ١٩، تاريخ العرب [مطول] ٣٠٨.

(١٢) حديث الأربعاء ٢ / ١٤، ط دار المعارف ١٩٦٠.

نجد الأثر فى شعر الخوارج كبيرا نجده أقل في أشعار المداحين. والعجيب أن يتأثر «الأخطل النصرانى» بالإسلام مثلما تأثر الفحول..

ولقد تطورت قصيدة المدح بما أدخله الفحول على نسيجها الفنى من خيوط إسلامية من ناحية، وخيوط سياسية من ناحية أخرى. وهذه وتلك تلاحمتا مع الخيوط الجاهلية القديمة لتخرج لنا في النهاية المدحة الأموية(١٣).

ونجد النموذج الذى يصور الشاعر من خلاله ممدوحه ليس هو النموذج الجاهلى الذى يبالغ فى إسباغ صفات الشجاعة وكرم النسب، بل هو نموذج «الحاكم المسلم، التقي الذى يعيش حياته فى رحاب الهدى وطاعة الله، وينفق وقته فى الصلاة وقراءة القرآن، وفيما بين هذا وذاك يسوس رعيته بالعدل والحق واتباع أوامر الدين(١٤).

صحيح أن القصائد المدحية ظلت تسير فى الإطار النمطى الموروث منذ الجاهلية من حيث الشكل، أما المضمون فكان فيه تجديد بالتأثر بالمعجم الإسلامى – كما أسلفت – فضلا عن أن الشاعر الأموى يصدر عن طبعه وذاته.

والمعانى والأفكار ليست ثابتة جامدة، إنما هى متطورة، تابعة للحياة بشتى مناحيها.. وقد تغيرت الحياة عن ذى قبل، ومن هنا جدت منابع جديدة للقول، وروافد فكرية عصرية لم تكن موجودة.

---

(١٣) د/ يوسف خليف – فى الشعر الأموى ص٥٥ [بتصرف].

(١٤) الشعر الأموى. د/ محمد فتوح ص٩٦.

كان التجديد فى المديح والغزل والسياسة، ولا سيما فن النقائض الذى أصابه تطور هائل، وعد هذا الفن من أبرز السمات الأدبية للعصر.

«وإذا كانت القصيدة العذرية الأموية ترتكز فى أساسها على المأثور الأسطورى والشعبى القديم، فإنها تضيف إليه إضافات جديدة ومتعددة تتحول به عن بساطته القديمة إلى تعبير أكثر تعقيدا بحيث يتضمن وجهة نظر الحياة، وطبيعة ما يعانيه الناس فى هذه الحياة.

«ولقد اعتمد هذا الخيال الشعبى فى تعبيره عن وجهة نظر أهل البادية فى الحياة ومسيرة المجتمع على التلميح لا التصريح، فكان ما يمكن أن نسميه بالرمز العذرى...»[١٥].

❑ ❑ ❑

(١٥) د/ على البطل - مجلة فصول - المجلد الرابع - عدد ٢ ص١٨٢.

# الفصل الثانى

## إيثار الوليد عديا على الفحول

أول سؤال طرح نفسه في هذا البحث هو عنوان الفصل : لماذا آثر «الوليد بن عبد الملك» «عدى بن الرقاع» على غيره من فحول شعراء عصره؟.

وقد توقعت أن يثار السؤال ويفترض الإجابة عليه لدى كل من يدرس تلك الفترة في العصر الأموى، غير أنى لم أجد من الباحثين من تعرض لذلك سوى الدكتور الكفراوى[١].

ألم يكن هناك من هو أقدر منه، وأطول باعا، وأفحل شاعرية؟!!.

والإجابة - بكل تأكيد - : بلى.

كان هناك غيره، كان هناك الفحول الثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل[٢].

فلماذا لم يتخذ «الوليد» أحدهم شاعراً للقصر ومتحدثا باسم الخليفة؟.

---

(١) سيأتى كلامه بعد.

(٢) الفحولة فى العصر الأموى كانت توزن بالمدح والهجاء.. أى هما المعتد بهما دون سواهما من فنون الشعر، ويؤيد ذلك ما قاله عيسى بن عمر، قال ذو الرمة للفرزدق : ما لى لا ألحق بكم معاشر الفحول؟ فأجابه : لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار. الموشح ١٧٣.

وقريب منه ما رواه المفضل عن سبب عدم عد «العجاج» من الفحول. انظر : الأمالي ٤٧/٢. وكذا: النقد عند اللغويين فى القرن الثانى ص ٥٣ سنية أحمد محمد - بغداد ١٩٧٧.

ولنبدأ بالأخطل:

ذلك الذي كان شاعرا للبلاط الأموى أيام «عبد الملك»، وفي عهده كانت أزهى فترات حياة «الأخطل»، فقد أدرك ما كان يتمنى إدراكه من عز ومجد ومال، حتى بلغ الأمر بعبد الملك أن يقول: إن لكل قوم شاعرا، وشاعر بنى أمية الأخطل.

هذا على الرغم من أن «الأخطل» كان نصرانيا.. وقد ورد أن عبد الملك كان يحثه على الإسلام قائلا: ألا تسلم فنفرض لك فى الفئ، ونعطيك عشرة آلاف؟ فقال: وكيف بالخمر؟. قال: وما تصنع بها، وإن أولها لمر، وإن آخرها لسكر؟!.

فقال: أما إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة، ما ملكك فيها إلا كعلقة ماء من الفرات بالإصبع، فضحك الخليفة وتطيب. وقيل: إن الأخطل - حين عرض الخليفة عليه الإسلام - قال: إن أنت أحللت لى الخمر، ووضعت عنى صوم رمضان أسلمت.

فقال عبد الملك: إن أنت أسلمت ثم قصرت فى شىء من الإسلام ضربت عنقك، فقال الأخطل[٤]»:

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بقائم كالعير يدعو قبيل الصبح «حى على الفلاح»

---

(٣) راجع: فى الشعر السياسى ص ٢٨٣ عباس الجرارى، فى الشعر الأموى ص ٧٠ وما بعدها د/ يوسف خليف.

(٤) شعر الأخطل ١٥٣، ١٥٤ وشرح ديوان الأخطل ص ٦٧٨.

ولكنى ساشربها شمولا    واسجد عند منبلج الصباح

إلخ..

والسؤال الذى يطرح نفسه: كيف يقبل عبد الملك ذلك من الاخطل، بل ويكون مدلا عنده إلى هذا الحد؟.

لقد كانت قبيلة «تغلب» موالية للامويين فى صراعهم ضد الهاشميين، وكانت للاخطل مكانة عند «يزيد»، ولما اشتد الصراع بين قيس وتغلب، وظف الاخطل شعره في خدمة القبيلة...

فلما أصلح «عبد الملك» بين القبيلتين، ووضعت الحرب أوزارها، أصبح الاخطل متفرغا لمدح الخليفة، وصارت له الحظوة عنده، وسطع نجمه هناك.. وقد كانت له مكانة لديهم قبلا حين قال فى الأنصار:

ذهبت قريش بالمكارم كلها    واللؤم تحت عمائم الأنصار
فذروا المعالى لستم من أهلها    وخذوا مساحيكم بنى النجار

ومن هنا كان الأخطل النصرانى هو المتحدث الرسمى باسم الدولة فى عصره، وكان سفير تغلب لدى عبد الملك، حتى بلغ من حظوته ودلاله أنه كان يدخل عليه لابسا جبة خز، وحرز خز، فى عنقه سلسلة ذهب، فيها صليب ذهب، تنفض لحيته خمرا»[٥].

ولم يكن «عبد الملك» ليقبل ذلك إلا ليكسب رضا قومه تغلب، خاصة وأن الأخطل - كما ذكرنا - كان سفير تغلب لدى الخليفة.

(٥) راجع لذلك: الاغانى ٨/٢٩٩.

والعلامة «محمود شاكر» يرفض مثل هذه الأقاويل عن خلفاء بنى أمية، ولا سيما «عبد الملك بن مروان»، فيقول بعد أن يسوق هذا الخبر: «أيعقل هذا من خليفة، صحابى، أو تابعى، إذ تروى عن سيدنا معاوية كما تروى عن عبد الملك؟ ومن كان فى تلك الآونة يشتم أنصار رسول الله، وشاعر رسول الله، وأخوال رسول الله؟!.

وأى خليفة مسلم، بل أى ملك في أي وقت يرضى أن يدخل عليه رجل وهو سكران؟..»[٦].

لقد شغل الأخطل «بقومه تغلب شغلا اضطره إلى ممالأة الأمويين ومناهضة القيسيين، فخلط بين السياسة العامة والحمية القبلية، وكانت صوالح قومه هى الأصل السياسى الذى به سلوكه وشعره»[٧].

فمع أنه كانت له هذه المنزلة فى بلاط «عبد الملك» إلا أنه كان يمدح لبواعث من أهمها: أنه كان يحمل رسالة، وينهد إلى غاية، يتنازع فيها مصيره ومصير بنى قومه، فكانت السياسة هدفه، يتوسل لها الشعر ليقوم مقام السيف أو إلى جنبه، فالباعث الأهم لمدحه كانت النزعة الالتزامية القبلية، تتضافر معها بواعث تقويها ولا تبلغ مداها»[٨].

وبموت «عبد الملك» وخلافة «الوليد» تعرض «الأخطل» لهزة عنيفة، فسحب البساط من تحت قدميه، وأفل نجمه، وصار صوته خافتا ضعيفا.

---

(٦) التاريخ الإسلامى. العلامة محمود شاكر ٤ /٣٣، ٣٤ ط المكتب الإسلامى.

(٧) تاريخ الشعر السياسى. الشايب ٣٧٩.

(٨) الأخطل: إيليا حاوى ٥٩.

لقد انزوى فاقدا مكانته التي خلفه فيها «عدى بن الرقاع».

وليس معنى ذلك أنه سكت تماما، ولكن له مدائح في الوليد تتسم في جملتها بالضعف والفتور والتكلف[٩]. وظل كذلك حتى مات سنة٩٢هـ.

ولعل السبب في هذا الفتور المتبادل بين الأخطل والوليد راجع إلى تقدم السن بالشاعر، إذ ستكون وفاته في هذا العهد.

ولعله راجع أكثر إلي الموقف الذي كان للوليد ضد المسيحيين عامة[١٠].

فالوليد هو الذى حول «كنيسة يوحنا» بدمشق إلى «المسجد الأموى» الشهير، وعذب أحد زعماء تغلب حين عرض عليه الإسلام فرفضه.

* ونأتي إلى «جرير» فنجد أن «اتصاله بعبد الملك - خاصة - مضطرب، وكذلك كان شأنه مع «سليمان»، لموقف جرير من القيسية، فكان يدنو من القصر ولا يقرب ولا يبعد ولا يقطع، ويحاول أن يرد الخلفاء إلى النزارية دون اليمن، فيقول لسليمان بن عبد الملك[١١]:

| | |
|---|---|
| ألا هل للخليفة في نزار | فقد أمسوا وأكثرهم كلول |
| وتدعوك الأرامل واليتامي | ومن أمسى وليس له حويل |
| إذا ابتدر المكارم كان فيكم | ربيع الناس والحسب الأثيل |

---

(٩) راجع: في الشعر السياسي - عباس الجراري ٢٨٣.

(١٠) نفسه ٢٥٠ (بإيجاز)، والتطور والتجديد د/ شوقي ضيف ١٤١.

(١١) تاريخ الشعر السياسي - الشايب ص ٣٨١ والأبيات في ديوان جرير ص ٤٣٢.

علوتم كل رابيـــــة وفــــرع وغـــــركم للمذانب والهجـــول

وكان نجمه قد سطع على يدى « الحجاج »، حتى صار شاعره الرسمى، وبعضهم يجعله شاعر بنى أمية الأول، وذلك لأن شعره كان « سريع التسرب إلى النفوس، والتأثير عليها لسهولته، ولما يعلوه من نسيب حلو وغزل رقيق »[١٢].

بيد أن جريرا لم يكن شاعراً خالص النزعة للأمويين، فقد كان له بعض التعاطف مع ولاة « ابن الزبير » فى العراق، وذلك قبل مجئ الحجاج واليا عليها. إذا كانت له سابقة فى سجله ضد بنى أمية. ولذا فقولهم إنه كان « شاعر بنى أمية الأول » كلام مردود.

صحيح أن بنى أمية أفادوا منه، ومن فحولته الشعرية، ومكانته العالية - فما كان لهم أن يخسروا شاعرا فذا كجرير - إلا أنه لم يكن شاعرهم الأول.. فالمؤهلات الأولي للشاعر لكى يكون شاعر البلاط مفقودة عنده.. أول هذه المؤهلات: ولاؤه الشخصى للخليفة، ثم موقف قبيلته من الخلافة.. وهذه المؤهلات تحققت فى « الأخطل » - رغم نصرانيته -، ولم يكن أفحل من « جرير ».. ومن هنا كان الأول شاعر البلاط أيام « عبدالملك ».

ولو أن « جريراً كان شاعر بنى أمية الأول - كما قيل - لما فضل « الوليد » « عدى بن الرقاع » عليه، بل إنه هدده إن هو هجا عديا ليسرجنه وليركبنه.

---

(١٢) عباس الجرارى ص ٢٦٣.

* وأخيرا نصل إلى « الفرزدق » الذى لم يكن مضطربا كجرير، ولم يتوسل إلى أغراضه القومية بهذا الالتواء السياسى كما فعل الأخطل، ولمّ يذل للحكومة ويستعطفها كالراعى. وإنما لقى الدولة ورجالها تميميا، صريحا، قويا، يرضى عن الدولة إذا أرضته، ويغاضبها إذا انحرفت عنه، مقياسه السياسى صالح قومه ونزعتهم العامة ... وحين كان الولاة يختلفون معه أو مع تميم فلا يستطيع السكوت عليهم.

كان الفرزدق - بحكم نشأته فى بيت شريف - كثير الاعتزاز بنفسه وآبائه، شديد التمسك بمبادئهم.. ومن ثم لا عجب أن تطغى على شعره روح مليئة بالفخر، لا بأبيه وجده فحسب، ولكن بقبيلته وعشيرته كذلك، ويصل به الفخر إلى مثل هذا القول الذي يتحدى به الخلفاء(١٣):

| | |
|---|---|
| حلل الملوك لباسنا فى أهلنا | والسابغات إلى الوغى تتسربل |
| أحلامنا تزن الجبال رزانة | وتخالنا جنا إذا ما نجهل |

كان الفرزدق صاحب « شخصية متمردة، ونفسية جافة، ومزاج بدوى حاد، وطباع خشنة عنيفة، فدائما نحس فيه شيئا غير قليل من القوة والصلابة والخشونة والضخامة، والجنوح إلى اللغة الغريبة والأساليب الشاذة والمعقدة. فهو لا يصدر عن نفس رقيقة لينة صافية كما كان يصدر « جرير »، وإنما يصدر عن ذلك الطبع الغليظ الجافى الوعر المعقد الذى عرف به، ومن هنا وصفوا عمله الفنى بأنه كالنحت فى الصخر.

---

(١٣) راجع : في الشعر السياسى ص ٢٥٣ ، تاريخ الشعر السياسى ٣٨٦.

«نعم، لقد ظهر غلظ قلبه، وصلابة فؤاده، واعتزازه بنفسه بدرجة كبيرة على سلوكه، وتسرب إلى فنه حتى إنه كان لا يعبأ بعلماء اللغة فى عصره، ولا يستمع نصحهم، بل كان يهجو من يتعرض له منهم.. وكان يخرج على قواعد اللغة والنحو متحديا هؤلاء»[١٤].

وكان جريئا فى الحق، يصدع به ولو فى وجه الخليفة أو الأمير، ولعل أوضح مثال على ذلك:

ما كان منه حين رد على «هشام بن عبد الملك» إذ سأل: من هذا الشاب الذى تبرق أسارير وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى وجوهها؟

قال له الناس: هذا على بن الحسين، فقال الفرزدق:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

إلخ[١٥]....

وذكروا أن هشاما غضب من ذلك، فى حين أن «على بن الحسن» بعث إلى «الفرزدق» باثنى عشر ألف درهم فلم يقبلها، وقال: إنما قلت ما قلت لله عز وجل، ونصرة للحق، وقياما بحق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ذريته، ولست أعتاض عن ذلك بشىء.

---

(١٤) راجع: في الشعر الاموى.. دراسة في البيئات د/ يوسف خليف ص ٧٨، ٧٩.

(١٥) الاغانى ٢١/٣٧٦ والقصيدة تنسب له ولغيره. وراجعها كذلك فى: نهاية الأرب للنويرى ٢١/٣٢٧.

لم يكن «الفرزدق» مزاحما علي أبواب الملوك، وإنما جعلته قبيلته - العزيزة الغنية - يعتصم بقومه ويبعد عن القصر الملكى بدمشق أيام معاوية ويزيد ومن بعدهما. فلما كان عبد الملك وابنه الوليد رأيناه يلم بهما إلماما، وقد كان فى سبيل قومه أيضا[١٦].

إلى أن كانت خلافة «سليمان بن عبد الملك» فاقبل عليه مادحا.. وقد صرح بذلك أمام سليمان قائلا:

| | |
|---|---|
| تركت بني حرب وكانوا أئمة | ومروان لا آتيه والمتخيرا |
| أباك وقد كان الوليد أرادني | ليفعل خيرا أو ليؤمن أوجرا |
| فما كنت عن نفس لأرحل طائعا | إلى الشام حتى كنت أنت المؤمرا |

ومجمل القول أنه كان أقل من الآخرين زلفى واستجداء[١٧].

كانت هذه مواقف الفحول الثلاثة من البلاط الأموى أيام الوليد.

فما هى «الظروف التى أتاحت لعدى أن يسبق كثيرا من شعراء عصره فى هذا الاتجاه؟»[١٨] وما هي مؤهلاته التى ارتقت به إلى أن يكون شاعر البلاط دون منازع؟.

١ - يقول الدكتور الكفراوى[١٩]:

«والجواب الدقيق يتوقف على دراسة بنية الشاعر الخاصة، ودراسة

---

(١٦) فى الشعر الأموى ص٧٧.

(١٧) تاريخ الشعر السياسى ص ٣٨٧، ٣٩٢ (بتصرف).

(١٨) د/ الكفراوى. تاريخ الشعر العربى ص ١٠٦ و ما بعدها.

(١٩) نفسه.

الخواص العصبية والنفسية التى ورثها عن آبائه وأجداده . فهذه الأمور هى المسؤولة - قبل أى شىء آخر - عن رقة حسه، وصفاء نفسه .

ومع هذا فإقامته فى دمشق وتردده على مجالس الخلفاء لابد وأن تكون قد أعانت على إنضاج عقليته وعمق نظرته، ورقة حواشيه، وقصيدته الميمية خير نموذج لذلك » .

ويقول :

« كان عدى مرهف الحس رهافة ظهر أثرها فى شعره، فجاء عذبا حبيبا إلى النفوس، خفيفا على الأسماع . . . وشاعر هذه شخصيته جدير بالحفاوة، حرى بالحب والتقدير » . لقد « امتزج هواه بهوى الدولة، وارتبط وجوده بوجود خلفائها، يمدح أحياءهم، ويمجد أعمالهم، ويرثى موتاهم، ويرى رأيهم، ويقول بقولهم، يدافع عن مبادئ الدولة، ويؤيد سياستها، ويتحمس لها . . وظف شعره لنصرتها، وشهر سيفه بوجه خصومها، سالم من سالمها، وعادى من عاداها، وهو في رأيه هذا لا يصدر عن رهبة، ولا ينافق عن خوف، وإنما يعبر عن الحقيقة كما يراها، والعقيدة كما يؤمن بها، والوفاء كما فرضته عليه أخلاقه، لأنه يعتقد أن نصر الدولة هو من نصر الله الذى لم يغلب »(٢٠).

٢ - ويرى الدكتور نورى القيسى وزميله : أن حظوة عدى لدى الوليد ومكانته عنده لدفاعه عن الخلافة، وإيمانه بالوفاء للدولة العربية التى وضع نفسه فى خدمة أهدافها، والوقوف بحزم تجاه كل الحركات التى

---

(٢٠) مقدمة الديوان ص ١١ .

حاولت أن تقف بوجهها أو تستعدى عليها عناصر الشغب والفتنة، وقد دفعه هذا الوفاء والالتزام إلى اقتصار شعره على قادة الدولة وخلفائها، وحمده لما قدموه من جليل الأعمال وعظيم المآثر(٢١). وقد ذهب الدكتور الشريف البركاتى إلى ذلك أيضا(٢٢).

معنى ذلك أن «الوفاء» كان سببا فى تلك الحظوة، فعدي قد عرف عنه الوفاء لكل من تربطه به علاقة، و«صداقته» للناس، ورفقته لمن يحسن إليه تظل فى عرفه موضع تكريم، وتبقى فى حسابه مجال اعتبار وتذكر. وفى حديث «عبيدة بن عبد الرحمن» الذى عزله «الوليد بن عبد الملك» عن الأردن بعد أن ضربه وحلقه وأقامه للناس ما يؤكد أخلاق هذا الشاعر الملتزم، ووفاءه لمن قدم له جميلا، وأحسن صنيعا:

فقد طلب الوليد من الذين أوكل إليهم مراقبته أن يأتوه بمن يأتيه متوجعا أو يثنى عليه. ولكن هذا التخويف والإنذار لم يمنع الشاعر عن التعبير، ولم يثنه عن إظهار مشاعره، فقد حضر إليه، ووقف عليه، وأنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| فما عزاؤك مسبوقا ولكن | إلى الخيرات سباقا جوادا |
| وكنت أخى وما ولدتك أمى | وصولا باذلا لى مستزادا |
| وقد هيضت لنكبتك القدامى | كذاك الله يفعل ما أرادا |

وعندما وثب الموكلون به وحملوه إلى الوليد، وأدخلوه عليه،

(٢١) نفسه.

(٢٢) الديوان (المقدمة) جمع الدكتور الشريف البركاتى.

وأخبروه بما قال، تغيظ الوليد، وقال له: أتمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت؟.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إلى محسنا، ولى مؤثرا، وبى برا، ففي أى وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟.

وهنا يستجيب الخليفة لهذا الوفاء، وتعلو في نفسه كرامة الإنسان الذى لا تمنعه صروف الزمان عن تناسى الإخوان. ولا تحول بينه وبين من أحسنوا إليه عاديات الدهر. فيثنى عليه، ويعفو عنه وعن عبيدة، وينصرفان وهما يشعران بالوفاء لقيم الرجولة، والإحسان لكرامة الصنيع[٢٣].

٣ - قد يكون ذلك كله صحيحا مقبولا، إلا أننا نضيف إلى ذلك سببا آخر، نراه في واقعنا الذى نعيشه، إذ نجد «عباقرة» فى شتى التخصصات، ومع ذلك لا يجدون الحظوة عند الحكام فى حين نجد من هم أقل منهم بمراحل، بل لا يقارنون بهم يقدمون ويحتلون مناصب لا يستحقونها.. والناس لا يسعهم حينئذ إلا أن يرددوا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الأمر يوسد إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وقد يكون هؤلاء الآخرون متمتعين بصفات يفتقدها أولئك.. قد تكون تلك فى السمت العام، أو فى الشخصية، أو صاحب بديهة حاضرة، وخفة ظل... إلى غير ذلك مما يحبب الناس فى مجالسته. وقد أشار «ابن

---

(٢٣) راجع: الاغانى ٩ /٣٠٦-٣٠٧، مقدمة الديوان ص ٩، ١٠.

رشيق» إلي هذه الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها الشاعر فتحببه لدى الناس ومنها:

«أن يكون حلو الشمائل ، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطئ الأكناف، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس ويزينه في عيونهم، ويقربه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عزوف الهمة، نظيف البزة، أنفا، لتهابه العامة، ويدخل في جملة الخاصة، فلا تمجه أبصارهم، سمح اليدين....»(٢٤).

وأنا أعتقد أن عديا كان متحليا بكثير من هذه الصفات إن لم تكن كلها.

٤ - أضف إلى ذلك ما قد يكون فيه مما ليس فى غيره.. فهو طيّع، سهل القياد، بلغ فى النفاق والمداهنة شأوا بعيدا.. استخفه السلطان فكان متحدثا بلسانه.

ولعل فى قوله للوليد :

معاذ ربى أن نبقى ونفقده وأن نكون لراع بعده تبعا

دليلا على ذلك.. إذ لما مات «الوليد» وولى «سليمان» استدعى الشاعر وسأله عن ذلك.. إذ معناه أنه يرفع راية التمرد والعصيان على خلفه. إلا أن عديا غير وبدّل قائلا: ما قلت ذلك، إنما قلت:

معاذ ربى أن نبقى ونفقدهم وأن نكون لراع بعده تبعا

---

(٢٤) العمدة ١/١٩٦.

وصدق الله إذ يقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون...﴾[٢٥].

٥ - كما أن عديا أقام بدمشق بجوار الوليد، بخلاف الآخرين الذين كانوا يفدون على القصر يمدحون ثم يعودون.

٦ - كان الفحول الثلاثة يعمدون في شعرهم إلى الفخر عبر ذمهم للآخرين. أما عدى فقد أحجم عن ذلك ومدح الخليفة من غير أن يتعرض لسواه، وفي هذه الناحية تفوق واضح لعدى على غيره[٢٦].

❐ ❐ ❐

---

(٢٥) سورة الشعراء الآيتان (٢٢٤، ٢٢٥).

(٢٦) الديوان - ط بيروت ص١٣٠.

# الفصل الثالث
# فنــون شعـــره

١ ـ الأطلال .

٢ ـ النسيب .

٣ ـ المدح .

٤ ـ الهجاء .

٥ ـ الوصف [ الناقة والبعير وحمار الوحش وأتنه والقطاة ـ الخمر ـ وصف حمامة ـ البرق ـ الشيب ] .

٦ ـ الفخر .

٧ ـ الحكمة .

# ١ - الأطلال

**تمهيـد :**

كانت المقدمة الطللية الغزلية بمثابة مقدمة تهيئ الأسماع والعواطف، فكما « أن هناك تقليدا فى الموسيقا العربية يقوم على تهيئة الأسماع والعواطف، وعلى التمهيد للمغنى بجانب موسيقا بحت يعتمد على الزخرفة، وعلى استعراض القدرة على العزف، فإذا تم هذا انطلقت حنجرة المغنى هنا وهناك على الموجات التى أحدثتها « التقاسيم » .

« ولما كان الشعر مرتبطا بالغناء فإن هذا النوع من « التقديم » ومن « الافتتاح » ظل عاملا مشتركا فى الشعر والغناء معا .... وهذا النوع من التقديم عاش حقيقة فى القصيدة العربية، بل ظل يلقى ظله حتى على القصيدة الجديدة »[١].

وقد فطن القدماء إلى ذلك التصدير، ومن هؤلاء ابن قتيبة وابن رشيق وغيرهما[٢].

« والمقدمة هى الجانب الذاتى فى القصيدة، فمن خلالها كان يستشفى الشاعر، ويعترف، ويشى بأفكاره، ويجعل له قناعا، أو يخلق له رمزا.... ثم إن المقدمة باعتبارها مطلقة لعنان النفس، تموج فيها عناصر

---

(١) مجلة فصول. المجلد ١ العدد ٤ ص٢٣، ٢٤ د/ عبده بدوى.

(٢) راجع ما كتبناه عن الأطلال فى كتابنا ( تمرد طرفة ).

كثيرة مشتبكة، كعناصر الكرب والعذاب والخوف والسحر والموت، وعناصر اللذة والنشوة والزهو »[٣].

والشعراء الجاهليون كانوا يعانون من غربة مكانية مستمرة.. وحين فتح الله للمسلمين الأرض لم يتخلصوا من هذه الغربة أول الأمر، إذ عاشوا في الثكنات العسكرية وما يشبهها....

وظل الجانب الطللى مزدهرا طوال عصر بنى أمية، وقد عمق هذا الاتجاه بصفة خاصة الشاعر « ذو الرمة ».

لقد كان الطلل فى أول الأمر حقيقة، ثم أصبح رمزا للعالم المفقود، ثم أصبح بعد فترة تقليدا فنيا من تقاليد الشعر، ثم أصبح الحديث عن الطلل - بكل ما يمثله - ظاهرة عامة قد استشرت في كل العصور، وكان وراءها بالإضافة إلى ظاهرة التقليد والتمادى فيه الإحساس بالغربة والاغتراب[٤].

وبعض النقاد[٥] يرى: أن البكاء على الأطلال - فى عصر بنى أمية- إنما هو فى حقيقته بكاء علي النفس وبخاصة في عهد معاوية.

وقد أخفق الموالى - أو جماعة من نقادهم - فى العصر الأموى فى تذوق شعر الصحراء، بسبب طريقة إدراكها المتحضر الذي لا يستوعب الصورة كلا غير مجزأ، وبسبب قيمهم الفنية التى انحدرت إليهم من أممهم

---

(٣) فصول - السابق.

(٤) نفسه (بتصرف).

(٥) الدكتور الكفراوى فى كتابه: الشعر العربى بين الجمود والتطور ص١٤٠.

الأجنبية(٦):

روى الأصفهانى(٧):

أن خياطا اعترض الشاعر البدوى « ذا الرمة » فى المربد، وهاجمه على وقوفه على الأطلال، وتشبيهه حبيبته « أم سالم » بالظبية، وسخر منه بسبب هذه الصورة التى يعقد فيها مشابهة بين ظبية وامرأة جميلة على ما للظبية من ذنب، وقرنين، وساقين دقيقين، حيث قال الخياط : يا غيلان؛

| | |
|---|---|
| أأنت الذى شبهت عنزا بقفرة | لها ذنب فوق استها « أم سالم » |
| وقرنان إما يلزقا بك يتركا | بجنبيك يا « غيلان » مثل المواسم |
| جعلت لها قرنين فوق شواتها | ورابك منها مشقة فى القوائم |

فقام ذو الرمة فذهب، ولم ينشد بعدها بالمربد حتى مات الخياط.

ويعلق الدكتور « عبد الجبار المطلبى » على هذا الموقف قائلا(٨):

« فنجد فى هذه الرواية عجز « الخياط » عن فهم الشعر البدوى وصوره، لاعتماده فى تذوقه وأخيلته على مقاييس أدبية غريبة عن بيئة ذلك الشعر، فهو لم يجرب من الوقوف على الأطلال ما خبره البدوى الذى تقوم حياته على الترحال الدائم وراء الماء والكلأ، والذى كان يصادف – فى كثير من تجواله – آثار بيت قضى فيه فترة من الزمان مع حبيبة نعم بقربها، ثم رحلت مع قومها، ولم يبق له منها إلا هذه الرسوم تثيره وتثير معها

---

(٦) مواقف فى الأدب والنقد . د/ عبد الجبار المطلبى ص ٣٥، ٣٦.

(٧) الاغانى (دار) ١٨/٢٣-٢٤.

(٨) مواقف فى الأدب والنقد ص ٣٦.

ذكريات حبيبة إلى قلبه . . . « أخفق ( الخياط ) فى فهم مغزى الوقوف على الديار . وأخفق - كذلك - فى تذوق تشبيه الحبيبة - أم سالم - بظبية الرمل، إذ لم يفهم من التشبيه إلا مقابلة أعضاء بأعضاء، وفاتته الصورة الجميلة التى ترمز إليها الظبية من رشاقة، وانطلاق، وأنوثة غير عادية، وحسن العيون . . . . وغير ذلك » .

لقد تغيرت الحياة فى عصر بنى أمية عن حياة الجاهليين، إذ عاشوا مستقرين متحضرين في نعمة وترف، واختلط العرب بالعجم . .

ورغم ذلك ظلت العناية بالأشكال القديمة للمقدمات قائمة، وهذه المحافظة على مقوماتها البدوية وتقاليدها الجاهلية يمكن أن ترد إلى ثلاثة أسباب(٩):

١ - أن ما جدّ على الحياة الأموية من المظاهر الحضارية لم يمس مختلف جوانبها، ولا أثر على القبائل جميعا، وإنما تغلغل فى بيئة المدن وبخاصة مكة والمدينة .

وكان الشعراء الرسميون يحيون حياة فيها كثير من آثار الماضى، فقد كان الرعى الوسيلة إليها، والحركة هى أساسها، وصراعات التقاليد البدوية هى عمادها، وحب الصحراء وأوديتها وقفارها وحيوانها والعيش فيها أبرز ما يميزها .

فالفحول كانوا يقيمون بالبادية، ويختلفون إلى دمشق لنوال العطايا والجوائز ثم يعودون إلى البادية .

---

(٩) راجع فى ذلك: مقدمة القصيدة فى العصر الأموى من ص١٣-٢٠ [ بتصرف وإيجاز ]، وراجع : العصر الإسلامى . د/ شوقى ضيف ص١٤٨ .

٢ - لم يكن أمام الشعراء من الأصول الفنية إلا التراث الجاهلى، وحسبنا تصريح « الفرزدق » بذلك فى قوله :

وهب القصائد لى النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

.... الأبيات.

٣ - كان علماء اللغة فى هذه الفترة المبكرة - يفضلون الشعر الجاهلى كنموذج ينبغى على الامويين محاكاته والصوغ على شاكلته لغة ونحوًا ومبنى. ولعل ما قاله « الاصمعى » عن « أبى عمرو بن العلاء » كاف للتدليل على ذلك، يقول[١٠]:

« جلست إلى أبى عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامى » . كان ذلك كله مساعدا على نمو المقدمات الجاهلية فى الشعر الاموى، ومن هنا ظل الشعراء يمهدون بين أيدى قصائدهم بالألوان الجاهلية من المقدمات، يدفعهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا أمامهم مثلا فنية إلا المثل الجاهلية.

من هنا يمكن القول إن وصف الطلل تحدر إلى الشعر الأموى من صلب الشعر الجاهلى كتقليد من تقاليد القصيدة العربية.

ومع ان أكثر الشعراء لم يعايشوا الطلل إلا أنهم وصفوه، وتخيلوا أنهم وقفوا عليه، فذكروا مواضع الأطلال تحديدا... وكل ذلك أثر من آثار الشعر الجاهلى الذى أخذت مدارس روايته فى النمو والازدهار فى ذلك الحين، فاتيح للشعراء أن ينهلوا من معينه، ويتتلمذوا على فحوله وأعلامه.

□ □ □

(١٠) العمدة ١ / ٩٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط دار الجيل.

## اطلال عدى

من المؤكد أن عديا – وشعراء عصره – لم يعايشوا الطلل كما عايشه أسلافهم الجاهليون، ومن هنا جاءت تجربة الطلل عند عدى – ومعاصريه – باهتة تقليدية، فعواطفهم جاءت باردة، ومشاعرهم كانت جامدة، إلا ما كان من البدويين أمثال «ذى الرمة».

إن تجربة الاطلال عند الجاهليين كانت من أعمق التجارب الشعرية، لما تهيّجه في نفوس الواقفين من مشاعر وأحاسيس عميقة، لا تزال الدراسات النقدية الحديثة تحاول سبر أغوارها وكشف أسرارها. وذلك بخلاف شعراء بنى أمية الذين أدركتهم الحضارة وألوان الترف..

وعلى الرغم من ذلك ظلت الأطلال الأموية تحاكى الأطلال الجاهلية شكلا وموضوعا، مبنى ومعنى، وصفا ورصفا..

فالدار عند شاعرنا كعنوان الكتاب، أو خط الكتاب:

لمن الدار مثل خط الكتاب بالمراقيد أو بوكر العقاب[11]

وفي رواية... كأنضاء الكتاب.

وهو يتساءل – كما تساءل الجاهليون – [لمن الدار؟].. إنها لم تعد دارا، وإنما بقايا أطلال، لكنها هيجت شوقه ثم لم تجبه.

---

(١١) الديوان ق٢ ص٤٩.

قال(١٢):

| | |
|---|---|
| لمن الدار كعنوان الكتاب | هاجت الشوق وعيت بالجواب |
| لم تزدك الدار إلا طربا | والصبا غير شبيه بالتصابى |

وينقلنا الشاعر بوقوفه على الأطلال إلى صورة جاهلية صرفة، وذلك بتصويره النؤى والوتد، مما ينبئ عن أن بيت الحبيبة كان خيمة، فإذا ارتحل ذووها نقلوا هذه الأعمدة والأكسية، وخلفوا وراءهم نؤى وأوتادا..

وتلك هى أطلال البداوة، فلا بيوت، ولا منازل، ولا استقرار، إنما تنقل وترحال.. وقد صارت الدار - بسبب تقادم عهدها، ومرور الزمن عليها - عافية، غير واضحة المعالم، فهو لا يهتدى إليها إلا بعد جهد جهيد.. قال(١٣).

| | |
|---|---|
| عرف الديار توهما فاعتادها | من بعد ما شمل البلى أبلادها |
| إلا رواسى كلهن قد اصطلى | حمراء أشعل أهلها إيقادها |
| كانت رواحل للقدور فعريت | منهن واستلب الزمان رمادها |
| بشبيكة الحور التى غربيها | فقدت رسوم حياضه ورادها |
| وتنكرت كل التنكر بعدنا | والأرض تعرف تلعها وجمادها |

... إلخ. فالديار لشدة عفائها، واندثار آثارها توهمها الشاعر، فأخذ يتردد عليها زائرا. لقد امحت، وشملها البلى، ولم يبق منها إلا

---

(١٢) الديوان. ق١ ص٤١.
(١٣) نفسه ق ٥ ص٨٢.

الأثافي التي اصطلت بنيران حمراء، لقد عريت من القدور، واستلب رمادها الزمان، وأوشكت حياضها على الزوال.. وكأنها تنكرت لما أصابها بعد زوال أهلها عنها.

وعلى غرار الجاهليين يحدد «عدى» مكان تلك الأطلال بـ(شبيكة الحور)، تلك التي فقدت «الرواد»، وصارت بعد العمار خرابا... ولا يزال الشاعر يتحسر على هذه التحول فيركز على الأفعال الماضية (اعتادها، شمل، اصطلى، أشعل، كانت، عريت، استلب، .... إلخ)، ثم تأمل هذه الاستعارة الجيدة التي صار فيها الزمان مستلبا، الزمان بكل قوته وعنفوانه يستلب ماذا؟ يستلب رماد هذه الأثافي. حتى الرماد استلبه الزمان، فماذا يبقى بعده؟ لا شيء إذا بعد الرماد. وقد صارت الأرض - محل الديار البالية - تتنكر لمن كانت تعرفهم، أو أنها لشدة عفائها وتفاعل عوامل التعرية صارت لا تعرف. ويخلص بعد ذلك إلى ذكر الحبيبة.

وقال[١٤]:

| | |
|---|---|
| ١- بانت سعاد وليس الود ينصرم | وداخل الهم ما لم تمضه سقم |
| ٢- وصلت منزلة قفراً وقفت بها | كمثلها إذ بها الأحياء والنعم |
| ٣- عامية جرت الريح الذيول بها | فقد تخذمها الهجران والقدم |

---

(١٤) ق ٨/١١٥.

ب١: بانت: فارقت. ينصرم: ينقطع.

ب٣: عامية: أتى عليها عام. ذيول الرياح: مآخيرها. تخذمها: تنقصها، خذم أذنه: قطع منها قطعة.

٤- وأمحلت بعد إخصاب يدر بها ... منور رشحت أطفاله الديم

. . . . . . . . . . . . . .

٦ - عجنا إليها، وما عجنا لتخبرنا ... إلا اللجاجة والوهم الذى تهم

٧- وليس يمنعها أن تستجيب لنا ... مع العمى اليوم إلا العى والصمم

٨- بها أخاديد من آثار ساكنها ... كما تردد فى قرطاسه القلم

٩- أو حالك في ذراعى حرة بذلت ... له النؤور ولم تأل التى تشم

١٠- ترى الذى جمع المستوقدون بها ... مطرحا حيث كانت توضع الحزم

١١ - ربدا هوامد حيطت بالنؤى فقد ... كاد التراب عليها الجون يلتثم

١٢- أوجاذيا وتدته الفهر صاحبه ... من الذى كان معقودا به جذم

---

ب٤ : أمحلت : أجدبت. إخصاب: إمراع. يدربها: يكثر بها. المنور: عشب له نوار، أى به زهر. رشحت: ربت. ديم: جمع ديمة وهى المطر.

ب٦ : عجنا إليها: عطفنا عليها. وهم إلي كذا يهم وهما ووهوما: اى ذهب وهمه إليه.

ب٨ : الأخاديد: كان العرب إذا لم يجدوا أثافى حفروا حفرا طويلة فنصبوها واتخذوا من ترابها نؤى.

ب٩ : النؤور: قال أبو عبيدة: أن يؤخذ شحم أو سنام أو دهن فيوضع على جمر، ويكب عليها قعب أو صفحة حتى يجتمع دخانها فى أعلاه، ثم ينحتون ذلك فيجمعونه فيسففنه لثاتهن وشفاههن ويشمن به على معاصمهن. ونهى عن ذلك فى الإسلام.

لم تال: لم تقصر.

ب١٠ : اى ترى الحطب الذى جمع قد صار رمادا حين أوقد.

ب١١ : ربدا: غبرا. همدت النار: أخمدت وأطفئت. نؤى: هى الحفيرة حول الخيمة.

ب١٢ جاذيا: منتصبا.

١٣- لما غدا الحى من صرخ وغيبهم          من الروابى التى غربيها الكمم

وهذه أطول مقدماته الطللية. وقد أسهب فى وصف عفاء الديار، وإمحالها بعد إخصاب، وحالها الآن إذ يكثر بها العشب ذو الزهر. ويتشاءم الشاعر، فلا أمل عنده فى عودة أهل الدار إليها إلا إذا عاد الزمن القديم.. وهيهات.

ويذكر امتناع الدار عن الإجابة، وما أصاب أثافيها، وما كان يصنعُه المستوقدون بها، وما تثيره فى نفسه من تطلع.... إلخ.

ولا تكاد تخلو قصيدة عنده من ذكر الطلل، وهو يسهب حينا - كما فى هذه القصيدة -، ويقتصد حينا آخر.

وفى سياق الطلل يشبه الرماد بكحل العين، والسيل قد صد مجرى التلعة، ويخلص من ذلك إلى ساكنى الدار الذين كانوا يشبهون الدمى. قال(١٥):

٣- موضع الأنضاد لأيا ما يرى          ورماد مثل كحل العين هاب

٤- صد عنه السيل مجرى تلعة          خدد باق كأخدود الكراب

٥- ضربته سلفع مملوكة          بغراب الفأس فى وجه التراب

---

ب١٣: صرخ: بلد. الكمم: مكان.

(١٥) القصيدة الأولى ص٤٢، ٤٣.

ب٣: الأنضاد: جمع نضد، وهو ما ينضد من المتاع. لأيا: بطأً. الهبوة: العنبرة.

ب٤: التلعة: المسيل من المكان المرتفع إلى بطن الوادى.

ب٥: سلفع: ناقة شديدة.. غراب الفأس: حدها.

| | |
|---|---|
| ٦- تدفع السيل به حتى جرى | صحصحانى الصحارى والركاب |
| ٧- وبما قد كان فيها ساكنا | أهل أنعام وخيل وقباب |
| ٨- ورعابيب حسان كالدمى | لايملن الشيب لذات الشباب |

وعلى الرغم من أن عديا أحد أبناء مدرسة الصنعة فإن جميع التقاليد الجاهلية لم تستوف فى المقدمة الواحدة عنده، ولعل ذلك لعدم معايشته الطلل.

ويمزج عدى بين بكائه على الأطلال، وبكائه شبابه، وجزعه من المشيب، ثم يعرض رأيه فى أحداث الزمان ومصائبه، ويتطرق إلى الموت خالطا بين خلو الدار من أهلها بالارتحال، وخلو الأرض من سكانها بفراق آخر وهو الموت.

يقول فى مدحه لعمر بن الوليد(١٦):

| | |
|---|---|
| لمن المنازل أقفرت بغباء | لو شئت هيجت الغداة بكائى |
| فالغمر غمر بنى خزيمة قد ترى | ماهولة فخلت من الأحياء |
| لولا التجلد والتعرى إنه | لا قوم إلا عقرهم لفناء |
| لرثيت أصحابى الذين تتابعوا | ودعوت أخرس لا يجيب دعائى |
| وفراق ذى حسب وروعة فاجع | داويتها بتجمل وعزاء |

ب٦: الصحصح: المستوى من الأرض الأملس الصلب.

ب٧: قال ثعلب: وبما أى هذا الخلاء قد كان آهلا عامرا، أى هذا بدل من ذاك.

ب٨: رعابيب: جمع رعبوبة: بيضاء رخصة ناعمة.

(١٦) الديوان ق١٤/ ١٦١.

ليرى الرجال الكاشحون صلابتى      وأعين ذاك بعفة وحياء

ومن مواكبته الوجهة التقليدية ذكره الاماكن التى كانت تقيم بها الحبيبة، فضلا عن التشبيه بخط الكتاب[١٧]:

١- لمن الدار مثل خط الكتاب      بالمراقيد أو بذكر العقاب

٢- جرت الريح فوقها مذلعبا      من أهابى ترتمى بالتراب

٣- ليت لى جيرة كآل خليد      حسبى الذى ما تعى الأحساب

ولا يزال «عدى» ينحو المنحى التقليدى في بدايات القصائد، فها هو يساير النمط المحكم فى بناء القصيدة الذى يمنحه المرونة الشعرية لمواجهة الموقف المطلوب، ويعطيه حقوق المشاركة الوجدانية والذاتية لما يسعى إليه من استذكار الطلل، وهياج الأحزان، ومصائب الدهر. وربما كانت حاله وهو يواجه هذا الموقف قد فرض عليه الاختزال العاطفى، أو الانتقال السريع الذى لم يجد فيه من أدوات المباشرة ما يحمله على الاستمرار فى معايشة عالم تبدو غرائبه كثيرة، وأولياته غير منسجمة إلى حد ما[١٨].

وهو هنا يداخل بين حزنه على الأطلال والشيب الذى انتشر فى

---

(١٧) الديوان ق٢/٤٩.

ب١: المراقيد وذكر العقاب: موضعان.

ب٢: مذلعبا: أى ترابا سريعا. والذعلبة: الخفيفة من الإبل.

ب٣: آل خليد: من بنى القين بن جسر، وجسر من قضاعة. ماتع: مرتفع.

(١٨) مقدمة الديوان ص٢٠.

رأسه. قال:

| | |
|---|---|
| أتعـرف الدار أم لا تعـرف الطللا | بلى، فـهـيـجت الأحـزان والوجـلا |
| وقـد أرانى بهـا فى عـيـشـة عـجب | والدهر بينا لـه حـال إذ انفـتـلا |
| ألهـو بواضـحـة الخـدين طيـبـة | بعـد المنام إذا مـا سـرها ابتـذلا |
| ليست تزال إليـهـا نفس صـاحـبـهـا | ظمـأى فلو رأى من قلبـه الغللا |
| كـشـارب الخـمـر لا تشـفـى لذاذته | ولو بطالع حـتـى يكثـر العللا |
| حـتـى تصـرم لذات الشـبـاب ومـا | من الحـيـاة بذا الدهر الذى نسـلا |
| وراعـهـن بواجـهـى بعـد جـدته | شيب تفشع فى الصدغين فاشتعلا |
| وسـار غـرب شـبـابى بعـد حـدته | كـأنما كـان ضـيـفـا خف فـارتحلا |

ثم يخلص من ذلك إلى الحديث عن تأميل ابن آدم فى الدنيا، وأن الموت لا مفر منه... إلخ.

«وإذا كانت المقدمة القصيرة التى حاول أن يقدم بها لقصيدة المديح هذه قد انتهت إلى بيتين جمع فيهما من الصور والتراكيب ما أغناه عن بقية التفاصيل، فإن انتقاله إلى الحديث عن الإنسان، والقوة، وطول الزمان، والسلاح الذى يفك تلك القوة كانت أحاديث الشاعر تدخل فى إطار الفلسفة الواضحة التى ظل الإنسان المحور الأساسى فى تحقيقها.

«ولعل اهتزازات الطلل، وارتعاشات الصورة الكامنة فى بقاياه المندثرة ارتبطت فى ذهنه بصورة الضعف الذى يعتريه وهو يتراجع أمام أبسط العوامل، ويتردد عند أقل الأسباب تأثيرا. إنها المواجهة الكبيرة التى وقف عندها الشعراء وهم يستثيرون فى دواخلهم أسباب الواجهة ويهيئون

الأجواء التى توحي لهم بعوامل الوقوف والحيرة والذهول . . . ». [١٩].

«وإذا كانت أدوات الشاعر، أو وسائله المتنوعة التي اكتملت من حيث البناء، أو توافقت من حيث الشكل قد مهدت له الخوض في غمار بعض المحاولات، واستطاع أن يقف فيها الموقف المناسب إلى حد ما، فإن حالة الجذب أو الانقطاع التى كانت تشد أسباب التواصل أقوى من تأجج المشاعر التى تتفاعل في أعماقه ذاتا واستذكارا.

«وربما تكون هذه الصورة هى الحقيقة الماثلة فى حالة التضاد أحيانا عند شاعر توافرت له أسباب الحضارة، وتذوق صنوف الترف، واستمع إلى الرقيق من الشعر، ولكنه يمتد فى شعره إلى عصر متقدم، وينهج نهج نماذج بعيدة فى كثير من حالاتها عن طبيعة العصر. وقد ولد هذا الجو النفسى فى داخله أسباب المواجهة لأكثر من تيار، وحالات الانشداد لطرفين غير مؤتلفين. اعتمل فى نفسه طرف فانساق لمجاراته، وغلب عليه الطرف الثانى فغلب عليه، وهو فى الحالتين جيد محكم، وفى التعبيرين موفق بارع» [٢٠].

وعجيب أن يكون الوقوف على الأطلال عند عدى ليس مطلعا للقصيدة، وإنما جاء وقوفه بدءاً بالبيت رقم ( ٣٠ )، وذلك فى القصيدة الثالثة التى يقول فيها [٢١]:

٣٠- فهل أنت منصرف فتنظر ما الذى

أبقى الحـــوادث من رســـوم المنزل

---

( ١٩، ٢٠ ) مقدمة الديوان ص ٢١ وما بعدها.

( ٢١ ) ق٣ ص٦٨ وما بعدها.

**٣١ - دار بإحـــدى الرجلتين كـــأنـهـــا**

**قـــد عـــفـــيـت حـــجـــجـــا ولما تحلل**

**٣٢ - وكـان سـهـك المعـصـرات كـسـونـهـا**

**ترب الفـــدافـــد والبـــفـــاع بمنخل**

**٣٣ - لعبت بضاحيها الرياح فأصبحت**

**لايا تأملهـــا شـــفـــا المتـــأمل**

ويدعو لها بالسقيا قائلا :

٣٦ - فـــســقـيت من دار وإن لم تـسـمـعى

أصـــواتـنـا صـــوب الربيع المســـبل

٣٧ - قـــد كـــان أهلك مـــرة لك زينة

فـــاســتـــبـــدلوا بدلا ولم تتـــبـــدلى

٣٨ - فـــابكـى إذا بكت المنازل أهلهـــا

مـــعـــذورة وظلمت إن لم تفـــعـلى

لكن يحمد له هذا التخلص الجيد إلى وصف الديار .

---

ب٣١ : تُحْلَل : تُنزل . الرجلة : مكان أمن سهل ينبت أحسن البقل .

ب٣٢ : السـهك : شـدة مـرور الريح، يقـال : ريح سـهج وسـهـيـوك وسـهـيك وسـهـيج . والمعصرات : ذوات الإعصار، وهي التى تهيج بغبار مرتفع . فدافد : جمع فدفد، وهو ما استوى من الأرض وصلب فى ارتفاع .

ب٣٣ : ضاحيها : ما برز منها .

ب٣٦ : صوب الربيع : مطره . والمسبل : الممطر .

ويبدو أن الشعراء الرسميين كانوا في حاجة لكسب رضا العلماء الذين يحضرون مجالس الخلفاء، ولم يكن يرضيهم ويحوز إعجابهم سوى النموذج الجاهلي الأصيل، ومن هنا كان سعى الشعراء لنيل تلك الحظوة حتى يطير ذكرهم في العالمين.

وكان «عدى» شاعر الوليد الرسمي، الذي ينشد الخليفة في حضرة العلماء فجدير به إرضاء هؤلاء، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمحافظة على تلك التقاليد، ومحاكاة ذلك النموذج.

لقد ترسم خطى الجاهليين الذين كانوا بمثابة أساتذة للشعراء الأمويين كما صرح «الفرزدق».

وها هي إحدى بدايات قصائد «عدى» تثير فينا الإحساس بالصورة التي افتتح بها «النابغة» مطولته، وتوشك أن تكون المفردات المستعملة في الصورتين واحدة، والألفاظ [عيت بالجواب] و[لأيا] و[النضد] و[الوليدة] و[ضربها] هي الألفاظ الواردة في مطلع قصيدة «عدى»، التي أشرنا إليها فيما مضى.

كانت هذه أطلال «عدى بن الرقاع» ولم يكن في ذلك بدعا من الشعراء، فكلهم كان كذلك مواكبا الوجهة التقليدية في وصف الطلل.. من سؤال الديار، وعيها عن الجواب، وتشبيه ما بقى من آثارها بالكتابة أو بالوشم، والدعاء لها بالسقيا، وعفائها حتى لم يبق منها سوى أثافي ونؤى وأخاديد... وغير ذلك، ثم تحديد أماكن الديار، والرياح والأمطار التي تناولها من كل جانب، واهتداء الشاعر إلى مكانها بعد جهد ولأى، وتهييجها أشواقه، وخلوصه من ذلك كله إلى وصف الظعائن... إلخ.

❑ ❑ ❑

## ٢ - النســيب

«إذا كانت نظرة القدامى إلى المقدمة نظرة نفعية إلى حد ما، فإن المحدثين نظروا إليها من أكثر من زاوية، فهناك من قال:

إن المثير الأول الحقيقى لعاطفة الحب هو الحبيبة، ثم كان هناك المثير المصاحب وهو الأطلال.

وهناك من فرع علي هذا فقال:

إذا كانت الحبيبة هى المثير الطبيعى لعاطفة الحب فإن الأطلال هى المثير المقارن أو الصناعى.

وتفسير ذلك - كما يقرر علم النفس - أن الحبيبة بعيدة عن الشاعر فديارها حلت محلها فى إثارة عاطفة حبها، فلما ثارت هذه العاطفة أقبل المحب على الجدران يقبلها؛ لأن الديار وجدرانها هى المثير الصناعى، والذى سوغ ذلك أن الحبيبة كانت تسكن الديار، فاقترنت الديار بها حتى صارت الحبيبة وديارها وحدة متماسكة، فإذا كان الجزء قد ارتحل، فإن الجزء الآخر قد حل محله»[٢٢]...

ولا يكاد يخلو شاعر - فى كل عصر - من أن يجول فى الغزل، وأن يكون له فيه حظ يناسب هواه، وهوى جمهرة الناس، التى تسمع شعره

---

(٢٢) د/ عبده بدوى: وجهة نظر حول قضيتى الطلل والتشبيب - فصول مجلد ١ عدد ٤ ص٢٥.

وتعجب به. ولا تكاد تخلو قصيدة من بدئها بالغزل عدا قصيدة الرثاء...[٢٣].

وليس كل متغزل متيما كما قال المتنبى:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم ... أكل فصيح قال شعرا متيم؟

وذلك هو الغزل الصناعي المرتبط بديار الحبيبة وطيفها...

وكما تحدرت الأطلال إلى الشعراء الأمويين من الجاهلية تحدر الغزل، غير أن هذا الغزل فى العصر الأموى أتيح له شعراء وقفوا فنهم عليه وصاروا متخصصين فيه كعمر بن أبى ربيعة، وبذلك غدا الغزل فنا قائما بنفسه.

وقد جاء حديث «بهدى» عن المرأة تاليا لحديث الطلل.. والشاعر يصرح بأن صلته بالمرأة كانت صلة لهو[٢٤]:

الهو بواضحة الخدين طيبة ... بعد المنام إذا ما سرها ابتذلا

وقال[٢٥]:

وقد بدلت بعد الجهل حلما ... وبعد اللهو فاسترض البدالا

وما قد كنت تلهو فى الليالى ... بمثل البكر تتبع الغزالا

وقال[٢٦]:

---

(٢٣) الغزل عند العرب: حسان أبو رحاب ص٦٧ ط أولى ١٩٤٧.

(٢٤) القصيدة ٤ ص٧٣.

(٢٥) القصيدة ٧ ص١٠٨.

(٢٦) القصيدة ١١ ص١٣٨.

دار مكتومة التي فعتتني ... بخبال فمن لقلب سقيم

جمعتنا بها نوى الحي حولا ... نتلهى بسرنا المكتوم

دائبا لاهيا تخون حلمي ... بثنايا غر ووجه وسيم

ووصفه للمرأة لا يخرج عن دائرة وصف الجاهليين لها، فهو يقرن – كما فعلوا – بينها وبين الظبية كما فى قصيدته التى حازت إعجاب النقاد جميعا يقول(٢٧):

٦- ولرب واضحة الجبين خريدة ... بيضاء قد ضربت بها أوتادها

٧- تصطاد بهجتها المعلل بالصبا ... عرضا فتقصده ولن يصطادها

٨- كالظبية البكر الفريدة ترتعي ... من أرضها قفراتها وعهادها

٩- خضبت لها عقد البراق جبينها ... من عركها علجانها وعرادها

---

(٢٧) القصيدة ٥ ص٨٢.

ب٦: واضحة الجبين: بيضاء. الخريدة: البكر التى تمسس قط، وقيل هى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة.

ب٧: بهجتها: حسنها: المعلل بالصبا: المشغول به. تقصده: الإقصاد: أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه.

ب٨: البكر: التى ولدت بطنا. الفريدة: التى انفردت عن صواحبها وخذلتهن حتى تقيم علي ولدها. قفرات: جمع قفرة. وروى [قفات] جمع قفة، وهى الشجرة المستديرة المرتفعة عن الأرض قدر شبر ثم تيبست. العهاد: جمع عهدة وهو: أول ما يقع من المطر، وقيل: هو كل مطر بعد مطر.

ب٩: خضبت: أثرت في جبينها، وخضب الشجر إذا ظهر ورقه بعد المطر. عقد: جمع عقدة وهو من الشجر ما ثبت أصله. العلجان: شجر أخضر مظلم الخضرة متهصر=

١٠– كالزين في وجه العروس تبذلت بعد الحياء فلا عبت أرآدها

١١– تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

١٢– ركبت به من عالج متحيرا قفرا تربب وحشه أولادها

١٣– بمجر مرتجز الرواعد بعجت غر السحاب به الثقال مزادها

١٤– فترى محانيه التي تسق الثرى والهبر يونق نبتها روادها

= ليس فيه ورق وإنما هو قضبان كالإنسان القاعد، ومنبته السهل ولا تاكله الإبل إلا مضطرة. العراد: شجر غليظ كبير، وقيل هو حشيش طيب الريح.

ب١٠: الزين: الشامة، أو النقط في وجه العروس تكون من زعفران، أو هو ما تتزين به من الحلى. أرآد: مفردها: رئد وريد، ومعناها: الأتراب والأصدقاء، وقيل: ارآدها: أغصانها.

ب١١: تزجى: تسوق أو تدفع. الأغن: الظبى الصغير ضعيف الصوت، أو صوته يخرج من خياشيمه. إبرة روقه: حد قرنه. المداد: الحبر.

ب١٢: عالج: قيل هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض، وقيل: هو شجر يأكله البعير، وقيل: هو اسم موضع نسب إلى الشجر واقع بين فيد والقريات على طريق مكة لاماء فيه. متحير: صعب المرتقى. تربب: تربى، يقال: ربيته ورببته بمعنى.

ب١٣: مجر: ما فى بطن الناقة. مرتجز الرواعد: أى مرتجز بالرعد أى كان رعده صوت مرتجز. الرواعد: جمع راعدة وهى الرعد. ويروى: [مرتجز الروائح] أى السحب التى تمطر بالعشى. بعجت: شقفت، يقال: تبعج السحاب وانبعج بالمطر: انفرج عن الودق والوبل الشديد.وغر السحاب: بيضه، وهى الثقال، اى انها كثيرة الماء. المزادة: الرواية، وقال ابن سيدة: هى التى يحمل فيها الماء.

ب١٤: محانيه: معاطفه وثناياه، جمع محنية، وهو ما انحنى من الوادى. تسق: من الوسق وهو الجمع، يقال: لا أكلمه ما وسقت عينى الماء، ووسقت الإبل إذا طردتها =

٤

| | |
|---|---|
| ١٥- بانت سعاد وأخلفت ميعادها | وتباعدت منا لتمنع زادها |
| ١٦- إنى إذا مـا لم تصلنى خلتى | وتباعدت عني اغتفرت بعادها |
| ١٧- وإذا القرينة لم تزل فى نجدة | من ضغنها سئم القرين قيادها |
| ١٨- إمـا ترى شيبى تفشع لمتى | حتى علا وضح يلوح سوادها |
| ١٩- فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة | لى جاعلا يسرى يدىُ وسادها |

... إلخ.

يبدو لى أن عديا وهو ينظم قصيدته هذه كان يضع نصب عينيه معلقة «طرفة»، أو كانت فى ذهنه وقت إنشائها.

فعدى فى الأبيات الخمسة الأولى يصف الديار التى زار ما بقى منها مرارا، وقد شملها البلى ولم يبق فيها سوى الأحجار التى كانت تنصب للقدور.

وطرفة وقف على الأطلال ثم وصف موكب الحبيبة فى خمسة أبيات أيضا، وانتقل طرفة ليصف الخذول:

---

= = وجمعتها. الثرى: الندى، ومثل هذه الارض يكون نبتها ناعما. الهبر: المطمئن من الرمل أو الارض وما حوله أرفع منه. يونق: يعجب. الرواد: طلاب الكلا والمرتع الخصب.

ب١٥: بانت: بعدت.

ب١٦: الخلة: الصديق والصداقة. والمراد هنا: المرأة المحبوبة. اغتفرت: احتملت.

ب١٧: القرينة: الزوجة. النجدة: الشدة والتعب. من ضغنها: حقدها وبغضها.

ب١٨: تفشغ الشيب: كثر وانتشر. اللمة: الشعر المجاور شحمة الاذن. الوضح: البياض.

خـــذول تراعى ربربا بخــمــيلة ... تنـــاول أطـراف البـــرير وترتـــدى

وعـدي شبـه المرأة بالظبيـة التى تسـوق ولدها وذلك فى بيتـه الذى حسده عليه فحول الشعراء وتناقلته كتب البلاغة والنقد وهو:

تزجى أغن كــــأن إبرة روقـه ... قـلـم أصــــاب من الدواة مـــدادها

وإذا كان القدماء من الشعراء يقرنون بين المرأة والظبى فإن عديا نأى عن الابتذال بتمثيل وتفصيل..

والظبية هنا فريدة ترتعى كما كانت عند طرفة، وتركيز الشعراء على تفردها يعطى فرصة لتأمل جمالها وحسنها، فلو كانت وسط القطيع لم يستبن هذا الحسن.

كما أنها حين ترعى وهى منفردة تمد عنقها، وتنظر بعينيها فى ترقب وحذر هنا وهناك، فيكون من أجمل المناظر.

هذه الحبيبة لشدة جمالها تأسر المحب الواله، لقد اصطادته، فى حين لا يستطيع هو اصطيادها.. وتأمل هذا الطباق الرائع الذى لا تشعر فيه بأدنى تكلف.. وإن الشباك التى صيد بها شباك قوية رغم أنها غير مرئية، إذ يصاد بها القلب.

وعدى يكرر هذه الصورة فى شعره، فالمرأة تمتلك شباكا تصيد بها الرجال، على أن حبال المرأة هنا ليست قوية كحبالها فى شعر الأخطل حين قال:

يمددن من هفــواتهن إلى الصبــا ... ســبــبــا يصــدن به الغــواة طوالا

مـــا إن رأيت لغــدرهن إذا جـــرى ... فـــينا ولا كـــحـــبـــالهن حـــبـــالا

وهذه الفتاة مثل تلك الظبية التى تخلفت عن صواحبها، وأقامت على وحيدها، وهى تتبع مواطن الكلأ والعشب. وهذا الكلأ متناثر فى الأرض.. و«القفات» شجر مستدير مرتفع عن الأرض قدر شبر، وهى تأكل كذلك ما أنبته المطر وهو لا يزال صغيرا، وهناك بعض أشجار غليظة مظلمة الخضرة متهصرة. وكان «عدى» دقيقا حين قال «ترتعى» كان الظبية تأخذ ما بين الحجارة، فالكلأ لا يملأ المكان كله، إنما ينبت بين الحجارة.

والظبية - لعركها هذه وتلك - أصبحت وكأنها قد زينت جبينها بخضاب فأشبهت العروس ليلة زفافها..

لقد أثر العرك فى جبين الظبية، وكان الأثر ممثلا فى صورة نقط فى جبينها. وقد تكون «عقد البراق» نقطا من الطين فى الأرض المبتلة، وليست من الشجر، قال الأصمعى: البرقاء: غلظ فيه حجارة ورمل وطين.

وهذه النقط السوداء فى وجه الظبية كالشامة فى وجه العروس يوم تضع طرحة زفافها، وتكشف عن وجهها فتظهر هذه العلامات فى وجهها، إذ طرحت الحياء وأخذت تلاعب أترابها. أو أن الملاعبة هنا من الظبية لفرخها.

وهذه الظبية الأم تسوق ابنها سوق رفيقا.. وذكر الأمومة هنا يضفى على الظبية رقة وحنانا وجمالا..

ويحاول الشاعر تحديد عمر ذلك الصغير وذلك من خلال وصفه له بقوله: (أغن) أى صغير، ضعيف الصوت، لم يصف صوته بعد. وكذلك من خلال وصف قرنه إذ يشبه طرفه بقلم أصاب حبرا من الدواة.

ويمضى «عدى» فى وصف الظبية فيذكر أنها واصلت سوق ابنها ودفعه دفعا رقيقا حتى وصلت به «رمل عالج» ، وهو مكان صعب المرتقى «متحير»، إلا أنها استطاعت ارتقاءه، وتمكنت من ذلك تمكنا، وهذا ما أفاده التعبير بـ« ركبت» .

وهذا المكان مقفر، يعج بالوحوش التى تربى أولادها .

ونلاحظ حرص الشاعر على تحديد المكان على عادة القدماء ولا سيما أصحاب مدرسة «عبيد الشعر» . . هذا إذا اعتبرنا أن «عالج» هو المكان بين «فيد» و«القريات» على طريق مكة .

وهذا المكان – على ما به من وعورة – سىء المناخ كذلك، فالرعد له صوت كصوت المرتجز . وعلى رواية :

( مرتجز الروائح ) أى السحابة التى تمطر بالعشى . . فالسحاب ينفرج عن المطر الغزير فينصب بعد هذا التشقق الذى حدث للسحاب، ولما كانت السحب ثقالا كان ماؤها غزيرا . ومن هنا امتلأ الوادى بالماء، وها هو يسير سيرا يدفع التراب ويجمعه فى أماكن معينة .

هذا على أن معنى [الثرى] التراب، أو هو التراب الندى، و[تسق] تدفع وتضم . وللوسق معان متعددة :

فكل شىء حملته فقد وسقته، ومن أمثالهم : لا أفعل كذا وكذا ما وسقت عينى الماء، أى ما حملته . ووسقت النخلة : إذا حملت . فإذا كثر حملها قيل : أوسقت أى حملت وسقا . والوسق : الجمع والطرد . . .(٢٨) .

---

( ٢٨ ) راجع اللسان : وسق .

وقيل: الثرى: الندى، يقال: ثريت الأرض إذا نديت ولانت بعد الجدوبة واليبس. وأغزر ما يكون من المطر إذا التقى الندى الأعلى مع الأسفل.

فالشاعر بذلك يبين غزارة هذا المطر فى ذلك المكان.. وتبدو الحالة النفسية للشاعر - حين أنشأ قصيدته - مطمئنة سعيدة راضية، هذا ما أفادته عبارته [ يونق نبتها روادها ].

إن نزول المطر فى هذه الأرض المقفرة أسعد الرعاة طالبى الكلأ والمرتع الخصب. ورغم غزارته إلا أنه ليس مدمرا وإنما مربع منبت.

وعاد الشاعر ليتحدث عن فراق حبيبته «سعاد» تلك التى بانت، كما بانت «سعاد» كعب بن زهير، وأخلفت ميعادها، وببعادها امتنع الزاد، والزاد هو النظر والحديث...

ويبدو «عدى» غير محب حين يصرح بأنه يحتمل بعاد محبوبته، فهذا ليس من سمات المحبين، فالمحب حقا يأسى لفراق صاحبته كما هو حال العذريين.

وقد تكون هذه المرأة زوجه فهى [ قرينة ] ولما كانت نفورا ضاغنة حاقدة فإن زوجها سئم قيادها ومل من إصلاحها. وقيل: القرينة هى الشديدة.

يقال: فلان إذا جاذبته قرينته وقرينه قهرها. أى: إذا قُرنت به الشديدة أطاقها وغلبها، وفي المحكم: إذا ضُمّ إليه أمر أطاقه.

والمعنى على ذلك: إن النفس الشديدة صعبة المراس إذا ما اشتدت فى

طلب الوطن والحنين إليه يصعب ان تثنيها عما رغبت فيه وتعلقت به.

ولعل الشاعر هنا يحن إلى بلده وموطنه.

ولم يقتصر حديثه على امرأة واحدة، بل تعددت أسماء النساء.. فمنهن:

ر (رُوَيْمَة).

تلك التى كانت - فيما يبدو - من جاراته، يقول عنها(٢٩):

| | |
|---|---|
| ٧- عـــاد للقلب من رويمة رد | بعد صرم مبين واجتناب |
| ٨- وسبته بناصع اللون حر | وثنايا مفلجات عذاب |
| ٩- دمية شافها رجال نصارى | يوم فصح بماء كنز مذاب |
| ١٠- أومهاة تبلج الليل عنها | باللوى بين عالج فالجناب |
| ١١- وإذا الناشئ الرفل رآها | لج من ذات نفسه فى التصابى |

لقد كان هناك صدود واجتناب، ثم عاد الرد من ( رويمة )، تلك التى ذهبت بعقله بذلك الوجه الناصع البياض.. إن صورتها كصورة جميلة رائعة مرسومة بريشة حاذق ماهر من النصارى استخدم ماء الذهب فى

( ٢٩ ) الديوان: القصيدة الثانية ص٥٠-٥٢.

ب٨: سبته: ذهبت بعقله. ناصع اللون: أى الوجه الخالص البياض. حر: عتيق.

ب٩: دمية: صورة. شافها: جلاّها وحسنها. ماء كنز: ماء الذهب.

ب١٠: المهاة: البقرة الوحشية. تبلج الليل: انكشف عند انسفار الصبح. اللوى، عالج، الجناب: أماكن.

ب١١: الناشئ: الحدث. الرفل: المسبغ إزاره المختال.

التنميق والتحسين أو هي مهاة انكشف عنها الليل عند انسفار الصبح، لو رآها الناشئ المختال بنفسه وجماله وحسنه وفتوته لج في تصابيه.

وفي القصيدة نفسها يتذكر حليلته، ويحزن لتقلبها واغترابها، ويعاتبها عتابا رقيقا، وهو إذ يحن إليها يقرن حنينه بحنين النياق الشداد.... إلخ[٣٠].

**«صفـــراء».**

وقد وصفها بقوله[٣١]:

| | |
|---|---|
| ٣- جيداء يطويها الضجيع فتنطوى | طى الحمـــالة لين مـــتناها |
| ٤- صادتك أخت بنى لؤى إذ رمت | وأصاب سهمك إذ رميت سواها |
| ٥- وأعـارها الحـدثان منك مـودة | وأعـــير غـــيرك ودها وهواها |
| ٦- تلك الظلامة قد علمت فليتها | إذ كنت مكتـــبلا تلم نواها |
| ٧- بيضاء تستلب الرجال عقولهم | عظمت روادفها ودق حشاها |
| ٨- وكـان طعم الزنجبـيل ولذة | صـهباء ساك بها المسحر فاها |

---

(٣٠) انظر الأبيات ٣٣ وما بعده. ص٥٧، ٥٨.

(٣١) ق٦ ص٩٦ وما بعدها.

ب٤: صادتك: غلبت على قلبك وتيمتك.

ب٦: أى ليتها إذ صادت فؤادك كنت عندها مكتبلا، أى محبوسا. تلم نواها، أى تقرب منك.

ب٨: الصهباء: التى عصرت من عنب أبيض. ساك: من السواك. والمسحِّر: الذى يقوم عند السحر فيسقيها.

٩- ياشوق ما بك يوم بان حدوجهم　　من ذى المويقع غُــدوة فــرآها
١٠- وكـان نخـلا فى مطيطة ثاويا　　بالكمع بين قـرارها وحـجـاها

إلى أن يقول:

١٩- فإذا تحير فى الفؤاد خيالها　　شرق الشؤون بعبرة فبكاها
٢٠- أفـلا تناساها بذات براية　　عنس تجل إذا السفار براها

ويستمر فى وصف الناقة وصفا دقيقا بارعا كما سنبين بعد.

وفى هذه القصيدة يطيل أوصاف «صفراء»، فهى: جيداء، وهى تصيد بشباكها، وهى بيضاء. ثم يعود ليركز على استلابها العقول..

ولا تزال الأرداف الثقيلة، وضمور الخصر المثال الذى يترسمه شعراء الغزل، فها هو يصف ردفها بالضخامة، وحشاها بالدقة، وطعم ريقها كطعم النبيذ المعصور من عنب أبيض.

وهى أوصاف تتكرر فى شعره.

**«أم القاسم»** ويقول فيها(٣٢):

٧- لولا الحياء وأن رأسى قد عثا　　فيه المشيب لزرت أم القاسم

---

ب٩: يا شوق ما بك: يتعجب من إفراطه بان فارق الحدوج.

ب١٠: مطيطة: موضع. ثاو: مقيم. الكمع: المطمئن من الارض. القرار: جمع قرارة وهو المطمئن من الارض يجتمع إليه الماء. الحجا: ما أشرف من الارض.

ب١٩: شرق: كثرت دموعها. الشؤون: جمع شأن وهو مجْرى الدمع إلى العين.

(٣٢) ق٩/١٢٢ وما بعدها.

٨- وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

٩- وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

١٠- يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير لذتها بروح النائم

١١- وإذا هي ابتسمت بدا متشتت عذب تروع به فؤاد الحالم

١٢-ومن الضلالة بعد ماذهب الصبا نظري إلى حور العيون نواعم

١٣-يذعرن من صلع الرجال وشيبهم ويمقن شيمة كل أهيف عارم

١٤-أعرضن حين فقدن غرب بطالتي ونسين حسن خلائقي وتمائمي

١٥- فإذا ملامسة الشباب ولهوه منهن لا قصص الفقيد العالم

ويتحسر فيها على أيام شبابه، ورغم أنه قد علاه الشيب إلا أنه لا يزال متعلقا بـ « أم القاسم »، والحياء والشيب منعاه من زيارتها.. ثم يأخذ في نعتها، فهي بين النساء متفردة متميزة إذ أعارها ظبي عينيه.. وإنها ناعسة الطرف وليس ذلك من علة، وإنما هي صفة طيبة في النساء وحتى يومنا هذا..

---

ب٨: احور: يعني جؤذرا، وهو ولد البقرة، والحور هو ان يكون البياض محدقا بالسواد كله. جاسم: اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ.

ب٩: الوسنان: الناعس. أقصده: أي بلغ منه وأصابه. رنقت: الترنيق: الدنو من الشيء. ورنق الطائر: إذا جعل يحوم ويدور. والترنيق أيضا: أن تقصر عن الخفقان بجناحيها.

ب١٠: يقظان: فطن. بروح النائم: أي يحلم بها في منامه.

ب١١: متشتت: يعني ثغرا ليس بالمتراص الثنية، أي: مفلج. والحالم: الحليم.

ب١٣: يمقن: يحببن. الأهيف: الضامر البطن. العارم: صاحب عرامة وغزل.

ب١٤: تمائمي: رقاي وحديثي. وقيل: عوذه التي كان يستميلهن بها ويرقيهن.

وقد أشرنا إلى تفضيل النقاد هذا البيت على ما سواه في معناه.. وعدى يكرر ذكر «الصيد» كثيرا، ويركز على اصطياد المرأة الرجال وقلوبهم، وهنا حديث «أم القاسم» هو الذى يصيد. يصيد يقظان الرجال، والنائم لا يسلم منها كذلك إذ يحلم بها فى منامه فتطير به. وهى عندما تبتسم يظهر ثغرها المفلج، ذو الريق العذب مما يروع فؤاد الحليم.

وهكذا كان يقظان الرجال مصيدا، والنائم طائر الروح، والحليم مروع الفؤاد.

ويفيق الشاعر من صبوته، ويتذكر شيبه، فيرى أنه لا ينبغى لمن صار فى مثل عمره أن ينظر إلي حور العيون النواعم، ثم إنهن – صواحب العيون الحور – لا يعبأن بمن فى سنه، وإنهن ليذعرن ممن أصابه الصلع أو علا رأسه الشيب، ولا يتطلعن إلا إلى الشباب ذوى البطون الضامرة والأحاديث العذبة.

وتشعر بتحسر الشاعر على ذهاب أيام شبابه، وذلك من خلال إخباره بإعراض النساء عنه، فشأنهن ملامسة الشباب وليس من شأنهن قصص العالم. ويظهر تحسره هذا في قوله [أعرضن]، [فقدت]، [نسين]..

ومن أسماء النساء اللاتى تغزل بهن:

«مكتومة»(٣٣)، «حُسَيْنة»(٣٤)، «سلمى»(٣٥)، «سلومة»(٣٦)،

(٣٣) الديوان ق ١١/ ١٣٨.

(٣٤) نفسه ق٢٣/ ٢١٠.

(٣٥) نفسه ق١٨/ ١٧٨.

(٣٦) نفسه ق١٩/ ١٨٦.

« سعاد »[٣٧]، وغيرهن.

وقد لا يصرح باسم المرأة المتغزل فيها، مكتفيا بصفاتها.

والمرأة عنده : بيضاء الوجه، واضحته، أسيلة الخدين، طويلة الجيد، سمراء الشفتين، كحيلة العينين، مسترسلة الشعر، حشاها أهضم، حوراء، ثغرها كالبرد، وهو براق، وطعمه طعم ماء ابطح، ومقبلها يشفى النفس، وهى بهنانة - أى ضحاكة -، حسنها فائق، تستلب عقول الرجال.. وهى خود، حين تمشى تتثنى فى مشيتها، وبالجملة فهى كمهاة صريم، أو ظبية من ظباء الحوة، وإنها محصنة، مصونة، طاهرة، عفيفة، حيية، ليست فاحشة.

هكذا بدا لنا غزل « عدى بن الرقاع » الذى لا يخرج - فى معانيه ومبانيه - عن النمط الجاهلى، مما يدل على عكوفه - وشعراء عصره كذلك - على التراث الجاهلى نهلاً وتمثلا، حتى انسابت معانيه على ألسنتهم انسيابا.

وإذا كان الجاهليون قد استخدموا أسلوب الاستدارة فى معرض الغزل فإن عديًّا قد استخدمه أيضا حين قال[٣٨]:

| | |
|---|---|
| ١٠- فما بيضة بل أدحيتها | ربيع تحلب أو صيف |
| ١١- مجللة من بنات النعا | م بيضاء واضحة تلصف |

---

(٣٧) نفسه ق٥/٨٦.

(٣٨) نفسه ق٢٣/ ٢١١-٢١٢.

ب١٠ : يريد بيضة النعام، شبه المرأة بها. والأدحى : مبيض النعامة.

ب١١ : مجللة : محركة، يحركها الظليم بجؤجؤه لتستوى فى موضعها. تلصف : تبرق.

١٢- إذا مطرت جشمت فوقها ... مخوية زفها ينطف

١٣- بأحسن منها إذا ما علا ... نقائب من حليها رفرف

## رحلة الظعن

ووصف عدى الظعن والهوادج، ولكن ذلك قليل فى شعره، فهو ليس تاليا للوقوف على الأطلال عنده دائما. وقد يطيل ويفصل فى وصف رحلة الظعن، ويتوسع فى أوصافها، ويجمع معظم تقاليدها، وأحيانا يذكر الظعن فى بيتين أو ثلاثة، إلا أنه يطيل فى وصف أصداء الفراق فى نفسه.. فمن ذلك قوله(٣٩):

١٣- لما غدا الحى من صرخ وغيَّبهم ... من الروابى التى غربيها الكمم

١٤- ظلت تطلع نفسى إثرهم طربا ... كأننى من هواهم شارب سدم

١٥-مُسطَارةٌ بكرت في الرأس نشوتها ... كأن شاربها قد مسه لمم

١٦- حتى تعرض أعلى السيح دونهم ... والجُبُّ جُبُّ بنى العسراء والهدم

---

ب١٢: ينطف: يقطر.

ب١٣ رفرف: لؤلؤ منظوم.

(٣٩) ق٨ص١١٧، ١١٨.

ب١٣: صرخ: بلد. الكمم: مكان.

ب١٤: تطلع: أى تتوق في إثرهم. الطرب: خفة تأخذ من مرح أو حزن. سادم: حزين مغتاظ، والسدم: غيظ مع حزن.

ب١٥: مسطارة: خمر النشوة والسكر. به لَمَمٌ: أى أصيب بالجنون.

ب١٦: السيح: واد، ويطلق على كل نهر جار سيح. الجب: حفرة فى الأرض يوسع أسفلها ويضيق أعلاها.

١٧- فنكبوا الصوة اليسرى فمال بهم    على الفراض فراض الحامل الشلم

وقال(٤٠): وأطال الوصف لرحلة الظعن:

١- إن الخليط أجدوا البين فانقذفوا
وأمتعوك بشوق أية صرفوا

٢- ما أقلعوا يضربون الأمر بينهم
إذا النوى فوتت أولاهم اختلفوا

٣- حتى اهتدوا للتى كنا نظن بهم
وانسلوا الحاجة القلب الذى شعفوا

٤- وأدبروا ترتمى الأرض الفلاة بهم
لبنة ثم ما عاجوا ولا عطفوا

٥- وأعرض الآل دون الحى فانتصبت
قوى النوى بذوى الأضغان فائتلفوا

٦- وشمرت بهم بُزَل مُحَبَّسةٌ
وحال دونهم الربو الذى عسفوا

٧- باء القتيل الذى اختانوه غائلة
ما كلفوا ديةٌ فيه وما حلفوا

---

ب١٧: نكبوا: عدلوا. الشلم: مكان.

(٤٠) القصيدة رقم ٢٨ ص٢٣٤ وما بعدها.

ب١: الخليط: المجاورون. وقيل: القوم الذين أمرهم واحد. البين: الفراق.

ب٣: انسلوا: أخرجوا.

٨- ظلـمــــا ولو أنهم جــــاءوا إلى . . .

يعطى الســـوية كـــان الحى قـــد نطفـــوا

٩- تقـســمـوا قلبـه ثم اغـتـدوا زجـلا

واســـتكرهوه بـدمع لـم يكـن يكـف

١٠- كـــــان ظعـنهـم فى الآل حـين نـأوا

إذا اســـتـقلت بـهم بيــداء أو شـــرف

١١- نخـل تبـــيت عناق الطيـــر آمنة

بحـــيث ينبث منه البســـر والســعف

١٢- عـــالين رقـــمـــا من الأصناف زينه

قـــعـــائد وجلوس فـــوقــــهـــا غـــرف

١٣- حـتى إذا مـا قـصين الجـملة اندفـعت

شم الجـــبـــال بهـن الجـــملة الشـــرف

١٤- من كـل آدم عـــود فى لهـــازمـــه

من غـــيـــر ضـــربة عـــرق خـــانه كلف

١٥- إذا حــدين نما قــدمــا فــمـــهله

علـى نـواعـــبـــهـن الأيـد والرسـف

---

ب٨: السوية والسواء: العدل والنصف والنصفة. نطفوا: عطبوا.

ب٩: زجلا: فرقا. فاستكرهوه بدمع: أى بكى فى أثرهم.

ب١٢: الرقم: ضرب من الأنماط. قعائد وقعيدة: وهى مخدة كبيرة. الجلوس: البراذع.
الغرف: الهوادج.

ب١٣: قصين: فرغن من الاجتمال.

ب١٥: مهله: قدمه. والنعب: سير سريع شديد. الرسف: مشى فى تقارب.

١٦- وفي الخدور دمى حور مصورة
خلقن أحسن مما قال من يصف

١٧- لا قين عيشا من الدنيا سعدن به
وما المعيشة إلا منعة سلف

١٨ - إذا ذكرن حديثا قلن أحسنه
وهن عن كل سوء يتقى صدف

١٩ - قد كن للقلب هما فهو مختبل
صب بهن ولو عذبنه كلف

٢٠ - من كل بيضاء لم يسفع عوارضها
من المعيشة تبريح ولا ازف

٢١ - وفي الفريق الألى باتوا منعمة
هيفاء لم يغذها من عيشها شظف

٢٢ - كبيضة الهيق في الأدحى بات لها
دون الندى من خوافي دفه عطف

٢٣ - إذا دجا الليل ولاها مقاتله
فقد يرى لحمه من حبها العجف

ويزوره طيف حبيبته ليلا في المنام - علي عادة الشعراء. قال الشريف المرتضى:

« تعجب الشعراء كثيرا من زيارة الطيف على بعد الدار، وشحط

---

ب٢٢: العطف: الأرْدية، واحدها عطاف.

المزار، ووعورة الطرق، واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده، وعاضد يعضده، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف، فى أقرب مدة، وأسرع زمان، لأنهم فرضوا أن زيارة الطيف حقيقة، وأنها في النوم كاليقظة، فلابد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه من طى البعيد بغير ركاب، وجوب البلاد بلا صحاب..»[٤١].

ومن عادة الشعراء أن يذكروا هذه الأطياف وزيارتها لهم بعد أن يحل بهم التعب، وتكل الإبل من شدة النصب، فينيخوا عيسهم لأخذ قسط من الراحة.

وقد زار عديا طيف محبوبته دونما موعد، فكان ذلك وصلا من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وجودا من بخيل - كما ذكر المرتضى.

والشاعر سعد أيما سعادة بهذه الزيارة من طيف صاحبته، وأخذ يتخيل أشياء مع الطيف لا تتأتى له فى الحقيقة مع صاحبته.. يقول[٤٢]:

١- أهم سرى أم عاد للعين عائر
أم انتابنا من آخر الليل زائر

٢ - ونحن بأرض قل ما يجشم السرى
بها العربيات الحسان الحرائر

---

(٤١) طيف الخيال / الشريف المرتضى ص٦ تحقيق حسن كامل الصيرفى - دار إحياء الكتب العربية - ١٩٦٢.

(٤٢) الديوان ص١٩٧، ١٩٨.

ب١ : عائر وعوار : وجع فى العين كالقذى من الرمد.

٣ - كثير بها الأعداء يحصر دونها
بريد الأمير المستحث المثابر

٤ - فبت ألهى فى المنام كما أرى
وفي الشيب عن بعض البطالة زاجر

٥ - بساجية العينين خود يلذها
إذا أطرق الليل الضجيع المباشر

٦ - كأن ثناياها بنات سحابة
حداهن شؤبوب من الغيث باكر

٧ - فهن معا أو أقحوان بروضة
تعاورها يومين طل وماطر

٨- فقلت لها : كيف اهتديت ودوننا
دلوك وأشراف الجبال القواهر

---

ب٥ : ساجية العينين: فاترة الطرف، قال الليث وغيره: وعين ساجية أى: فاترة النظر وهو من محاسن المرأة. الخود: الفتاة الحسنة الخلق، الشابة، وقيل: الجارية الناعمة.

ب٦ : بنات سحابة: يعنى البرد. حداهن: ساقهن. شؤبوب: دفعة من المطر وغيره، ولا يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد، ويقال للجارية: إنها لحسنة شآبيب الوجه وهوأول ما يظهر من حسنها فى عين الناظر إليها.

ب٧ : تعاورها: أصابها ذا بعد ذا.

ب٨ : دلوك: موضع. أشرافها: أعاليها. القواهر: العوالى، أى: تقهر من يصعدها.

إنه يتساءل عن سر دمع عينيه، هل السبب سريان هم؟ أم أن العين أصابها عور؟ أم أن زائرا غير مرغوب فيه قد حل به كالمصيبة ( انتابنا )؟.

ولقد زاد إحساس الشاعر بالقلق والهم كونه بأرض كثير بها الأعداء. ولست أدرى من هؤلاء الأعداء. ولكن القارئ يحس بأن نفسية الشاعر مرهقة، يزداد همها، ويتضاعف توترها.. وإذا فليحاول النسيان، وهذا ما جعله يتلهى فى منامه برؤية فتاة ( ساجية العينين، خود، ثناياها تشبه حبات البرد الصغير....... ).

❐ ❐ ❐

# ٣ - المــدح

## توطئة .

المدح: «أن توجه إلى الممدوح من صفات الخير ما يكون له وفيه، وما يليق به»[43] وهو فن شعرى قديم، لكنه لم يكن بابا «من أبواب الشعر العربى فى أول نشأته، وأكبر الظن أنه تأخر فى الوجود عن كثير من فنون الشعر التى يتغنى فيها الشاعر بعاطفة قديمة شخصية كالغزل مثلا، وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وربما صنع أحدهم شعراً يشكر به يدا لا يستطيع أداء حقها إلا بالشعر، تعظيما لها وتخليدا»[44].

وفى أخريات العصر الجاهلى احتلت قصيدة المديح مكانا مرموقا بين فنون الشعر، إذ اقترن المديح بأسماء شعراء فحول كـ«الأعشي والنابغة وزهير».

ولما جاء الإسلام قل المدح، وذلك لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب»[45]. وسلك أصحابه - رضوان الله عليهم - مسلكه، وساروا على سيرته وهديه، لا

---

(٤٣) نقد الشعر ٣٨.

(٤٤) أسس النقد الأدبى ١٧٧.

(٤٥) رواه مسلم / كتاب الزهد برقم (٦٩)، وأحمد فى مسنده ٦ /٥، والترمذى فى كتاب الزهد برقم (٥٥).

يتطلعون إلى مديح ولا يشجعون عليه(٤٦).

وإذا كان المتكسبون بالشعر فى الجاهلية يكادون يعدون على الأصابع، فإن «الدواعى إلى التكسب بالشعر بعد صدر الإسلام قد توافرت، وبدأت هذه الظاهرة فى العصر الأموى أقوى وأعنف مما كانت عليه في عصر الجاهليين، وكان ذلك هو الطابع السائد فى العصر الأموى، اللهم إلا ما كان فى عهد «عمر بن عبد العزيز» الذى سار فى حكمه على سنن الراشدين، والذى أبى على الشعراء أن يجدوا إلى تملقه سبيلا»(٤٧).

لقد قفزت الخلافة إليه قفزاً - كما يقول المودودى - متخطية أولاد سليمان بن عبد الملك، وقامت دولة الإسلام فى عهده على أساس ونظرة إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [إن الله جل ثناؤه بعث محمداً داعيا إلى الإسلام، ولم يبعثه جابيا](٤٨).

---

(٤٦) راجع: كعب بن مالك الأنصارى. د/ محمد على الهاشمى ١٩٣.. وعن أبى معمر قال: قام رجل يثنى على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثى عليه التراب، وقال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نحثى التراب فى وجوه المداحين. انظر تخريجه السابق. وأيضا [مسلم ٦٩، والترمذى ٢٣٩٣].

(٤٧) ظاهرة التكسب فى الشعر العربى. د/ درويش الجندى ص٢٢، والبداية والنهاية ٩/٢٧٣. وقد ذكر ابن كثير: انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء، فمكثوا ببابه أياما لا يؤذن لهم، ولا يلتفت إليهم. فدخل عليه رجل اسمه «عدى» فقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك، وسهامهم مسمومة، وأقوالهم نافذة، فقال: ويحك يا عدى، ما لى وللشعراء.... إلخ. ثم إنه أذن لهم بالدخول بعد ذلك.

(٤٨) انظر: رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ص١٧.

ويمكن القول: إن جمهرة الشعراء فى عصر بنى أمية قد انتهجوا نهج التكسب بالشعر العربى، وصار التكسب منذ هذا العصر هو الأصل، وما عداه هو الفرع، وشذ وندر من لم يسلك هذا السبيل.. لقد كان حب المال، والرغبة فى الهبات رائد الكثير من هؤلاء الشعراء وهدفا لهم[٤٩].

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف من الشعراء الذين تكسبوا زهاء خمسين شاعرا، منهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، وابن قيس الرقيات، ونصيب، والقطامى... وغيرهم، وشذ وندر من لم يسلك هذا السبيل، ومن هؤلاء شعراء الخوارج[٥٠].

لقد كثر المدح واحتل مساحة واسعة على خريطة الشعر الأموى، وذلك لأسباب منها:

١ - العربي بطبعه يتأثر برأى الناس فيه مدحا أو قدحا، والشاعر القديم - عموما - والأموى - خصوصا - اكتشف ذلك فاستغله أسوأ استغلال، وابتز الأموال من السادة تحت تأثير الترغيب تارة، والترهيب تارة أخرى.

٢ - الثراء العظيم الذى عاش فيه الخلفاء والأمراء، فكانوا يغدقون إغداقا، استمالة لهذا الشاعر أو ذاك. وهدفوا من وراء ذلك - أيضا - إلى إذاعة أمجادهم بين الناس عن طريق هذه الوسيلة الإعلامية الأولى.

٣ - شيوع الصفات السيئة بين الناس، ومنها: الرياء.

---

(٤٩) ظاهرة التكسب ص٢٢، ٦٥، ٦٦ (بتصرف).

(٥٠) نفسه ٦٤، العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف ٢١٥ وما بعدها.

وإذا كان الرجل في صدر الإسلام مدفوعا إلى المكرمات والبطولات والجود وغير ذلك بدافع من الأجر وثواب الآخرة ورضا من الله، فإنه أضحى في هذا العصر يفعل ذلك بدافع من الرياء والسمعة والظهور في القبائل والمجامع والتفوق على الأقران.

وقد ذكر الأصفهاني – مثالا لذلك – قصة حوشب بن يزيد وعكرمة ابن ربعي. وهي قصة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة(٥١).

٤ – افتراق الأمة إلى شيع وأحزاب، فقد كان لكل حزب شعراؤه الذين يمدحون القادة، ويثنون على مواقفهم(٥٢).

---

( ٥١ ) الأغاني، ورجال الفكر والدعوة فى الإسلام ص٢٧، ٢٨.

وقد أعرضنا عن ذكر هذه الحكاية لما ذكرنا، ومعلوم أن الأصفهاني متشيع لآل البيت ضد الأمويين، فهو خصم ينظر بعين السخط:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة — كما أن عين السخط تبدى المساويا

وقد ساق العلامة محمود شاكر هذه الاتهامات الموجهة ضد بنى أمية وفنّدها. ونحن نتساءل: من أين للمؤرخين هذه الحكايات؟ إن معظم كتب التاريخ ألف فى عصر العباسيين، ومن أبرز كتب التاريخ التى تزخر بهذه الاتهامات: مروج الذهب للمسعودى وهو شيعى معتزلى.

( ٥٢ ) وهذه أيضا استبعدها العلامة محمود شاكر قائلا: [هذا لم يكن أبدا، وإنما إذا حدثت ثورة أو قامت حركة أيدها من يرى رأيها، ودعمها من كان لها نصيرا، أما في الأحوال العادية فليس هناك من فكر متميز أبداً، وإنما جماعة واحدة، فإذا ما سارت الجيوش بالفاتحين انخرطوا فيها جميعا، أما تأييد فلان دون فلان فهذا أمر يحدث، ويحدث باستمرار مع عدم الاختلاف بالفكر، أو وجود جماعة خاصة لها كيان خاص كما يصور ذلك المؤرخون....] التاريخ الإسلامى ٤/٤٨، ٤٩.

٥ - ظهور الفتن، وبرر المذاهب السياسية والدينية، واحتدام الخلافات العرقية والعنصرية[٥٣].

وحين غدا شعر المديح حرفة للارتزاق والتكسب «أصبحت مكانة الشاعر تقدر فى ميزان النقد ببراعته فى هذين الفنين: المدح والهجاء»[٥٤]، مدح السادة الذين يجزلون له العطاء، وهجاء خصومهم.

❐ ❐ ❐

وننظر فى قصيدة المديح فى عصر بنى أمية فنجدها عادت «أبشع مما كانت فى الجاهلية، فقد اكتملت أدوات الشعراء الفنية وتجاربهم لانتشار الثقافات الوافدة وغير الوافدة، ولاقتحام فلسفات اليونان والفرس والروم والهند وغيرها من أبواب العالم الإسلامى...

«لقد أصبح بريق الذهب والمطامع الدنيوية تأخذ بالأبصار والألباب، وأصبح لفن المديح ديوان ضخم حافل بشتى ألوان الصناعة والابتداع والخيالات والقدرات الفنية الهائلة، وكان بداية الطريق الناجح لأى شاعر كبير هو رضاء الحاكم، أو الإنعام عليه بصرة من المال، أوجعله ضمن مجلسه»[٥٥].

لقد صار الاستجداء بالشعر أمرا يجهر به الشاعر ولا يستره، فها هو

---

(٥٣) راجع أسس النقد الادبى، تاريخ الادب العربى للكفراوى.

(٥٤) ظاهرة التكسب ٢٢١.

(٥٥) آفاق الادب الإسلامى د/ نجيب الكيلانى ١٦.

« جرير » لا يتورع أن يقول لعبد الملك: إنه ترك زوجه وعياله جياعا ظمأى، ثم يقول له:

أغثني يافداك أبي وأمي ... بسيب منك إنك ذو ارتياح

سأشكر إن رددت على ريشى ... وأثبت القوادم من جناحى

فهو من سبيل الاستجداء المباشر الذى لا يعرف الحياء ولا المواربة(٥٦).

❐ ❐ ❐

وسيظل « شعر المديح يحيا حياة متصلة، ولن يوصف بالقدم إلا من حيث الزمن الذى نظم فيه فحسب. أما بعد ذلك فهو شعر جديد شاب أنضر ما يكون الشباب، لا لأن كل شعر بطبيعته يكتب له الشباب الدائم فحسب، بل أيضا لأنه سيظل يغذى الأجيال الحاضرة والمستقبلة الغذاء الرفيع، مجسدا لها روحنا العربية العاتية التى لا تقهر، وأمجاد بطولاتنا علي مر الزمن، وخصالنا الكريمة، ومثلنا النبيلة، مع ما يحمل من مشاعر الحب الرقيقة، ولوحات الطبيعة البديعة، وإدراكات شعرائنا البصيرة للحياة.

« ومن المؤكد أنه لا يختلف اثنان فى الزاوية على مديح الرياء والنفاق والملق الذى تلتمس به منفعة قريبة أو بعيدة. وبون شاسع بين هذا المدح الكاذب والمدح الصادق الذى عرضنا له، والذى نقرؤه عند شعرائنا العظام

(٥٦) التوجيه الأدبى ٦٩، د/ طه حسين وآخرون.

ممن ملأوا الدنيا وشغلوا الناس بما قدموا لهم فى روائع مدائحهم من متاع فنى رفيع»(٥٧).

لقد ذهب المادح والممدوح، ذهب كلاهما مع من ذهب، وبقى لنا هذا الفن الرائع الذى شغل مساحة ضخمة على خريطة الشعر العربى.

□ □ □

---

(٥٧) د/ شوقى ضيف/ مقال بمجلة فصول بعنوان «القديم الجديد في الشعر» مجلد١ / عدد ٤ ص١٧.

## مدائح عدى

كان «عدى» - كما أسلفنا - شاعرا «خصوصيا» للوليد بن عبدالملك وذويه، وقد بينا سبب حظوته عنده حتى أصبح كذلك بوقا للسلطة، وقد صرح «الوليد» بذلك حين قال مهددا جريرا: لا أم لك! تقول هذا لمن يمدح أحياءنا ويؤبن موتانا؟..

والمدح أكثر الفنون كمًّا فى ديوان «عدى»، وأكثر مدحه في الوليد، فله(٥٨) فيه تسع قصائد(٥٩)، وفى عمر بن الوليد ست قصائد(٦٠)، وفى عمر بن عبد العزيز قصيدتان(٦١)، وفى الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية قصيدتان(٦٢)، وفى مرى بن ربيعة بن مسعود بن كعب بن عاصم ابن جناب الكلبى قصيدة واحدة(٦٣).

وقد ذكر «بلاشير» أن عديا مدح «يزيد بن معاوية»، على أن «بلاشير» نفسه قد رجح أن يكون مولد عدى سنة٤٥، وكانت ولاية «يزيد» ما بين ٦٠، ٦٤هـ. ولو صح ما ذهب إليه «بلاشير» لكان عدى قد

---

(٥٨) اعتمدنا النسخة المحققة فى ذلك.

(٥٩) هى القصائد: [٤، ٥، ٩، ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧].

(٦٠) هى القصائد: [٣، ٧، ٨، ١٤، ٢٣، ٢٦].

(٦١) هما القصيدتان: [١٠، ٢١].

(٦٢) هما القصيدتان [١٨، ١٩].

(٦٣) القصيدة رقم [٢٨].

مدح يزيد وهو فى الخامسة عشرة من عمره أو ينيف قليلا . . وإنما مدح ابن يزيد وهو الاسوار . وليس فى شعر عدى مدح ليزيد، غير أن هناك قصيدة له يذكر فيها قتل مصعب بن الزبير وكان ذلك زمن عبد الملك، ولذا يرجح أن تكون فيـه، إلا أن « ثعلب » شارح الديوان، قال : هى في « الوليد »، ويبدو أنه خطأ.

**١ - مدائحه في الوليد بن عبد الملك [٨٦ - ٩٦هـ].**

يقول فى إحداها[٦٤] :

| | |
|---|---|
| أتعـرف الدار أم لا تعـرف الطللا | بلى فـهـيـجت الأحـزان والوجـلا |
| وقـد أرانى بهـا فى عـيـشـة لجب | والدهر بينا له حـال إذ انفـتـلا |
| الهـو بواضـحـة الخـدين طيـبـة | بعـد المنام إذا مـا سـرها ابتـذلا |

إلى أن يصل إلى أبيات فيها حكمة ( ٨ - ١٦ )، ثم يصف ناقته، ويبدأ الحديث قائلا :

| | |
|---|---|
| فـصـرم الهم إذ ولى بناجـيـة | عـيرانة لا تشكى الأصر والعـملا |

فى ستة أبيات، ويشبهها بالقطاة ويأخذ فى وصف القطاة، حتى يأتى البيت ( ٢٩ ) وما بعده، وفيه يقول :

٢٩- لقـد مـدحت رجـالا صـالحين فـأمـا

أن ينـالـوا كـمـا نـال الولـيـد فـلا

---

( ٦٤ ) القصيدة الرابعة ٧٣ وما بعدها.

٣٠- هو الفتى كله مجدا ومكرمة
وكل أخلاقه الخيرات قد كملا

٣١- فتى الربيئة يستسقى الغمام به
كالبدر وافق نصف الشهر فاعتدلا

٣٢- يدعو إليه بغاة الخير نائله
إذا تجهز منه نائل قفلا

٣٣- فجئته أبتغى ما يطلبون وما الـ
مستورد البحر كالمستورد الوشلا

٣٤ - غيث خصيب، وعز يستغاث به
إذا أتاه طريد خائف وألا

٣٥- لا يجتويه وإن طالت إقامته
أهل المكان ولا الأرض التى نزلا

٣٦- خليفة الله أمسى إذا
قضى فهم في حكمه . . . . . . . .

٣٧- لا ينصف الناس فى مسعاه غائلة
ولا يبينون أمثال . . . . . . .

---

ب٣٠ : كل الفتى : يعنى أنه كامل.

ب٣٢ : يريد : إذا أصاب منه شيئا تجهز ورجع ليس عنده حبيس. والنائل : العطاء.

ب٣٣ : الوشل : ما يدمع من صدع فى الصفا، ويقال : هو واشل الحظ : أى ناقص الحظ قليله.

ب٣٤ : وأل : اى نجا.

ب٣٥ : يجتويه : يكرهه.

ب٣٧ : لا ينصف : اى لا يبلغون نصف فعاله.

وواضح أنه قدم بمقدمة قصيرة لقصيدته - فى بيتين فقط، جمع فيهما من الصور والتراكيب ما أغناه عن بقية التفاصيل، ثم انتقل إلى الحديث عن حبيبته، ولعل اهتزازات الطلل وارتعاشات الصورة الكامنة فى بقاياه المندثرة ارتبطت فى ذهنه بصورة الضعف الذى يعتريه وهو يتراجع أمام أبسط العوامل، ويتردد عند أقل الأسباب تأثيرا، وإنها الواجهة الكبيرة التى وقف عندها الشعراء وهم يستثيرون فى دواخلهم أسباب المخاطبة، ويهيئون الأجواء التى توحى لهم بعوامل الوقوف والحيرة والذهول[٦٥].

وعلى غرار شعراء الجاهلية يصرّم شاعرنا همه متوسلا ناقة صلبة قوية لا تعرف الشكوى أو الضجر، وتتراءى له صورة القطا وقد اتخذت من الأرض الغليظة مسكنا لها « فوضعت فيه بيضها، إذا أصابه البلل نفض جانبيه، وإذا اطمأن إلى موضع غادره إلى موضع آخر، وإذا لبس شعرة جديدة سقطت شعرة قديمة، يمتلك حريته وإرادته، ويصون نفسه من التبذل.

« وهنا يجد المدخل صالحا للممدوح، وهى مقدمة تبدو فيها جدة، لأننا لم نتعود على مثلها فى مديح العصر، ولم نجد تسلسل موضوعها فى المقدمات التقليدية التى عرفها.. وهى خصيصة من خصائص الشاعر الذى ظل الجانب البدوى التقليدى يلح عليه فى كثير من تقاليده....[٦٦].

وعدى يمدح الوليد بالأوصاف المعروفة: الجود، والكرم، والشجاعة، والبأس... وما شابه ذلك.

---

(٦٥) راجع: مقدمة الديوان ص ٢١.

(٦٦) نفسه ص٢٢.

ومن الصعب حقيقة أن نجد قصيدة تخلو من وصف الممدوح بالكرم والشجاعة، وتشبيهه بالبحر، أو الغيث في الكرم، وبالأسد في الشجاعة، أو التصرف في هذا المعنى بقدر ما أوتي الشاعر من القوة الأدبية، والمقدرة على تنوع الأساليب. وبالرغم من دوران شعراء العربية في هذه الدائرة الضيقة، لا نرى الشاعر النابه منهم عاجزا عن الإتيان بالمعانى الجديدة والخيال الطريف فى هذا الباب(٦٧).

والشاعر المتكسب صاحب «سلعة» عليه أن يحمل لكل سوق ما ينفق فيها - كما يقول ابن رشيق -، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه(٦٨).

والبضاعة الرائجة عند بنى أمية يعرفها شعراؤهم جيدا، إنها من هذا الصنف الذى حمله عدى إلى الوليد..

ها هو يصفه بالصلاح، ويصرح بمكانة «الوليد» عنده إذ لا تدانيها مكانة، وإذا كان عدى قد مدح آخرين فإن «الوليد» هو المقدم، وهو أهل لذلك إذ يتقدمهم جميعا فى الفضل والمكرمات.

إنه «الفتى» الذى جمع من الصفات ما أهله ليكون خليفة، وهو من الصلاح والتقوى بحيث يتوسل الناس به استسقاء للغمام.

وكلمة «فتى» لا تدل على مجرد القوة، وإنما تعنى الشباب، فالفتى - فى الأصل - الشاب. ومن صفات الشباب: القوة والشجاعة

---

(٦٧) راجع: التوجيه الأدبى ص١٧٠.

(٦٨) راجع: العمدة ١/١١٨.

والعزم والمضاء.

والوليد تولى الخلافة وهو فى مرحلة الكهولة - الثلاثينات من عمره - وكان فيه فتوة..(٦٩).

و من معانى الفتوة غير القوة الجسمية - : السخاء، والكرم، وقضاء مصالح الناس، وإغاثة المستغيث، وإقامة العدل... إلخ.

ولذا قال الشاعر:

إن الفتى حمّال كل ملمة ... ليس الفتى بمنعم الصبيان

وقول الآخر :

إن الفتى لفتى المكارم والعلا ... ليس الفتى بمغملج الصبيان

والفتى - عند العرب - : الكامل، الجزل من الرجال.. قال الشاعر فى أخيه:

فتى الحى، إن تلقاه في الحى أو يرى ... سوى الحى أو ضم الرجال المشاهد

إذا نازع القوم الاحاديث لم يكن ... عييًّا ولا ربًّا على من يقاعد

طويل نجاد السيف، يصبح بطنه ... خميصا وجاديه على الزاد حامد

فقد أدخل فى معنى الفتوة فصاحة اللسان، والتواضع، وطول القامة... الخ(٧٠).

---

(٦٩) وذلك أنه تولى الخلافة فى شوال سنة٨٦هـ وتوفى سنة٩٦هـ عن ٤٦، أو ٤٧ أو ٤٨ عاما. راجع: البداية والنهاية ٩ / ٦٤، نهاية الأرب جـ٢١.

(٧٠) راجع: الفتوة عند العرب/ عمر الدسوقى ص١١ وما بعدها.

وإذا كان الوليد قد تحقق فيه فعلا صفات القوة و المضاء والعزم وما شابهها، فإن الكرم لم يكن من صفاته، إذ كان مشهورا ببخله، هذا البخل الذى جعل «القطامى» يتردد فى طلب نواله، ويشك فى عطائه، إذ يقول:

ليس المريب بمن أتى سلطانه طوعا وطالب حاجة فقضاها
أرجو الخليفة إن رحلت ميمما والنفس تدرك فى الرحيل مناها
وإذا علقت من الوليد بذمة سكنت إلى جوارحى وحشاها
أنت الإمام ابن الإمام لأمة أضحى بكفك فقرها وغناها

فالقطامى يصرح بالشكوك التى تساوره من أن يرد خائبا، صفر اليدين، ويرجو ألا يخيب ظنه.

وقد ذكر المؤرخون: أن الوليد كان يمر بالبقال فيقف عليه، ويأخذ منه حزمة بقل، فيقول: بكم تبيع هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول الوليد: زد فيها فإنك تربح[٧٢].

وذكر ابن كثير – ناقلا عن ابن جرير –: أن الوليد كان عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد بدمشق، ووضع المنائر، وأعطى الناس، وأعطى المجذومين، وقال لهم: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادما، وكل ضرير قائدا، وفتح فى ولايته فتوحات كثيرة عظاما... وفى زمنه بنى

---

(٧١) راجع: الأغانى ٢٠/١١٨، ديوان القطامى – تحقيق د/ السامرائى ص١١٩، والقطامى: حياته وشعره ٢٢٠.

(٧٢) البداية والنهاية ٩/١٧٢، نهاية الأرب ٢١٢/٣٣٧.. ومع ذلك فنحن نشك فى صحة هذا السلوك.. ألم يكن عنده من الخدم من يشترى له؟!. حتى يذهب هو بنفسه ليشترى حزمة بقل!!!

الجامع الأموى بدمشق، وأرسل الوليد إلى ملك الروم يطلب منه صناعا فى الرخام وغير ذلك ليستعين بهم على عمارة المسجد، وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش، وليخربن كل كنيسة فى بلاده - فبعث إليه ملك الروم صناعا كثيرا جدا - مائتى صانع(٧٣)..

على أية حال فإن «الوليد» لم يكن بخيلا على «عدى»، وإلا ما انقطع له هذا الأنقطاع، وتفرغ له كل التفرغ، لولا فائدة ترجى من ورائه، وعطايا وفيرة ينالها من عطائه.. ومن قبله هجا الشعراء عبد الله بن الزبير لبخله، في حين امتدحه «أبو وجزة السعدى» لكرمه معه.

فالشاعر من هؤلاء لا ينظر إلا إلى نفسه ولا يعبأ بالآخرين سواه.

❒ ❒ ❒

فى قصيدته الخامسة يمدح «الوليد» أيضا، وهذه القصيدة من أفضل قصائده - إن لم تكن أفضلها -، ففيها الأبيات التى تناولها البلاغيون والنقاد وأثنوا عليها، وحسده فحول الشعراء عليها.

وقف على الأطلال فقال:

١- عرف الديار توهما فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

٢- إلا رواسى كلهن قد اصطلى ... حمراء أشعل أهلها إيقادها

---

(٧٣) البداية والنهاية ٩/١٥٣.

ب١: اعتادها: أتاها مرة بعد أخرى. الأبلاد: جمع بَلَد.

ب٢: الرواسى: الأثافى. حمراء: النار.

٣- كانت رواحل للقدور فعريت ... منهن واستلب الزمان رمادها

٤- بشبيكة الحور التى غربيها ... فقدت رسوم حياضه ورادها

٥- وتنكرت كل التنكر بعدنا ... والأرض تعرف تلعها وجمادها

ثم انتقل إلى «الخريدة الحبيبة»، و«الظبية البكر الفريدة» .. ثم عاد إلى «سعاد» وتحدث عن بينها وخلفها الوعد .. إلى أن وصل إلى الحديث عن نفسه، ثم الأنواء التى اتخذ منها بداية للحديث عن الممدوح ..

وهو مدخل أصاب الشاعر فيه كل الإصابة، وذلك للعلاقة بين الأنواء والمطر والغيث والربيع وجود الممدوح وكرمه.

قال عدى:

٢٧- وإذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خناصرة الأحص فجادها

٢٨- نزل الوليد بها فكان لأهلها ... غيثا أغاث أنيسها وبلادها

٢٩- أولا ترى أن البرية كلها ... ألقت خزائمها إليه فقادها

٣٠- ولقد أراد الله إذ ولاكها ... من أمة إصلاحها ورشادها

٣١- وعمرت أرض المسلمين فأقبلت ... ونفيت عنها من يريد فسادها

---

ب٤: شبيكة: تصغير شبكة، وهو مكان كثير الآبار يقرب بعضها من بعض.

ب٥: التلعة: مسيل الماء وهى ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادى.

ب٢٧: خناصرة: موضع بالشام، الأحص: جبل. الأنواء: جمع نوء. والنوء: سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه، وهو نجم آخر يقابله من ساعة من المشرق فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما.

ب٢٩: الخزائم: جمع خزامة، وهى حلقة من صفر تجعل فى أحد جانبى منخرى البعير.

| | |
|---|---|
| ٣٢-وأصبت فى أرض العدو مصيبة | بلغت أقاصى غورها ونجادها |
| ٣٣- نصرا وظفرا ما تناول مثله | أحد من الخلفاء كان أرادها |
| ٣٤- وإذا نشرت له الثناء وجدته | جمع المكارم طرفها وتلادها |
| ٣٥- غلب المساميحَ الوليد سماحة | وكفى قريشا ما ينوب وسادها |
| ٣٦- تأتيه أسلاب الأعزة عنوة | قسراً ويجمع للحروب عتادها |
| ٣٧- وإذا رأى نار العدو تضرمت | سامى جماعة أهلها فاكتادها |
| ٣٨- بعرمرم يشد الروابى ذى وغى | كالحرة احتمل الضحى أطوادها |
| ٣٩- أطفأت نيران العدو وأوقدت | نار قدحت براحتيك زنادها |
| ٤٠- فبدت بصيرتها لمن تبع الهدى | وأصاب حر شرارها حسادها |
| ٤١- وإذا غدا يوما بنفحة نائل | عرضت له الغد مثلها فأعادها |
| ٤٢- وإذا جرت خيل تبادر غاية | فالسابق الجائى يقود جيادها |

نعم، إن هذه القصيدة «من أجود ما مدح به الملوك.. ويزيد من قيمة هذا المدح صدقه، فإن الوليد قد فتح في عهده كثير من البلدان الأجنبية، فاتسعت رقعة الدولة العربية شرقا وغرباً»(٧٤).

وتلحظ فى هذا المدح رقة وسلاسة، وأنه صادر عن طبع مُوَاتٍ، وليس

---

ب٣٨: عرمرم: جيش. ذى وغى: ذى جلبة وأصوات. الحرة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت بالنار. الأطواد: جمع طود وهو الجبل العظيم.

ب٤١: نفحة: قطعة، دفعة.

ب٤٢: يروى (الجالى) بدلا من الجائى ومعناه: المجلّى من أفراس الحلبة.

(٧٤) تاريخ الشعر العربى، د/الكفراوى ١/١٠٥.

فيه تكلف مما يكشف عن عاطفة صادقة وحب كبير يكنه الشاعر للوليد.

وعدى كسائر شعراء عصره يمدح الخليفة بصفات يحبها الخلفاء من:

أنهم خلفاء الله في الأرض، والله هو الذى ولاهم على المسلمين، وهم أهل لذلك فهم الصالحون، الأتقياء، الذين يقودون الأمة إلى الإصلاح والرشاد.. الخ.

لقد «كان الشاعر المتكسب - بوجه عام - إنما يهمه فى المقام الأول إرضاء السادة وترديد ما يحبونه ويسعون إلى رواجه بن الناس، فقد انطبع ذلك فى قصيدة المديح السياسى الأموى المأجور، وردد الشعراء المتكسبون كل ما يرضى بنى أمية ويؤيد سياستهم، ويضفى على خلافتهم صفة الشرعية التى يودون إضفاءها عليها وإشاعتها بين الناس....»(٧٥).

إن «الوليد» هنا غيث وغوث، يقود الأمة إلى الصلاح والرشاد، وهو يعمل على إعمار أرض المسلمين على اتساع رقعتها.. والبرية هى التى ألقت إليه زمامها ليقودها إلى ما فيه خيرها..

وها هو أنزل بأعدائه هزائم فادحة.. لقد جمع الوليد المكارم طريقها وتالدها، وهو غالب المساميح... وهو القائد الذى يضرم نيران الحروب وقتما يريد، ويطفئ نيران الحروب إذا ما أوقدها غيره....

وفى قصيدته التاسعة يقف على الأطلال، ويذكر اكتئابه للذكرى،

(٧٥) راجع: ظاهرة التكسب ١٣٤، ١٣٥.

ويصف حبيبته «أم القاسم».. ثم الناقة يفرج بها همه، ويصل بها إلى الوليد :

٢٦ -ولقد لجأت من الوليد إلى امرئ — أغنى وليس من اصطفاه بنادم
٢٧ - للحمد فيه مذاهب ما تنتهى — ومكارم يعلون كل مكارم
٢٨ - ومهابة الملك العزيز ونائل — ينضى الجواد وأنت نكل الظالم
٢٩ - وإذا نظرت بحر وجهك كله — نحو امرئ فيظل مثل الغائم
٣٠ -وإذا قضى فصل القضاء فلم تمل — قُربى عليه ولا ملامة لائم
٣١ -تُربى على الفيض الكثير فواضلا — نفحاتُ أيام له ومقاوم
٣٢ - فرع كأن الناس حين يرونه — يتباشرون بقُبل غيث دائم
٣٣ - الجامع الحلم الأصيل وسؤددا — غمرا يُعاش به وحكمة حازم
٣٤ - وإذا وددت فإن ودك نافع — ومن انتطحت فليس منك بسالم
٣٥ - الواهب القينات أمثال الدمى — متسجيات ظلال أسود فاحم
٣٦ - والخيل والنعم المبين وطالما — أعطى الجزيل وليس ذاك بعاتم
٣٧ -من بين خوص في مناخرها البُرى — وحوافل ضَرَّاتُهن روائم

---

ب٢٨ : ينضى : يهزل. النكل: القيد. جمعه انكال. قال أبو زبيد: يقال: نكل لأعدائه اى تنكل به العداوة.

ب٣١ : تُربى: تزيد. الفواضل: جمع فاضلة وهى التى فضلت على العطاء. النفحات: الدفعات من العطاء. الفيض: الماء الجارى المتسع.

ب٣٢ : فرع: اى هو من الشرف من قومه. وفرع كل شيء أعلاه.

ب٣٣ : الغمر: الكثير .

ب٣٥ : القينات: جمع قينة وهى الأمة، قيل مغنية كانت أو غير مغنية.

ب٣٦ : عاتم: بطيئ.

ب٣٧ : الحوافل: الممتلئات الضروع، الكثيرات اللبن. والضَّرات: جمع ضرة وهى أصل الضرع. والروائم: العواطف على أولادهن.

وعدى لجأ إلى «الوليد» فوجد في كنفه ملجأ للحمد في مذاهب لا تنتهي، ومكارم لا تعلوها مكارم، وهناك وجد فيه مهابة الملوك مع جود يتضاءل أمامه الأجواد، وهو ينكل أعداءه الظالمين تنكيلا. وهو يحكم بالعدل.. لقد بلغ من الشرف والسؤدد الذروة، والناس إذا ما رأوه يتفاءلون برؤيته، فهو الغيث المغيث، وهو جامع الحلم، وهو الحكيم الحازم، إنه الكريم الذي يعطي عطاء لا حدود له، فهو الواهب كرام أمواله، يهب القينات اللائي بلغن في جمالهن حدا كبيرا، ويهب أفضل خيله ونعمه، ويهب النوق حافلات الضرات..

ومن الواضح أن هذه المعاني قديمة ألبسها الشاعر ثوبا من صنعه.

وهذا الوصف بالكرم والجود فيه نظر - كما أسلفنا.

وقال في الوليد أيضا في قصيدته الهمزية: (القصيدة الثالثة عشرة):

| | |
|---|---|
| ٥٢- سيد إليه المغيث إذا ما | قيل يوم الفخار: أين الغناء؟ |
| ٥٣- سؤدد غير فاحش لا تدانيـ | ـه تجبارة ولا كبرياء |
| ٥٤- غير أن الوليد ما اختاره اللـ | ـه وللمسلمين فيه رعاء |
| ٥٥- ليس يجزى به أمير ولكن | سائر الناس للوليد الفداء |
| ٥٦- لا أرى مرهقا بجيئك إلا | خام عنه الوشاة والأعداء |
| ٥٧- وإذا زاغ عنك منهم طريد | طاح ثم ارتمت به الأرجاء |
| ٥٨- أنت فوق الذى أقول ولكن | لك عندى نصيحة وثناء |

---

الضرع. والروائم: العواطف على أولادهن.

ب٥٦: مرهق: مغشى بالعداوة والظلم. خام: جبن.

٥٩- وإلى أهل بيتـه من قـريش ... يتنـاهى عـديدها والرباء
٦٠- رضى الله عنهم واصطفـاهم ... وله من عبـاده أصفيـاء
٦١- فـأرى أنهـم لـذلك أهـل ... فـهم خيـر من تظل السمـاء
٦٢- حـفظوا مـا ولاهم الله منهم ... كل قـوم بأمـرهم أوليـاء
٦٣- وإذا مـا أراد رحمـة قـوم ... ربهم فـهو فـاعل مـا يشـاء
٦٤- جعل الأمر فى ذوى الرأى منهم ... إن خيـر البـرية الأتقيـاء
٦٥- ييـأس الظلم أن يكون بأرض ... هم بها أو يجئ من حيث جاءوا
٦٦- سنة الله والرسـول فـمـا فى ... أمـرهم ريبـة ولا لحجـاء
٦٧- قوّم المسلمين حتى استقامت ... سنة الحق فيـهم والوفـاء
٦٨- والموازين بعـد بخس فجـازت ... سلع الناس بينهم والهـداء
٦٩- فـإذا العبـد ذو العبـاية يعطى ... حـقـه والوليـدة البلهـاء

والمعجم الإسلامى واضح جد الوضوح في هذه القصيدة:

فالوليد هو المغيث، الذى اختاره للمسلمين، لا يدانيه أمير، كل

---

ب٦٦: اللحجاء. قال ابن منظور: تلحج عليه الامر ولحوجه: أظهر غير ما في نفسه، ولحوجت: خلطت. وملحوجة: مخلطة عوجاء (اللسان: لحج).

ب٦٨: الهداء: أن تجئ النساء والصبيان كل واحدة بطعام فيجتمعن عليه فهذا هو الهداء. والهداء الزفاف أيضا.

ب٦٩: العباية: العباءة. البلهاء: قليلة العقل.

الناس له فداء، يأخذ الحق للضعيف المظلوم، وحينئذ يجبن أعداؤه ويتوارون، ويجير المستجير الملهوف. وما أحسن قوله:

وإذا زاغ عنك منهم طريد طاح ثم ارتمت به الأرجاء

وهو قريب من قول النابغة الذبياني - وان كان النابغة أفضل -:

فإنك كالليل الذى هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ورغم كل ما قال «عدى» فى «الوليد» إلا أنه يرى أن ذلك أقل مما ينبغى له، فالوليد فوق ما يقول عدى..

إنه سليل الحسب والنسب، من بيت سؤدد وشرف، إنه من قريش، وأهل بيته قد اصطفاهم الله ضمن الأصفياء، وهم أهل لذلك، بل هم خير من أظلت السماء..

لقد كانوا أمناء على ما ولاهم الله، وكان في تولية الله لهم على المسلمين رحمة، فهم الأتقياء، ذوو الرأى، وهم العدول الذين ييأس الظالمون من الإقامة بأرض هم ولاة عليها.

وهم يحكمون وفق المنهج الذى ارتضاه الله ورسوله.. لقد استقام الحق والوفاء والموازين [بعد بخس]!!

ولست أدرى ما مقصد الشاعر بقوله [بعد بخس]؟؟ فأى ماض كان فيه هذا البخس؟

لعله يتحدث عن الماضى قبل بعثة الرسول الكريم فيذكر أنه قوّم المسلمين ولا يزالون كذلك حتى جاء بنو أمية.. وإلا فالشاعر مخطئ في حق آبائه وأجداده والخلفاء..

٤

وها هو الإسلام لا يفرق بين أبيض ولا أسود، ولا حر ولا عبد .. الخ.

إن «الوليد» يأخذ الحق من الظالم للعبد ذي العباية والأمة البلهاء، القوي ضعيف عنده حتى يأخذ الحق منه، والضعيف قوى حتى يأخذ الحق له..

وقال عدي في الوليد - القصيدة السادسة عشرة - :

١٤- إن الوليد أمير المؤمنين قضى ... أمرا يبلغه الادنون اقصانا

١٥- قضية عصم الله العباد بها ... فاصبحوا فى كتاب الله إخوانا

١٦- بعد الشقاق واضغان مبيّنة ... وميتة كان فيها حين من حانا

١٧- فاصبح الامر بعد الله قادتُه ... بنو الالى غضبوا من قتل عثمانا

١٨- الآمرون بتقوى الله أمَّتَهم ... والكائنون على المعروف أعوانا

١٩- والقائلون: أتينا كل مكرمة ... قدامنا فحصوا عنها لاحزانا

٢٠- عند الشديدة حى يستقيد لهم ... من يشرب الماء من راض وغضبانا

٢١- لولا الإله واهل الأردن اقتسمت ... نار الجماعة يوم «المرج» نيرانا

٢٢- كانوا زواراً لاهل لشام قد علموا ... لما راوا فيهم جورا واضغانا

٢٣- تواعدوا موعدا حتى إذا اجتمعوا ... ساروا جميعا وقالوا: الله مولانا

٢٤- فلم يكونوا غداة الزحف أكثرهم ... فى الصف صفا ولافى الخيل فرسانا

٢٥- ولا بصيرة أمر يهتدون بها ... كالصبح يعرفه من كان يقظانا

٢٦- غداة يدعون والأبصار خاشعة ... يا ربنا ولين الأمر أتقانا

٢٧- فبيض الله يوم المرج أو جههم ... بنصره وبسيف الله مروانا

٢٨- وبابنه بعده عبد المليك فقد ... زادوا ذوى عقلنا شكرا وإيمانا

٢٩- ثم اصطفى الله للإسلام بعدهما ... من أهل بيتهما نورا وبرهانا

٣٠- رأى الوليـد لهـا أهلا فـملكه		واختـار منا الذى يرضى وأرضـانا

٣١- فـالحـمـد لله إذ ولى خـلافـتنا		وأمـرنا خـيـرنا دينا وأقـوانا

٣٢- مر العداوة يشقى الكاشحون به		حـلوا إذا لـم تـربـه ريبـة لانا

٣٣- نحن الرعيـة والرحـمن يحفظنا		وانت فى الأرض بعد الله ترعانا

٣٤- قضى عليهم له فى الحق قد علموا		جـهـد النصـيحـة إسرارا وإعلانا

٣٥- يرون طاعـتـه لله ربهـم		رضى، وعـصـيانه لله عـصـيانا

٣٦- فـأنت غـيـث بإذن الله أرسله		للمـسلمين حيـا والأرض عـمرانا

٣٧- فـلا ترى نائلا يجـرى كنائله		ولا كـبنيـانه فى الأرض بنيـانا

٣٨- بنى مـساجـد للإسـلام جـامـعة		ولـم يدع بيت إشـراك كـمـا كـانا

والشاعر هنا يفصح عن حبه الشديد لبنى أمية، هؤلاء الذين غضبوا لمقتل عثمان، وهم الأتقياء، الآمرون رعيتهم بتقوى الله، المتعاونون على البر والتقوى.

ويذكر من الأدلة على حسن تصرفهم وكياستهم وأهليتهم للقيادة والسياسة ما كان « يوم المرج » حين نصرهم الله عز وجل على خصومهم.. هذا علي الرغم من أنهم لم يكونوا أكثر عددا ولا عتادا.. لقد تضرعوا إلى الله عز وجل فاستجاب دعاءهم، وولى أمر المسلمين أتقاهم.

ثم يتحدث عن طيب عنصر ممدوحه، فيذكر جدوده مبتدئا بمروان، ويلقبه بـ( سيف الله )، ويثنى بعبد الملك... إلي أن يصل إلى ممدوحه « الوليد » فيذكر أن الله قد اختاره واصطفاه للإسلام نورا وبرهانا، فهو أهل للملك، إنه خير الناس فى زمانه دينا، وقوة، وبأسا... إلخ.

ويلح «عدى» على معنى يتكرر كثيرا فى مدحه للوليد، وهو تشبيهه له بالغيث الذى أرسله الله للناس.

ثم يتطرق إلى أمر شاع فى عصر الوليد واهتم به - كما يذكر المؤرخون الطبرى وابن كثير وغيرهما - وهو بناء المساجد الجامعة، وهدمه الكنائس. ويركز الشاعر هنا على المسجد الأموى بدمشق الذي بنى مكان كنيسة..

ويقف الشاعر عند إحكام الصنعة، وروعة البناء، ودقة التنفيذ، وتأنق البناة فيه، وتخيرهم حجارته من ذرا الجبال الصم، تلك التى كانت تسكنها الوعول العصم... إنها حجارة فريدة نادرة تشبه «الرخام»، أو هى فعلا «رخام»، وقد قام العمال بقطعه بالصوافير، وبنوا به المسجد الذى بلغ من روعة بنائه ودقته وإحكامه مع زخرفته وتوشيته بالذهب أن صار يخلب الأبصار.

ويقول:

بنى مساجد للإسلام جامعة ولم يدع بيت إشراك كما كانا

إلخ....

هكذا كانت مدائح عدى فى الوليد، مفصحة عن حب كبير يكنه الشاعر للممدوح، ويبدو فى هذه المدائح صدقه، أو على الأقل قناعته التامة بما يقول.

وكان عدى كسائر شعراء عصره يركزون على معان معينة، انطلاقا من الموقف السياسى.. والشعراء يهدفون من وراء ذلك إلى أن يستسلم

الناس لهذا الأمر الواقع.. فالخليفة هو ( خليفة الله ) وَلِيٌّ بـ( قدر الله )، وهو وَلِّي ( من أولياء الله )، إنه الصالح، الورع، التقى، الذى أحسن صلته بالله حتى إن الناس يستسقون به المطر.

ويركز الشاعر على المدد الإلهى لممدوحه في نصرته - سبحانه - له على أعدائه.

وممدوحه لا شبيه له، ولا نظير، فهوالفرد، الأوحد، عقمت الأرحام أن تلد مثله.. الخ.

❑ ❑ ❑

**مدائحه فيما سوى الوليد :**

كان من الطبيعى ان يهتم الشاعر بأبناء الوليد أيضا، ومن هنا حاز «عمر بن الوليد» المرتبة الثانية من حيث الكم فى مدائح عدى. إذ له فيه ست قصائد، يقول فى إحداها(٧٦):

| | |
|---|---|
| ٤٣- تركِ الفواحش مذ ترعرع يافعا | ونما إلى الحسب الرفيع الأفضل |
| ٤٤-من منصب العرب الذى مافوقه | للناس من شرف ولا متمهل |
| ٤٥- ولرب مغتبط كريم قد غدا | من عنده بهجا بنفحة مجزل |
| ٤٦- وغريب قوم أسلموه لما به | ومتى تراه كالخليع المهمل |
| ٤٧- لم يلتفت أحد إليه ولم يجد | إلا نداك فكنت خير معول |

---

(٧٦) الديوان ص٧٠.

إلى أن يقول:

٥١- كالبدر أورثه الغمام ظلاله     طورا وطورا يستنير فينجلى

٥٢-يطرى رجال فى الخلاء نفوسهم     وإذا رأيتهم معالم تعدل

٥٣- وإذا رأيت جماعة هو فيهم     بينت سؤدده وإن لم تسأل

٥٤- ألفى أباه وجده وأباهما     مروان فى الشرف الرفيع الأطول

٥٥- نطفاء كانوا للبرية عصمة     فأطاق آخرهم فقال الأول

٥٦-أنت ابنهم بنيت عليك بيوتهم     فى قاهر لذوى الضغائن معتل

٥٧- قرم أغر ترى الأعزة عنده     متواضعين عظيمهم كالأصبل

ويختم القصيدة قائلا:

٥٩- بالحق قام فما يقصر سمعه     عن صوت مظلوم ولا متذلل

٦٠- فجزيت أفضل ماعملت مضاعفا     وتملّ حلو العيش غير مملل

والقصيدة - وإن كانت طويلة - إلا أن المديح لم يستغرق منها الكثير.. وقد تخلص عدى من وصف الديار إلى ذكر ممدوحه تخلصا بارعا، وصفه فيه بالصلاح والورع، وأنه ترك الفواحش منذ نعومة أظفاره - أى لم يأتها أصلا -، ثم يذكر حسبه ونسبه وانتماءه إلى بيت السؤدد والشرف ، البيت الرفيع المنيع.

«وفى هذا التأكيد تتضح أصالة الشاعر وحسه القومى الذى وجد فى هذا البيت العربى وجاهة الأصالة، وبيت الندى والسخاء، وكل الصفات التى تلحق بالممدوحين الذين تعرفهم من سماتهم، وتهتدى إليهم من

سؤددهم، وتتبين إنسانيتهم من نسبهم العريق أبا وجدا وفعلا بعد أن قام بالحق فجزى أفضل الجزاء ونال أحسن الثواب» [٧٧].

وفي قصيدة أخرى[٧٨] يقطع الفلاة بنوق يقف على بعض أوصافها لتكون مدخلا يلج منه إلى ممدوحه الذي وجد من نداه خيرا، وهذا ليس عجيبا فهو ( فتى قريش ) وأكرمها وأفضلها، إن أحلامهم تزن الجبال - وهو معنى يتردد على ألسنة شعراء سابقين ومعاصرين[٧٩]. وهم أهل البأس، ففيهم سيوف حين ينادى للقتال..

ويدعو الله أن يجزيه خيرا، فهو الجواد الذى لم يقل لسائل: لا.. إن يمينه تفيض فَيْضًا بالخير.

ثم يسلك مسلك الاستدارة - على نمط النابغة - فيقول:

ومـــاذا الموج يطرح ســـاحـــلاه بغـــواصيـــه طرحـــا حين ســـالا

بأجـــود من أبى حـــفص إذا مـــا أتتـــه العـــيس تخـتـــرق النقـــالا

لقد بلغ أبو حفص قمة الجود.. وهم يحمون جارهم فيصير فى جوارهم عزيزا كالثريا بل أعز منها.

وإذا عد القروم الفحول فهو في المقدمة بل هو القرم الفحيل الذي لا يُبَارى.

---

( ٧٧ ) الديوان ص٢٠.

( ٧٨ ) القصيدة السابعة. الديوان ص١١٢.

( ٧٩ ) قال الشاعر:

أحلامنا تـزن الجبـال رزانـة وتخالنـا جنـا إذا مـا نركـــب

ولا يتورع الشاعر من ان يذكر حاجته للعطاء والنوال فيطالب - في مقابل هذا المدح - بأجرته ويصرح بانه اخذ الكثير قبل ذلك إلا انه يريد المزيد، إنه يريد عللا بعد نهل.

وكان عديا أبى إلا ان يطلعنا على هدفه من مدحه ويبين عن وجهه وأنه شاعر متكسب إذ يقول:

| | |
|---|---|
| ١٨- فإن يك في مناسمها رجاء | فقد لقيت مناسمها العدالا |
| ١٩- أتت عمرا فلاقت من نداه | سجال الخير إن له سجالا |
| ٢٠- ألست إذا نسبت فتى قريش | وأكرمها وأفضلها رجالا!! |
| ٢١- أبت لكم مواطن طيبات | وأحلام لكم تزن الجبالا |
| ٢٢- وقد علمت قريش أن فيكم | سيوفا حين يحتضر القتالا |
| ٢٣- إذا ما الموت كان له ظلال | بمعرك مازق كشفوا الضلالا |
| ٢٤- فنعم معرس الأضياف وهنا | إذا ما الشول عارضت الشمالا |
| ٢٥- أبا حفص جزاك الله خيرا | إذا ما المعتزى كره السؤالا |
| ٢٦- جواد ليس قالا حين يؤتى | لطالب حاجة أبدا ألا لا |
| ٢٧- تفيض يمينه بالخير فيضا | ولا يلقى بنائله الشمالا |
| ٢٨- وماذا الموج يطرح ساحلاه | بغواصيه طرحا حين سالا |
| ٢٩- بأجود من أبي حفص إذا ما | أتته العيس تخترق النقالا |
| ٣٠- وجارهم أعز من الثريا | إذا عقدوا لجارهم الحبالا |
| ٣١- هو القرم الفحيل إذا قريش | ليوم حفيظة عدوا الفحالا |
| ٣٢- أتيتك ثم عدت فعد بخير | وخير الخير ما يجرى علالا |

٣٣- فصدق مدحتى واجز كريما    إذا مـــا عف عن بلد أطالا

ويذكر أياديه عليه - فى قصيدة أخرى - ونعمه التى تستوجب الشكر، ويقول: إن معروفه سابغ، وإن الأرض التى يهبط بها - أى عدى - ولا يكون بها «عمر» لتتنكر له، وتتجهم فى وجهه، أى يكون منظرها فظيعا.

وإنه لا يهدأ له بال، وكيف وعمر ليس معه؟!. إن أميره هو (الأغر) الواسع الجبهة الأبيض، أى يروق منظره من يراه، فهو (الأروع) الجميل الذى يعجب برؤيته وصفاته.. وهو (البهلول) أى الضحاك البسام، وهو (الحلاحل) الركين الرزين، وهو منبع اللين والكرم، وهو الحليم ذو القول السديد...

إنه ينتمى إلى آباء سادة، تولوا الأمور فأحسنوا أداءها، وكانوا خير من تولاها، وهذه المسؤوليات الضخام - على عظمها - لم يملوها ولم يسأموها.

وإنهم لصبر فى الحرب، عدول في القضاء.. زادهم ربهم خيرا، وفضلهم بخير ما فضل السلطان والأمم:

١٨- لولا اختبارى أباحفص وطاعته    كاد الهوى فى غداة البين يخترم

١٩- له على أياد لست أكفرها    وإنما الكفر ألا تشكر النعم

٢٠- إذا هبطت بلاداً لا أراك بها    تجهمتنى وحالت دونها ظلم

٢١- أغر، أروع، بهلول، أخو ثقة    حلاحل، من ثراه اللين والكرم

٢٢- فى شدة العقدوالحلم الرزين وفى    القول الثبيت إذا ما استنت الكلم

٢٣- لا يتعب الحكم حتى تستبين له ... مواقع الحق إن القاضى الفهم

٢٤- نما إلى السورة العليا اليفاع فما ... زلت به نعلُه يوما ولا القدم

٢٥- حتى احتبى بمكان تستقيد له ... عما عم العرب المذكورة العظم

٢٦- كانت لآبائهم مذكورة زحموا ... عنها قروم قريش ساعة ازدحموا

٢٧- أمرا ولوه فلم يعيوا بسنته ... وحملوه فما ملوا ولا سئموا

٢٨-إن يدهموا يطدوا بالصبر أنفسهم ... ولن يقوم لهم فى الحرب من دهموا

□ □ □

وممدوحه كالبدر، نظرة إليه تغنى عن النظر إلى من سواه من الأمراء، ولقد جمع المكارم كلها، طرفها وتليدها.. إنه ابن الخليفة «الوليد» أفضل الخلفاء، فهو فرع كريم لاصل كريم، إلا أن الفرع قد يطول عن الأصل.

وقد استغرق مدحه هذا أربعة أبيات، ثم أخذ فى ذكر التفاضل بين الأشياء، فلا تستوى جبال الأرض ونجوم السماء، بل إن الجبال تتفاضل فيما بينها، والناس ليسوا سواء، فمنهم الجبان الضعيف الرعديد، ومنهم ذو الندى... إلخ. يقول(٨٠):

١٤- وإذا نظرت إلى أميرى زادنى ... ضنا به نظرى إلى الأمراء

١٥- تسمو العيون إليه حين يرينه ... كالبدر فرج طخية الظلماء

(٨٠) الديوان ١٦١ وما بعدها.

ب١٥: تسمو: ترتفع. الطخية: الظلمة.

| | |
|---|---|
| ١٦- «عمر» الذى جمع المكارم كلها | وابن الخليفة أفضل الخلفاء |
| ١٧- والأصل ينبت فرعه متناثلا | والكف ليس بنانها بسواء |
| ١٨- ما إن رأيت جبال أرض تستوى | فيما غشيت ولا نجوم سماء |
| ١٩- والأرض من أعلامها متواضع | وأعز عمم رأسه بعماء |
| ٢٠- والناس ليسوا يستوون فمنهم | ورع وآخر ذو ندى وغناء |
| ٢١- والناس أشباه وبين حلومهم | بون كذاك تفاضل الأشياء |

.... إلخ.

❐ ❐ ❐

**مدحه لعمر بن عبد العزيز.**

حين يمدح الشعراء عمر بن عبد العزيز فهم لا يمدحونه رغبة أو رهبة، وإنما ينطلقون من تجربة حقيقية، ويصدرون عن عاطفة صادقة.. فهو الخليفة الراشد، خامس الراشدين، هو العدل، التقى، الورع، ... إلخ.

وقد ذكر المؤرخون أن عمر - رضي الله عنه - كان فى بداية الأمر يرفض دخول الشعراء عليه، ويوصد أبوابه دونهم، وأنه وفد عليه شاعر اسمه «عدى» فذكر له ما كان من إنشاد حسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شعره، وإثابته عليه، فسمح عمر للشعراء. ولعل «عديا» هذا هو شاعرنا.

---

ب١٧ : متناثلا: أى بعضه أصول من بعض.

ب٢٠ : الورع: الجبان.

ولعدى بن الرقاع في عمر بن عبد العزيز قصيدتان، يقول في إحداهما(٨١):

١٠ - مدحت أمير المؤمنين الذى اصطفى
لنا ربنا فضلا على كل مسلم

١١ - بنى الحمد فيه فارتقى فى مشرف
رفيع من البنيان لم يتثلم

١٢ - فما فى بنى حواء فرع يفوقه
بفاضلة دون النبى المكرم

١٣ - فما كان باب الحمد حتى لقيته
باخرس مكنون ولا بمصتم

١٤ - جمعت اللواتى يحمد الله عبده
عليهن فليهنأ لك الخير واسلم

١٥ - فأولهن البر، والبر غالب
وما بك من عيب السرائر يعلم

١٦ - وثانية كانت من الله نعمة
على المسلمين إنه خير منعم

١٧ - وثالثة أن ليس فيك هوادة
لمن رام ظلما أو سعى سعى مجرم

---

(٨١) الديوان ١٢٨ وما بعدها.

ب١٣: مكنون: كننت الشيء: سترته وصنته، واكننت الشيء: اى كتمته، مصتم: مردود.

١٨ - ورابعــــة ان لا تزال مع التـــقى
تحث بميـــمون من الأمــر مـبــرم

١٩ - وخامسة فى الحكم أنك تنصف الضـ
ـعيف ومـا من علم الله كـالعـمى

٢٠ - وســادســة أن الذى هو ربنا اصـْ
ـطفـاك فـمن يتـبـعك لم يتندم

٢١ - وســابعــة أن المكارم كلهـــا
ســبـقت إليـهـا كل سـاع وملجم

٢٢ - وثـامـنـة فـى مـنصب النـاس أنـه
سـمـابك منهم معظم فـوق معظم

٢٣ - وتاســعــة أن البــرية كلهـــا
يعـدون سـيـبـا من إمـام مـتـمم

٢٤ - وعـــاشـــرة أن الحلوم توابع
لحلمك في فـضل من القـول محكم

٢٥ - جـــواد فــلاينفك يرمــد بابه
أولو حـاجـة مـسـتـبـشـرون بمنعم

٢٦ - فـقـد جـعلت كـتـابه فى مـؤونة
مـفـاتيح من مـعـروفـه المتـقـسم

٢٧ - إذا مـا حـبـا وفـدا أتاهم بمثله
ركـــوب الموامى بالمطى المخـــزم

---

ب٢٣ : السيب : العطاء. متمم : أى يتمم المعروف.

ب٢٧ : حبا : أعطى. الموامى : جمع موماة وهى الفلاة.

ثم يصف الرحلة في الفلاة وإناخة العيس.... إلى أن يعود مرة أخرى إلى ممدوحه قائلا :

٣٩ - إذا شئت أن تلقى فتى البأس والندى
وذا الحسب الرابي التليد المقدم

٤٠ - فكن عمرا تأتى ولا تعدونه
إلى غيره واستخبر الناس وافهم

٤١ - فتى حجبت عنه الفواحش كلها
فما اختلطت منه بلحم ولا دم

٤٢ - غدا طيب الأثواب ينفح عرضه
مبينا لعين الناظر المتوسم

٤٣ - شديدا على ذى الضغن حين يريبه
دفوعا عن المستضعف المتهضم

٤٤ - كان هلالا واضحا فرجت له
شماريخ مزن رابع متغيم

٤٥ - على منبر الوادي المقدس كله
يروح بقول ثابت المتكلم

---

ب٣٩ : الندى : السخاء. الرابى : الزائد. التليد : القديم.

ب٤٢ : طيب الأثواب : نقى العرض، برئ من الدنس والعيوب. المتوسم : المتفرس.

ب٤٣ : المتهضم : المنقوص من حقه، المستذل.

ب٤٤ : شماريخ السحاب : أعاليه المنتصبة. المزن : السحاب الأبيض.

٤٦ - أغــر مــحــيـــا بالإمــارة وجـــهـــه
من المنجـــزين الحـــمـــد غـــيـــر مـــذمم

٤٧ - نماه إلى عـلـيـــــاء يـهـلـك دونـهــــا
تـكـالـيـف ذى المـأثـورة المـتـكـرم

٤٨ - ثـلاثـة آبـاء لـه كـلـهـم بـنـى
تمامــــا وملكا ثـم لـم يتـــصـــرم

٤٩ - ملوك يرون العـدل حـقـا عليـهـم
حـسـان الوجـوه يهـتـدى بهـم العـمى

٥٠ - فـكـانـوا لـنـا نـورا بـإذن الـلـه الـذى لـه
علـينـا أياد مـن فـــضـــول وأنـعـم

٥١ - رأونا فـــولوا أمـــرنا اتقـــيـــاءنا
ومــــا عـلـمـنـا أنـنـا لـم نـعـلـم

٥٢ - فـهـذا ثـنائى صـادقـا غـيـر كـاذب
عليـــهـم ومن لـم يـقـض بالحق يـندم

وأول ما يلفت النظر هنا طول نفس الشاعر عنه فى سائر مدائحه، ذاك من حيث الكم، ومن جهة أخرى هذه السردية فى المدح عن طريق العد والحصر، فقد أحصى الشاعر عشر صفات، ثم تقاصر العد والإحصاء عن ذكر صفات عمر فأخذ يكملها بعد ذلك دون عد .

---

ب٤٧ : نماه: رفعه. علياء: شرف رفيع. التكاليف: ما يتكلفه أى يتجشمه. المأثورة: الأخلاق التى تؤثر أى يتحدث بها وتنشر.

ب٤٨ : ثلاثة آباء له: فهو عمر بن عبد العزيز، بن مروان، بن الحكم بن أبى العاص.

والمعـانى التى وردت فى ممدوحيـه قـبل ذلك نجـدها واردة هنا من : اصطفاء الله إياه أميرا للمؤمنين، وكان ذلك فضلا من الله سبحانه على كل مسلم.

وليس يفوق عـمـرا سـوى رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - . . والصـفـات التى عـدها هى : **الأولى** : البـر، **والثانية** : توليـه أمـور المسـلمين، **والثالثة**: شـدته على الظالمين والمجـرمين، **والرابعة** : أخـذ نفسـه بالتـقوى، **والخامسة** : العـدل وإنصـاف الضـعـيف، **والسادسة** : اصـطفــاء الله له. **والسابعة** : سباق المكارم كلها إليـه، **والثامنة** : سـمـو العظمـاء الأشراف به . **والتاسعة** : إتمامه المعروف، **والعاشرة**: أنه أصل في الحلم.

هذه هى مدحته في خامس الراشدين، وهو محق في كل ما قال.

والقطعة التالية من القصيدة اختلف فى الممدوح بها، فقيل : هى في «عمر بن هبيرة»، وليست فى «عمر بن عبد العزيز»، وأرى أن ذلك حق.

وذلك أنه قد فصل بين المقطعين في القصيدة بأبيات تستوقف المتلقى ليسأل: ما الداعى إلى الفصل؟

وواضح أن الخلط قد دخل على «ثعلب» من جهتين:

**الأولى**: أن الصفات المذكورة كلها تصدق في «عمر بن عبد العزيز».

**الثانية**: ذكر اسم «عمر» مجردا.

على كل يلاحظ على هذه القصيدة أن المعانى والصفات هنا لا تكاد تختلف عنها هناك في «الوليد بن عبد الملك» . .

فعـمـر هو «فتى البأس والندى» وهو سليل الحسب . . وهو الذى لم

يأت الفواحش يوما، فثيابه طاهرة نقية، وهو حامى حمى الضعفاء، وناصر المظلومين، وهو الخطيب اللسن الفصيح، وكل هذا ليس بغريب عليه، فهو ابن آباء ثلاثة ملوك كانوا - جميعا - متصفين بهذه الصفات:

العدل، بشاشة الوجه مع حسنه، اختاروا الأتقى ليلى أمر الناس.

ويختم القصيدة ببيت يذكر فيه أن هذا الثناء صادق وينفى عنه الكذب، وكأنه لم يكن مقتنعا بما قاله قبل في غيره.

وقصيدته الثانية قريبة من هذه.

❐ ❐ ❐

وهكذا تشابهت قصائد المديح عنده.. إذ نجد الشاعر عادة ما يبدأ بأصالة النسب فيجد وسيلة لوصف بنى أمية كلهم.. ثم يقترب بعدسته الفنية من ممدوحه فيركز عليه ويسلط الأضواء، ويبالغ فى المدح والثناء، ويضخم فى الصورة، منطلقا من مرتكز ارتكز عليه شعراء العصر جميعا حين يصفون ممدوحيهم من بنى أمية بالتقوى والصلاح والورع والتدين، وحسن الصلة بالله عز وجل، حتى صاروا أولياء لله، وليس أدل على ذلك من أن الرعية تستسقي بهم المطر وتستنزل بهم الخير.

وبنو أمية يكشفون ظلام الضلالة، وينشرون نور الهدى، ويخلص من ذلك إلى نتيجة هى: أحقيتهم بالخلافة.

والشاعر قد يستخدم فى ذلك أسلوب المبالغة، أو صيغ التفضيل، أو أسلوب الاستدارة كأدوات للإيحاء والتأثير على ما سنفصله بعد إن شاءالله.

❐ ❐ ❐

## ٤ - الهجاء

يقول الدكتور عمر فروخ - ناقلا عن المبرد - : « كان عدى مشهورا بالهجاء . وقال : وكان يحسن المديح والهجاء »[٨٢].

والحق أن عديًا ليس شاعر هجاء، وليس له في ديوانه سوى أبيات فيها شماتة بقتل « مصعب بن الزبير »، يقول فيها[٨٣]:

| | |
|---|---|
| لعمرى لقد أصحرت خيلنا | بأكناف دجلة للمصعب |
| وردنا الفرات وخابوره | وكانا هما ثقة المشرب |
| على كل ربو ترى معلما | يصرف كالجمل الأجرب |
| لضاحية الشمس في رأسه | شعاع يلالئ كالكوكب |
| إذا ما منافق أهل العرا | ق عوتب يوما فلم يعتب |
| دلفنا إليه بذى تدرأ | قليل التفقد للغيب |
| بجيش متى هبطوا غائطا | وإن كان ذاكلا يخدب |
| وما قلتها رهبة إنما | يحل العقاب على المذنب |
| ولا سائلا إن عند الإله | خير المسائل والمطلب |

وكان ذلك إبان ولاية « عبد الله بن الزبير »، إلا أن « عبد الملك » صفا

---

(٨٢) راجع، تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ ١ /٥٦٧، الكامل ١٤٩، ٥٠٤.

(٨٣) الديوان ٢٣٢ - ٢٣٣.

له الجو بالشام، وخرج إلى «مصعب»، والتقى الطرفان بمسكن، وتخاذل قادة «مصعب»، وأعطى «عبد الملك» الأمان لمصعب فرفضه قائلا: إن مثلى لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالبا أو مغلوبا.

وأثخن «مصعب» بالجراح وهو يكر على الجموع حتى قتل، ومال الناس إلى «عبد الملك»، وقدم له رأس «مصعب» وكان ذلك عام ٧١هـ[٨٤].

وعدى يصف جيش عبد الملك وقوته وكثرة عدده، حتى إنه - لكثرته - إذا نزل واديا واسعا من الأرض ورعته خيلهم وإبلهم لم يبق فيه شيء، إذ يصير جدبا.

ويصف مصعبا بأنه منافق، مذنب، ويدفع عدى عن نفسه الظن بأنه قد يكون مدفوعا، رغبا أو رهبا.

□ □ □

(٨٤) راجع: التاريخ الإسلامي / محمود شاكر (العهد الأموى ٤/١٦٦ وما بعدها).

# ٥ - الوصف

### وصف الناقة والبعير والحمار وأتنه والقطاة :

تناول الجاهليون الحمار الوحشي وأتنه تناولا مفصلا، واستطردوا في الحديث إليه إبان وصفهم الناقة، ومن أشهرهم في ذلك «لبيد»، و«النابغة»، و«الاعشى».

وقد ترسم الأمويون خطى الجاهليين في هذا الصدد. ومن يقرأ وصف «عدى» للناقة يحكم عليه بالبداوة، إذ يصفها وصف مشاهد، مجرب، أطال النظر ورردده فيها.

ويأتي وصفه لها في معرض حديثه عن رحلته إلى الممدوح، ومدى معاناته، مما يضطره إلى خلع كل ما من شأنه أن يصور ناقته تصويرا لا مثيل له من حيث: القوة، والصلابة، والصبر، والجلد... إلخ. كما يأتي وصفه للحمار الوحشي وأتنه والقطاة تشبيها للناقة أو البعير بأى منها.

يقول عدى[٨٥]:

٩ - فذر اللهو لمن يلهو به     واكس أقتادك جونا ذاهبا

١٠ - حملته بازل كودانة     في ملاط ووعاء كالجراب

---

(٨٥) الديوان ق١ / ٤٣ وما بعدها.

ب٩: الأقتاد: عيدان الرحل. الجون: بعير أسود قد استشرب سواده حمرة. هباب: نشاط.

ب١٠: جمل بازل: قد أتى عليه تسع سنين، وجمعه بزل، سمى بازلا لأن نابه شق الجلد=

| | |
|---|---|
| ١١- سنة حتى إذا ما أحولت | وضعته بعد عزف واضطراب |
| ١٢- جلدة لم يتخون درها | سوء تصريم ولا جهد احتلاب |
| ١٣- ففلته دررا حتى بدا | سامقا يعلو مصاعيب السقاب |
| ١٤ - جذعا يستكبر الشول له | مفنقا كالفحل يعمى باللعاب |
| ١٥ - ثم أثنى وهو شهم مصعب | فرد يذعر من صوت الذباب |
| ١٦ - فخلا سنة أيام به | رابض يعدل أضغان الصعاب |

---

= واللحم فظهر وتبزل. الكودانة: الغليظة الشديدة. الملاط: الجنب. الوعاء: يريد رحمها.

ب١١: أحولت: اتئ عليها حول. بعد عزف: أى بعد حنين عند وجع المخاض.

ب١٢: يتخون: يتنقص. والتصريم: قطع بعض أخلاف الناقة، أو كيه ليزداد لبنها فذلك أقوى لها.

ب١٣: فلته: ربته. سامقا: طويلا. مصعب: شديد قوى لم يذلل. سقاب: جمع سقب، قال الاصمعى: يقال لولد الناقة حين ينتج: سليل، فإذا وقع عليه اسم التانيث أو التذكير فالذكر سقب، والأنثى حائل.

ب١٤: الجذع: هو الذى له خمس سنين. يستكبر الشول: أى هو أعرف منها وأعظم. والشول: جمع شايل وهى التى اتى عليها من نتاجها سبعة اشهر أو ثمانية فخف لبنها، ومنه: شال الميزان: إذا خفت إحدى كفتيه فا رتفعت. مفنقا: صار فنيقا وهو الفحل المودع للفحلة. يعمى: يقذف بلغامه.

ب١٥: أثنى: صار ثنيا فى السنة السادسة. شهم: حديد النفس مذعور. مصعب: أى لم يمسسه حبل قط. فرد: منفرد عن الإبل. يقول: من شهومته يذعر من صوت الذباب.

ب١٦: أضغان: جمع ضغن وهو أن يضغن أى موضع سوى الوجه الذى يسكله صاحبه.

١٧ - فى خلاء الأرض حتى قاده ... تبع المهر بمنح واجتلاب

١٨ - قلما حمله من رحله ... غير أقتاد وقطع وقراب

١٩ - يرقب الشخص بتالي طرفه ... بعد ما ينضو معانيق الركاب

٢٠ - نعم قرقور المرورات إذا ... غرق الحزان في آل السراب

٢١ - كمدل ظل فى عانته ... بصوى الرجلة شرقى غراب

٢٢ - صائم يقصم أدنى أمره ... قد برى جبلته عسف الرقاب

٢٣ - أبماء السر يسقيهن أم ... يرد الجى إلى وجه الإياب

٢٤ - ثم قفاهن محبوك الشوى ... أصحل في أخدريات لهاب

---

ب١٧ : تبع المهر: اى كما يتبع المهر.

ب١٨ : القطع: الطنفسة. القراب: شيء من أدم يكون فيه السوط والسيف والمحجن.

ب١٩ : بتالى طرفه: اى بما تبع الشخص من طرفه. والتالى: التابع. والتوالى: الأواخر. ينضر: اى ينسلخ عنها ويخلّفها وراءه. معانيق الركاب: الإبل التى تركب.

ب٢٠ : المرورات: الفلاة. الحزان - جمع حزيز - وهو المنهبط من الأرض، وقيل: هو الغليظ منها.

ب٢١ : كمدل: يعنى عير الفلاة يدل بقوته ونشاطه. عانته: أتنه. الصوى: جمع صوة وهى آكام غلاظ، وقيل: الصوى: الأعلام، وهي حجارة تنصب على شرف يستدل بها.

ب٢٢ : صائم: قائم راكد. يقصم: ينظر فى أمره ويدبره اى ماء يرد باتنه. جبلته: غلظ حلقه. والعسف: أن يظلم أتنه ويعنتها. الرقاب - جمع رقوب - وهى التى لا ولد لها. والعف: أن يسلكها على غير بيان وهدى.

ب٢٣ : السر: موضع. الجى: جمع جية وهو الماء المستنقع. الاياب: مبلغه ومرجعه.

ب٢٤ : قفاهن: أوردهن واتبع آثارهن. محبوك: مجدول شديد الأسر. الشوى: القوائم.=

وفى هذه القصيدة يخطو خطى «النابغة الذبيانى» فى مطولته، وتوشك أن تكون المفردات المستعلمة فى الصورتين واحدة..

وإذا كانت ناقة «النابغة» عظيمة الفقار، مقتدرة على حمل راكبها مدة طويلة فشد عليها أعواد رحله فإن عديا يكسو أقتاده بعيرا أسود، نشيطا .. ويأخذ فى نعت أمه، تلك (البازل) التى لها من العمر تسع سنين، وهى غليظة شديدة، حملته في رحم يشبه الجراب. وظلت حاملا به سنة ثم وضعته بعد تعب ومشقة وحنين - يقصد بذلك تعب المخاض.

وقد أرضعته رضاعا مشبعا فكانت مدرارا، لم يقم أربابها بقطع بعض أخلافها، ولم يقربوا ضرعها، بل تركوا لها ابنها حتى شرب فروى..

وهكذا ربته حتى صار طويلا، شديدا، قويا، فإذا ما بلغ خمسا صار جذعا، تراه أعظم من عمره الحقيقى، لقد صار كالفحل الذى يودع للفحلة. فلما صار فى السادسة كان حديد النفس، ولم يذلل، أو يقد بحبل، وإنما كان منفردا عن الإبل.

وهكذا تابع وصف هذا الجمل منذ كان فى بطن أمه حتى صار مطية له، واقتحم به الفلاة فكان نعم مقتحم للأرض الغليظة وقت الظهيرة.

وعلى غرار الجاهليين يشبه عدى جمله هذا بحمار وحشى، مدل بقوته ونشاطه وهو يقود أتنًا له، ظل قائما عليها، ويرد بها الماء، وينزلها حيث يشاء، وقد يكون على غير هدى وتثبت، حتى إذا أوردهن واتبع آثارهن مجدولٌ... هنا انقطعت الصورة مما يدل على أن القصيدة قد

= أصحل: في نهاقه بحة. أخدريات: أتن من بنات الأخدر، وهو فرس كان لأردشير فضرب في الحمر. لهاب: عطاش، أو سريعة العطش.

فقد منها أبيات .

**وقال عدي أيضا**(٨٦):

١٧ - فــصــرم الهم إذ ولى بناجيــة
عــيــرانة لا تشكى الأصــر والعمــلا

١٨ - من اللواتي إذا استقبلن مهمهة
نجين من هولهــا الركبــان والثقــلا

١٩ - من فــرّها يرها من جــانب سدسا
وجــانب نابهــا لم يعــد أن بزلا

٢٠ - حــرف تشــذر عن ريان مغتمس
مستحقب رزاته رحمهــا الجملا

٢١ - أوكت عليه مضيقــا من عواهنهــا
كمــا تضمن كشح الحــرة الحبــلا

---

( ٨٦ ) ق٤ / ٧٦ . ب١٧ : صرم الهم : قطع . عيرانة : ناقة تشبه عير الوحش لصلابته ووقاحته . والأصر : الحبس الضيق وقلة العلف والمرعى .

ب١٨ : المهمهة : الأرض البعيدة الأطراف .

ب١٩ : فرها : نظر إلى سنها . والسدس والسديس : التى تم لها ثمانى سنين، والأسداس قبل البزول بسنة، إذ إن البزول عند تسع سنين.

ب٢٠ : حرف : ناقة ضامر لكثرة الأسفار عليها . تشذر : أى تشول بذنبها وتقمطر لأنها قد لقحت . عن ريان : يعنى ولدها، وعن ريان : أى من أجل ريان، أى قد لقحت به . قد رزاته رحمها الجملا : أى أخذت رحمها ماء الجمل الفحل .

ب٢١ : أوكت عليه : أى شدت على الجنين فم الرحم . عواهنها : ما حول حياها .

٢٢- كأنها وهى تحت الرحل لا هية
إذا المطى على أنقابه ذملا

٢٣ - جونية من قطا الصوان مسكنها
جفاجف تنبت القفعاء والبقلا

٢٤ - باضت بحزم سبيع أو بمرفضه
ذى الشيح حيث تلاقى التلع فانسجلا

٢٥ - يأذى فينفض نفض الغر فروته
عن صفحتيه وضاحى متنه البللا

٢٦ - يبيت يحفر وجه الأرض مُجْتنحًا
إذا اطمأن قليلا قام فانتقلا

---

ب٢٢ : أنقاب : جمع نقب، أى : نقبت أخفافها من طول السير. الذميل ضرب من السير سريع، وهو العنق، ثم التزيد، ثم الذميل.

ب٢٣ : جونية : قطاة من القطا الجونى وهو سود الظهور وسود بطون الأجنحة والأعناق، وظهورها تعلوها غبشة فيها رقطة. والصوان : موضع كثير الحجارة. والجفاجف : جمع : جفجف وهو مستوى من الأرض في غلظ. القفعاء : نبت من أحرار البقل تنبت متصدحة ٪ان ورقها ورق الينبوت.

ب٢٤ : الحزم : الغليظ من الأرض المرتفع، والحزن أغلظ من الحزم، والحزم أشد ارتفاعا. ومرافض الأرض : مساقطها من نواحي الجبال ونحوها، واحدها : مرفض. وقيل : مرافض الوادي : مفاجره حيث يرفض إليه السيل.

ب٢٥ : يأذى : يتاذى. صفحتيه : جانبيه. ضاحى متنه : ما برز منه. الغر : الذي لا تجربة له. يريد : أنه يتاذي بالبلل الذى يصيبه فينفضه.

ب٢٦ : مجتنحا مالا : يقول : إذا أوكفت عليه الغصون انتقل من مكان إلى مكان.

٢٧ - تحسرت عقة عنه فأنسلها
واجتاب أخرى جديدًا بعد ما ابتقلا

٢٨ - كأنه بين ظهراني دجنته
حر تبذل بعد الكن فاعتملا

إن عديا يقطع همه بناقة قوية، صبور، تشبه حمار الوحش، لا تشتكي جوعا ولا تعبا. إنها تقتحم المهامه والصعاب دون ضجر، فهي قادرة على متاعب الرحلة ومشقاتها.

ومن ينظر إليها من جانب يظنها بنت ثمان، ومن جانب آخر بنت تسع، وإنها ضامرة لكثرة الأسفار..

وبينما كانت الناقة عند الجاهليين - طرفة مثلا - تتمنع من الذكر خشية الإنجاب.

تريع إلى صوت المهيب وتتقي ... بذي خصل روعات أكلف ملبد

فإنها هنا تشول بذنبها لأنها قد لقحت وأخذ رحمها ماء الجمل الضحل.. لقد شدت على الجنين فم الرحم فصار كأنه مربوط..

---

ب٢٧ : تحسرت : أي انكشفت عنه وسقطت. العقة والعقيقة والعقيق: الشعر الذي يكون على كل مولود من البهائم حين ولادته. والعقيقة: صوف الجذع. انسلها: ألقاها لما رعى الربيع. اجتاب: لبس أخرى. ابتقل وتبقل: رعى البقل.

ب٢٨ : بين ظهراني: أي في خلال ذلك. والدجنة. الباس الغيم، يريد: كأنه إنسان حر يكين ويصون نفسه، ثم ابتذل نفسه واعتمل.

لقد نقبت أخفافها من طول السير، وصارت كالقطاة الجونية... ثم يأخذ فى وصف تلك القطاة التى تترأى له تقليدا أو عيانا، فهى تنسب إلى موضع كثير الحجارة. اتخذت من الأرض المستوية فى غلظ مسكنا لها فوضعت فيه بيضها.

وإذا ما تأذى بالبلل بالماء فإنه ينفضه عن جانبيه، وإذا ما اطمأن إلى موضع غادره إلى آخر.. وهو يغير شعره القديم بشعر جديد، وإنه كإنسان حر يصون نفسه من التبذل.

وها هو جمل شديد قوى، إذا ما هز عنقه ورأسه اضطرب النعام الساكن وهاج. إنه كالحمار الوحشى الذى يرعى مع نحائصه وقت الصيف.. ثم يأخذ الشاعر فى وصف هذه الأتن فيقول: إنهن ضوامر، وهناك بينه وبينهن معاركة فهن يتقينه بسنابكهن الصلبة التى تشبه الحجارة القوية. والحمار نشيط يعضهن فى مؤخرة أفخاذهن.. وقد قادهن إلى مكان كثير البقل، فرعينه فيما بين فصلى الصيف - آخره - وأوائل البرد. وظهر عليهن أثر الرعى فكأنهن لبسن ثوبًا آخر وهو ثوب السمن والامتلاء بعد الهزال والضعف..

والأتن هنا أيضا بعد أن رعين شربن، ولكنه ليس عبا، إنما شربن من حُفَرٍ فيها بقايا ماء المطر.. وراح الفحل وأتنه من الفلاة إلى أن وصلن «وادى الذباب» وهناك وردن الماء لكن في حذر وترقب، عيونهن سواهر، ثم لقين فرسا طويل العنق، ممحص القوائم، سمينا.. والفرس هنا لأحد غلمان قوم الشاعر، ولقد جرى وراء هذه الأتن، وتابع الجرى وراءهن في

الحزن والسهل، لم يضعف، وأصاب ما أصاب من القطيع.. قال(٨٧).

| | |
|---|---|
| ٧- أفلا تناساها وتترك ذكرها | إذْ حملتك إخال ما لم تحمل |
| ٨- بعذافر يشرى الجديل كأنه | عير تصيف في نحائص ذبل |
| ٩- شُزَّب ذوابل يتقين لبانه | وجبينه بسنابك كالجندل |
| ١٠- أرن يعض بكاذهن كأنه | قدح يظل به المناضل يغتلى |
| ١١- بين السمية والسنان يجنها | منه بكل حجاج روض مبقل |
| ١٢- حتى إذا رمت الهواجر فى الثرى | والنبت بعد بلولة وتربل |
| ١٣- ولبسن لونا بعد آخر وانجلت | عنهن هبريه الشياه المنسل |

---

(٨٧) ق٣/٦١ وما بعدها.

ب٨: العذافر: القوى الشديد من الجمال. يشرى الجديل: أى يهيج اضطراب النعام إذا هز عنقه ورأسه، ويشرى فلان غضبا: أى يتطير غضبا. تصيف: من الصيف. نحوص ذبل: ضامرة.

ب٩: شزب: ضوامر، والشازب: اليابس من الصخر. اللبان: مجرى اللبب عند الدابة. جندل: حجر.

ب١٠: أرن: نشيط. الكاذ: جمع كاذة، وهو مؤخر الفخذ. يغتلى: من الغلوة وهى مدى رمية السهم.

ب١١: الحجاج: ما أشرف على الروضة كإشراف الحجاج على غار العين، وهو العظم الذى ينبت عليه الحاجب. مبقل: أى كثير البقل.

ب١٢: التربل: أن ينفطر النبت وتظاهر منه الخفرة، وذلك فى أيام الصفرية وهى آخر القيظ وأول البرد.

ب١٣: المنسل: الذى يلقى عنه النسال، والنسيل والنسال: ما نسل من عفائها إذا سمنت.

١٤- وشـربن كل بقـيـة صـادفنهـا    فى الارض من مطر السماك الاعزل

١٥- راحت وراح من الفلاة فأصبحا    بمجامع التلعات فوق الضلضل

١٦- فظللن من وادى الذباب بشعبة    أو بالأخيرم قاربات المنهل

١٧- فوردنه ونهودهن نواشز    وعيونهن سواهر لم تغفل

١٨- حتى إذا اختلط الظلام وردنه    ولقد بكين بهيبة وتجفل

١٩- فأتين مشترفا يمد عنانه    ويد الغلام بطعنة في المسحل

٢٠- محص الشوى ما من يديه يخونه    عظم الشظاة ولا انتشار الابجل

٢١- وترى لغر نساه غيبا غامضا    قلق الخصيلة من فويق المفصل

٢٢- فالكعب أصمع والقطاة يزينها    هاد له قـروا شديد الموصل

---

ب١٥ : التلعة: مسيل الماء من ارتفاع بطن الوادى. الضلضل: موضع.

ب١٦ : القرب: سير الليالى، وقيل: السير إلى الماء.

ب١٧ : نواشز: مرتفعة، والنشز: ما ارتفع من الأرض.

ب١٩ : مشترفا: يعنى فرسا مشترفا، اى يمد العنان من طول عنقه. المسحل: الحديدة التى تحت الحنك من اللجام.

ب٢٠ : محص: أى ممحص القوائم، وهي الشوى. والشوى: ذؤابة فى وسط الرأس. والشظا والشظاة: عظيم لاصق بالذراع غليظ الأصل، دقيق الطرف، إذا زال عن موضعه قيل: شظى الفرس. الأبجل: عرق.

ب٢١ : الغر: جمع غرور، وهو تكسر الجلد وتثنيه. غيبا: يعنى: انفلقت فخذاه بلحمتين عند سمنه. والنسا: من نسات الدابة أى : سمنت. الخصيلة: القطعة من اللحم الغليظ المجتمعة فيها عصبة.

ب٢٢ : أصمع: لطيف، أذن صمعاء: لطيفة، وهى من القطاة كمقعد الردف. والهادى: العنق، وسمى هاديا لانه يقدم العنق، وهادى كل شيء أوله. والقرى: الظهر.

٢٣- فـرمى به أدبارهن غـلامنا | لما استتب به ولم يستدخل
٢٤- شمس جوانح يعتدين وقدنا | يهوى بفارسه هوى الأجدل
٢٥- يغتالهن إذا السنابك أسهلت | وإذا علون حزونة لم يفشل
٢٦- . . . . . . . . . الذين غـدوا | منهن ذلق سنانه المترمل
٢٧- حسنا طريا يشتفون بطعمه | وقتاره لم يسبقوه بمآكل
٢٨- فـبنى لنا ضـلا وظل لنا رنا | لهب أعين بحاطب مستعجل
٢٩- طورا يطفيه الشتاء وتارة | يعلو سناه هشيم شيخ مشعل

وقال(٨٨):

٢٠- أفـلا تناساها بذات براية | عنس تجل إذا السفار براها

---

ب٢٣ : فرمى به أدبارهن: أى رمى بالفرس أدبار الحمر. استتب: سابغ في جريه. لم يستدخل: لم يدخل الحمر.

ب٢٤ : شمس: فيهن مقائد. جوانح: موائل، أى تصير كل واحدة منها ندى لها. يهوى: يسرع. الاجدل: الصقر.

ب٢٥ : أسهلت: صارت إلى السهل. الحزونة: الغليظ من الأرض. لم يفشل: لم يضعف.

ب٢٦ : هكذا جاءالبيت في الديوان.. وطليق، ذليق: أى جديد، وكذلك السنان، أى ترمل بالدم.

ب٢٧ : القتار: ريح الشحم وهو الجميل.

(٨٨) ق٦/ ١٠٠ وما بعدها.

ب٢٠ : ذات براية: ذات شحم ولحم. وقيل: ذات براية: أى قوية على السير، وقيل: براية أى: بقية على السير، وذات براية: أى براها السير، وتكون غليظة. عنس: ناقة صلبة قوية، شبهت بالصخرة، وهى من صفات الإناث خاصة. تجل: تعظم وتشتد. =

| | |
|---|---|
| ٢١- تطوى الإكام إذا الفلاة توقدت | طى الخنيف بوشك رجع خطاها |
| ٢٢- وتشول خشية ذى اليمين بمسبل | وحف إذا صخب الذباب حماها |
| ٢٣- متذيل لدن المفاصل فوقه | عجب أصم يسد خور صلاها |
| ٢٤- نخست به عجز كأن محالها | درج سليمان النبى بناها |
| ٢٥ - بنيت على كرش كأن حرودها | مقط مطواة أمر قواها |

---

= سفار: جمع سفر. وسفار البعير: حديدة توضع على انفه فيخطم بها مكان الحكمة من أنف الفرس. براها: جعل في أنفها برة، وهى حلقة من فضة تجعل فى أنف الناقة.

ب٢١: تطوى: تقطع بسرعة سيرها. الإكام - جمع أكم، وواحد الاكم أكمة - وهى الموضع الذى يكون اشد ارتفاعا مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا.

الخنيف: ضرب من الكتان ردئ. الوشك: السرعة. رجع الخطى: يريد: ثنيها قوائمها لتخطو. والرجع: الصدى.

ب٢٢: تشول: ترفع ذنبها. ذى اليمين: السوط لانه يكون فى اليمين. مسبل: ذنب طويل. الوحف: الشعر الغزير المسود. مسبل وحف: الذنب المكسو بالشعر الغزير الاسود. صخب الذباب: كثر طنينه.

ب٢٣: متذيل: طويل. لدن: لين. العجب: أصل الذنب. الخور: مجرى الروث أى ما بين فخذيها، والمراد: أنها تسد ما بين فخذيها بطول ذنبها. الصلوان: مكتنفا الذنب عن يمينه وشماله.

ب٢٤: نخست: أى أتاها من خلفها، ويقال: جرب ناخس إذا أتى من مؤخر البعير. العجز: القفا، مؤخر الناقة. المحال: الفقار.

ب٢٥: الحرود: الطرائق التى في الكرش. مقط: حبال. مطواة: مفتول بعضها إلي بعض. أمر قواها: أى شد فتلها. والقوى: طاقات الحبل.

٢٦- في مجفر حابي الضلوع كأنه　　بشر يجيب الناطقين رجاها

٢٧- ويقود ناهضها مجامع صلبها　　نعبا وتبتدر النجاء يداها

٢٨- وتسوق رجلاها توالي خلقها　　طردا وتلتطس الحصى بعجاها

٢٩- ألقت على متن الطريق جنينها　　بتنوفة قفر يحار قطاها

٣٠- فغدت وأصبح في المعرس ثاويا　　كالجرو ملتفعا عليه سلاها

٣١- ولها مناخ قل ما بركت به　　ومصمعات من بنات معاها

---

ب٢٦ : مجفر: جوف منتفخ، أي: واسع. حابي الضلوع: اتصال رؤوس الأضلاع بعضها بالبعض الآخر. وحابي: مشرف. رجاها: ناحيتها.

ب٢٧ : الناهض: العنق، رأس المنكب أو لحم العضد أو الصدر. النعب: سير فوق الذميل تبتدر: تبدأ. النجاء: السرعة.

ب٢٨ : توالي خلقها: أواخره، يريد: أن مقدمها شديد، لا يخذل مقدمها مؤخرها ولا مؤخرها مقدمها. طردا: تتابعا، وقيل: مضمومة، يقال: طردت الإبل طردا أي ضممتها من نواحيها. وقيل: مستقيما. اللطس: دق الحجارة، أو ضرب الأرض بالخف. العجاية: عصبة في مؤخر الوظيف تمتد إلى الرسغ، وعجا: جمع على غير قياس.

ب٢٩ : التنوفة: المفازة. والقطاة أهدى الطير وهي هنا حائرة لا تهتدي في هذه الفلاة.

ب٣٠ : المعرس: موضع التعريس، والتعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل ثم يرحلون مع الصباح. الجرو: من أولاد السباع. ملتفعا: الالتفاع: الالتحاف بالثوب والاشتمال به حتى يجلل جسده. السلى: الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد.

ب٣١ : مناخ البعير: الموضع الذي يبرك فيه. مصمعات: يعني بعرات ملتزقات محدودات صغرن لقلة أكلها وشربها، يقال للرجل إذا كانت أذناه صغيرتين لازقتين بالرأس: أصمع. من بنات معاها: أي إن البعرات يجئن من الأمعاء.

| | |
|---|---|
| ٣٢- سود/ توائم من بقية حشوها | قذفت بهن الأرض غب سراها |
| ٣٣- حتى إذا انقشعت ضبابة نومه | عنه وكانت حاجة فقضاها |
| ٣٤- أهوي يعصب رأسه بعمامة | دسماء لم يلك حين نام طواها |
| ٣٥- ثم اتلاب إلى زمام مناخة | كبداء شد بنسعيته حشاها |
| ٣٦- وغدت تنازعه الجديل كأنها | بيدانة أكل السباع طلاها |
| ٣٧- حتي إذا يئست وأسحق ضرعها | ورأت بقية شلوه فشجاها |
| ٣٨- قلقت وعارضها حصان نحائص | صحل الصهيل وأدبرت وتلاها |
| ٣٩- يتعاوران من الغبار ملاءة | بيضاء محدثة هما نسجاها |

---

ب٣٢ : حشوها : علفها الذى اعتلفت . غب سراها : بعد سراها . والسرى : السير بالليل .

ب٣٣ : انقشعت : انكشفت . ضبابة نومه : يريد النعاس .

ب٣٤ : أى : أهوى إلى عمامته ليعتم بها . دسماء : وسخة .

ب٣٥ : اتلاب : استقام، وقيل : انتصب . مناخة : ناقة باركة . كبداء : غليظة الكبد شديدتها، وقيل : بينة الكبد، وقيل : ناقة كبداء، أى : عظيمة الوسط .

ب٣٦ : الجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر يكون فى عنق الناقة أو البعير . بيدانة : أتان تكون فى البيداء، وقيل : أتان عظيمة . طلاها : الطلا : الولد من ذوات الظلف والخف، وقيل : الطلا : ولد الظبية ساعة تضعه .

ب٣٧ : أسحق : ذهب ما فيه من اللبن وذلك لتركها الرعى، وأصل الإسحاق : الإخلاق . الشلو : بقية ما أكل منه . شجاها : حزنها .

ب٣٨ : الحصان هنا : حمار الوحش . والنحائص : جمع نحوص وهي الاتان التى لا حمل لها ولا لبن لها . صحل : أبح، يريد أنه أجش الصوت، نهاقه غليظ ليس فيه دقة، والصهيل في الخيل فاستعاره فى الحمير كما استعار الحصان للحمار . تلاها : تبعها .

ب٣٩ : يتعاوران من الغبار : أي تصير الغبرة مرة للعير ومرة للاتان، أى يتداولان الغبرة =

٤٠- تطوى إذا علوا مكانا جـاسـيـا     وإذا السنابك أسـهـلت نشـراها

٤١- فـألح واعـتـزمت عليـه بشـأوها     شـــرفين ثـمت ردها فـــشناها

٤٢- لسـرارة حـفش الربيع غـشـاءها     حـــواء يزدرع الغـمـيـر ثراها

٤٣- فـتـصـيَّـفَـاها يصـبـحـان كـلاهمـا     لثق الجحـافل من وكـيف نداها

٤٤- حتي اصطلى وهج المقيظ وخانه     أبقى مـشـاربه وشـاب عـشـاها

٤٥- وثوى القتام على الصوى وتذكرا     مـــاء المناظر قلبـهـا وأضـاها

---

= فيما بينهما. الملاءة: معروفة وهي الملحفة.

ب٤٠: جاسيا: غليظا من الارض لم يثر لها غبار فإذا صارا إلى مكان سهل ثار به الغبار. السنابك: واحدها سنبك وهو طرف الحافر وجانبه. اسهلت: نزل السهل. نشراها: عكس تطوى. ب٤١: ألح: اى في جريه. واعتزمت: الحت ومضت. الشأو: الطلق من الجرى. شرفين: اى طلقين، والشرف ايضا: ما ارتفع من الأرض.

ب٤٢: السرارة: أكرمَ الوادي وافضله، والسرارة - بالكسر - وسط الروضة وفيها يكون ناعم النبت. حفش: اى اسالها وأخرج ما فيها من الغثاء. حواء: اى اشتدت خضرتها حتى ضربت إلى السواد من ريها. يزدرع: ازدرع القوم: اتخذوا زرعا لأنفسهم خصوصا، أو احترثوا. الغمير: خضرة فى أصل اليبيس إذا أصابه المطر حتي يغمره. الثرى: الندى.

ب٤٣: تصيفاها: أقاما فيه صيفهم. لثق: يقال قد لثقت ثيابه إذا بلها المطر. نداها: ندى السرارة.

ب٤٤: وهج النار ووهج الحر: احتدامهما، ويريد بالمقيظ: القيظ وهو شدة الحر. أبقى مشاربه: أى أطولها في بقائه. شاب: يبس وابيض. العشا: العشب وأصل العشا: كثرة الشعر ثم استعير فيما تشعث من النبات.

ب٤٥: وثوى: أقام. القتام: الغبار. الصوى - جمع صوة -: حجر يكون علامة فى =

٤٦- فـأرِن بأرنهـا إذا عـرضت له بيداء ذات مخارم عسفاها

٤٧- حتى تأوب ماء عين زغرب تنقى الضفادع في نقيع صراها

٤٨- فتزودا نفسين ثم توليا فرحين غب الرى أن يذراها

وفي هذه الصورة تبرز قدرة الشاعر في حديثه عن الناقة سالكًا مسلك الجاهليين.

وهو هنا ينسى الهم أو يتناساه عن طريق هذه الناقة القوية، الصلبة، التى رغم كثرة سيرها لم تتعب، إلا أنَّ كثرة الأسفار أذهب لحمها، وإنها تشبه الصخرة.. وهى سريعة تطوى الأرض - رغم غلظها ووعورتها -

---

= الطريق. المناظر: جمع منظرة وهو الموضع الذى ينظر منه، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره، وقيل: المنظرة في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو ويحرسه منه، وقد تسمى مرقبة أى يراقب منها الرقيب. وقيل: المناظر بلد أو موضع. قلب: جمع قليب وهى البئر القديمة التى لا يعلم لها رب ولا حافر وتكون بالبرارى. وقيل: القلب بالضم: السعف الذى يطلع من القلب. اضاها: الاضا جمع الاضاة - وهو الماء المستنقع من سيل أو غيره.

ب٤٦: أرن: صوت، يريد نهاقه، والأرن: النشاط والمرح. البيداء: الأرض التى فيها ارتفاع مع استواء. مخارم - جمع مخرم -: الطريق في الجبل أو الرمل، وقيل: هو منقطع أنف الجبل. العسوف: الذى يركب الليل على غير هداية.

ب٤٧: تاوب: أتاه ليلا، وتقول: وردت أبية أى: وردت مع الليل. قال الاصمعى: وهذا خطأ إنما يورد العير أتنه سحرا. الزغرب: الغزيرة. صراها: الصرى: الماء الذى طال استنقاعه، وقيل: ما طال مكثه وتغير.

ب٤٨: أى: شربا نفسين أى عبا فى الماء ثم رفعا رأسيهما ثم عادا فعبا بعد الرى.

طيا.. وهى ترفع ذنبها خشية السوط، وهذا الذنب طويل فى ذاته، وطويل الشعر، أسوده، وهى تحركه يمنة ويسرة تذب به الذباب.. كما أنه يسد ما بين فخذيها.. ويصف فقار ظهرها ويشبهها بدرج محكم الصنع كأنه من صنع سليمان عليه السلام.. وحتى طرائق بطنها يصفها ويشبهها بحبال مفتولة أحكم فتلها.. ويتطرق إلى جوفها وعنقها، ثم يصف تلاحم أعضائها وقت إسراعها السير فيبين مدى شدة مقدمها وأنه لا يخذل مؤخرها، وكذا المؤخر لا يخذل المقدم، وهى في جريها تضرب الأرض بخفها وتدق الحجارة.. ولشدتها وقوتها وصلابتها فإن ذلك كله يتأتى منها وهى على وشك المخاض، وها هي قد وضعت الجنين على متن الطريق - دون أن يذكر لنا الشاعر معاناتها المخاض وآلام الوضع -، وضعته في مفازة يحار بها القطا. هذا القطا الذى يضرب العرب به المثل فى الاهتداء يحار بتلك المفازة؟!. ثم واصلت الناقة سيرها، أما ابنها فأقام في المعرس عليه السلا (المشيمة)..

وإنها لقليلة البرك فى مناخها، ولها بعرات صغيرات سود متماسكات وذلك دليل على قلة الأكل والشرب.

وعلى غرار الجاهليين يتطرق «عدى» فى معرض حديثه عن الناقة إلى حمار الوحش في صورة أشاد بها النقاد القدماء أيما إشادة.

وهنا نجد الحمار الوحشى في أزمة وشدة حين تدبر أتانه ولا تخضع له، لقد جرت. واشتدت في الجرى، فلم يجد الحمار بدا من متابعتها، وها هما يتداولان الغبرة فيما بينهما، فتكون الغبرة الناتجة عن جري السابق كساء يجلل اللاحق، فمرة تكون الأتان سابقة ومرة يكون الحمار.

وهذه الغبرة تنبعث من المكان السهل، أما إذا علوا مكانا غليظا ذا حجارة فإن الغبار يختفى، فإذا ما نزلا سهلا بعد ذلك المكان الجاسى أثير الغبار مرة أخرى.

لقد استمر الحمار في جريه ومضت الأتان كذلك، إنها عازمة على البعد عنه، وهو عازم على ردها، وكانت الغلبة فى النهاية للحمار، لقد نجح فى أن يردها ويثنيها عما عزمت عليه.

وإصرار حمار الوحش على ألا تفر منه أتانه - أو أتنه - غيرة منه وخشية من أن تحن إلى سواه. ويرى «إيليا حاوى» أن ذلك «رمز للرجل العربى الذى يهلع إذ يخيل إليه أن حليلته تحن إلى سواه، فيرود عليها، يصدها ويردها، مقيما على عطشه، لا قبل له بارتياد الماء. فهذا الحمار يعانى حالات إنسانية فى نفسه وجسده، إذا جاز التعبير. فأيا يكون هذا الحمار الذي لا يقوى على احتساء الماء لأنه مصاب بداء فى نفسه، فكأن الإنسان لا يطيب له مآكل أو مشرب إلا مع راحة البال وكرامة النفس»[٨٩].

وهذا الحمار نجح - كما ذكرت - فى السيطرة على أتانه، وردها إلى مكان ممتلئ كلأ وعشبا.. وهناك أقاما الصيف إلى أن اشتد القيظ واحتدم الحر، وشعرا بالعطش، فناداها الحمار بصوت وتبعته وسارا، وإذا (عرضت له) لم يقل «عرضت لهما» لأنها صارت تابعة له، لا تعترضه أو تعارضه..

وظلا سائرين حتى وصلا ليلا[٩٠] عينًا غزيرة الماء، وهى وإن كانت

---

(٨٩) الأخطل: إيليا حاوى ٤٦٠.

(٩٠) قال الأصمعى: هذا خطأ، وإنما يورد العير أتنه سحرا. راجع: مآخذ النقاد على =

مستنقعا بحوى الضفادع إلا أنهما عبّا من الماء عبا، وتوليا وهما فرحان.

وتلك نهاية سعيدة، على خلاف ما اعتدناه من الشعراء، حين نجد العير وأتنه ترعى وهو فى قلق واضطراب، مذعور خائف علي أنثاه، تستبد به الغيرة عليها، إنه مستطار دائما.. إلا أننا نجدهم يصفون الأتن بأنها سمينة من كثرة الرعى. والحمار يمنعها فلا ترد الماء لشدة غيرته عليها، أو يذكر الشاعر أن الفحل قد فقد الماء أو افتقده.

والشاعر يريد أن يقول: «ليس كل ما يتمنى المرء يدركه».. ها هو الحمار يعانى أشياء عديدة: شدة القيظ، الغيرة، فقد الماء.

أما عدى - هنا - فرغم ان الحمار تعب حتى رد أتانه، إلا أنهما نعما بعد ذلك بمرعى خصب، وكلا وافر، ثم عبا من الماء مرة بعد مرة، ووليا فرحين.

وذلك - إن دل فإنما - يدل على عاطفة الشاعر السعيدة، الراضية، القارة، الهانئة.

وهكذا كانت الناقة عندى عدى أمونا، يؤمن عثارها فى السفر، تقتحم الأهوال على شدتها، فهى شديدة الصلابة، قوية كالحجر، لا تكل ولا تمل حتى مع ذهاب لحمها، وتنقب أخفافها لكثرة أسفارها.

وقد جاء وصفه للحمار وأتنه أثناء حديثه عن الناقة، وكذلك القطاة لم يتحدث عنها لذاتها وإنما فى معرض الحديث عن الناقة.

وهكذا، كان حمار الوحش عند الجاهليين والأمويين - على السواء -

---

= عدى فى آخر البحث.

«بين أتنه سيدا مسيطرا، يجمعها ويفرقها، ويهذب الناشز منها، ويختار لها المورد الذى ترد، ويسوقها إليه، ويحدد لحظة الورود، ويبث فيها روح الحذر والترقب.

«إنه كشيخ القبيلة المحنك، الذى عركته التجارب فمنحته معرفة كأنها الفطرة الثابتة تهديه الطريق، وتجنبه المخاطر، وتنجيه منها إذا صادفته.

«وكان الشاعر - فى مقابل صورة البطل الفرد - يرسم صورة لمجتمع قبلى منظم... لذلك يعايش الشاعر - فى صورته - حمار الوحش أكثر مما يعايش الثور، ويرسمه فى لحظات أمنه بين سربه مليئا بالحياة والقوة ومعانى السيطرة، ويتابعه لحظة بعد لحظة، وهو يسوق قطيعه إلى الماء هابطا بها القيعان حينا، ومشرفا بها الوهاد والكثبان حينا آخر، مستشرفا أى الموارد يأتى، وأيها يدع...»[٩١].

## وصف الخمـــر

لقد حرم الإسلام الخمر تحريما قاطعا، وبذلك توارى وصفها بعد تحريمها، إلا أن ذكرها كان يأتى فى معرض وصف الشعراء لريق صواحبهم - غالبا - أو ما شابه ذلك - قال عدى[٩٢]:

| | |
|---|---|
| الهـو بواضـحـة الخـدين طيـبـة | بعـد المنام إذا مـا سـرها ابتـذلا |
| ليـست تزال إليـها نفس صاحـبها | ظمـأى فلو رأى من قلبـه الغللا |

---

(٩١) فى الشعر الإسلامى والأموى. د/ عبد القادر القط ٤٢٦، ٤٢٧- دار النهضة العربية.

(٩٢) الديوان ٧٣.

كشارب الخمر لا تشفى لذاذته ولو يطالع حتى يكثر العللا

وقال(٩٣):

كأنه شارب يشفى لذاذته بالخمر أو وارم الأوداج مختنق

وقال(٩٤):

أسر هموما لو تغلغل بعضها إلى حجر صلد تركن به صدعا

أميد كأنى شارب لعبت به عقار ثوت فى دنها حججا تسعا

مقدمة صهباء تشخْن شربها إذا ما أرادوا أن يراحوا بها صرعى

عصارة كرم من حديجاء لم تكن منابتها مستحدثات ولا قرعا

وقال(٩٥):

٦- فكأنى من ذكرهم خالطتنى من فلسطين خمر جلس عقار

٧- عتقت فى القلال من بيت رأس سنوات وما سبتها التجار

٨- فهى صهباء تترك المرء أعشى فى بياض العينين منه احمرار

---

(٩٣) نفسه ١٤٦.

(٩٤) نفسه ٢٢٢.

(٩٥) نفسه ١٧٧، ١٧٨.

ب٦: قيل: إن بفلسطين ديرًا يقال له «الجلس». وقال أبو عمرو: وعسلٌ جلس أى: طيب.

ب٧: بيت رأس: مكان بالشام. وقوله: سبتها: يريد سبتها فترك الخمر. القلال: حباب عظام.

وله فيها بيتان يقول فيهما(٩٦):

١ - كـمـيـت إذا شـجـت وفى الكأس وردة
لهـا فى عظام الشـاربين دبيب

٢ - تريك القـذى من دونهـا وهى دونه
لوجـه أخـيـهـا فى الإناء قطوب

ويروى: أن «سليمان» أو «الوليد بن عبد الملك» لما سمع هذين البيتين قال لعدى: شربتها ورب الكعبة.

فقال عدي:

يا أمير المؤمنين، لئن رابك وصفى لها لقدرابنى معرفتك بها، فتضاحكا.

يقول كارل نالينو(٩٧):

«هذه الحكاية تدل على إمساك أهل الحضر بالشام عن الخمريات، خلافًا لحضر أهل العراق».

وعدى يصف الخمر هنا فيقول: إنها حمراء، أو هي مائلة إلى الأحمرار

---

(٩٦) الديوان [من الشعر المنسوب إليه] ص٢٧٥.

ب١: كميت: مائلة إلى الاحمرار. شجت: مزجت بالماء. دبيب: كناية عن الخدر: أى فقدان الحسن الذى يشعر به شارب الخمر تدريجيا.

ب٢: تريك القذى: أى لشدة صفائها ترى فيها أى شائبة. أخيها: المدمن لها. قطوب: تقلص في عضلات الوجه.

(٩٧) تاريخ الآداب العربية/ كارل نالينو. دار المعارف. ط ثانية ص٢٩٩.

- دلالة على أنها معتقة -، وإنها حين مزجت بالماء وتناولها المدمنون فإنها تخدرهم شيئا فشيئا، ويتسلل هذا التأثير إلى العظام نفسها.

وهذه الخمر صافية، شديدة الصفاء، ولذا ينعكس فيها القذى... ويصف أثرها في وجه مدمنها (أخيها) فيقول: إنها شديدة الأثر، حتى إن المدمن تتقلص عضلات وجهه لطعمها هذا المز الحريف، فما بالك بمن لم يتعود شربها؟.

**ووصف عدي حمامة فقال**[٩٨]:

| | |
|---|---|
| ١ - ومما شجاني أنني كنت نائما | أعلل من برد الكرى بالتنسم |
| ٢- إلى أن بكت ورقاء في غصن أيكة | تردد مبكاها بحسن الترنم |
| ٣- فلو قبل مبكاها بكيت صبابة | بسعدى شفيت النفس قبل التندم |
| ٤ - ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا | بكاها فقلت: الفضل للمتقدم |

يقول: كنت نائما، وكنت حزينا، ضجرا، متألما، أعلل نفسي وأمنيها بأن الجو سيبرد وشيكا فأنام. والحزين يكون جسده ساخنا، أو أن الزمن كان صيفا والجو حار، إلا أن عديا لم يكن يفوز من ذلك إلا بالنسمة الخفيفة بعد النسمة.

---

(٩٨) الديوان ٢٦٦، وراجع: روافد التأثير في الباب الأخير.

ب١: شجاني: أحزنني. أعلل: أعد وأمني. برد: النوم، والبرد أيضا: تبريد العين. التنسم: طلب النسيم واستنشاقه.

ب٢: ورقاء: حمامة، سميت بذلك لأن لونها بين السواد والغبرة. أيكة: الشجر الكثير الملتف، وقيل: الأيكة: جماعة الأراك. الترنم: ترجيع وترديد وتكرار.

وبينا أنا كذلك إذ سمعت صوتا، هذا الصوت حول مشاعري وأحاسيسي، فانتقلت من حال إلى حال.. إنه صوت بكاء، والباكية حمامة ( ورقاء ) في غصن شجرة، إنها تردد الغناء وترجعه بصوت شجي حزين يؤثر في النفس..

ولم أكن أعرف قبل ذلك أن البكاء يفرج الحزن عن المحب الذي هجره حبيبه حتى سمعت شجو تلك الحمامة.. لقد بكت الحمامة العاشقة، ولم أبك، فكيف سبقتني؟! كيف يصل الحيوان الأعجم إلى ما لم يصل إليه الإنسان؟!. أو كانت الحمامة أرق شعورا، وألطف إحساسا مني؟!.. إنها هي التي بعثت أشجاني، وهاجت أحزاني، وحركت مشاعري.. فلو أنني كنت أبكي كلما شعرت بشوق إلى « سعدى » لشفيت نفسي بهذا البكاء.. لقد علمتني هذه الحمامة ذلك « العلاج »، فلها فضل السبق والتقدم.

إنها صورة رائعة حقا، اعتمد الشاعر في رسمها على العواطف والمشاعر..

وقد رويت في « التذكرة الفخرية » هكذا[٩٩]:

| | |
|---|---|
| ونمّ شوقي بعد ما كان كامنا | هتوف الضحى مشغوفة بالترنم |
| بكت شجوها تحت الدجى فتساجمت | إليها غروب الدمع من كل مسجم |

إلخ...

( ٩٩ ) التذكرة الفخرية للإربلي ص٨٣.

**ووصف عدي برقا فقال(١٠٠):**

| | |
|---|---|
| ٦- يا من يرى برقـا أرقت لضـوئه | أمسى تلألا في حواركه العلى |
| ٧- لما تلحلح بالبـيـاض عـمـاؤه | حول الغريفة كاد يثوى أو ثوى |
| ٨- فـأصـاب أيمنه المزاهر كلهـا | واقـتم أيسـره أثيـدة فـالحشى |
| ٩- يدنو فـيـرتحل الآكـام ربابه | حتى إذا مـا قـيل ينعـفـر انفلى |
| ١٠- فكأنه لما تكشف ودقـه | ظهر السماوة واستقل على اللوى |
| ١١- ركن من الأحبـال فـيـه تعلة | يرمون بالنيران في خشب الغضا |
| ١٢- لجب السحـاب إذا ألم ببلدة | لم تسقها الأمطار مذ زمن بكى |
| ١٣- ويمج ريقـتـه بكل تنوفـة | سح المزاد إذا تبـعج وانفـرى |

---

(١٠٠) الديوان ق١٥/ ١٦٥ - ١٦٧.

ب٦: أرقت: سهرت. تلالا: لمع. حواركه: جمع حارك: أعلى الكاهل، وأصله من حارك البعير، وهو قدام السنام.

ب٧: تلحلح: أبطأ، وقيل: ثبت في مكانه فلم يبرح، وقيل: تزحزح، وقيل: تفرق. عماؤه: العماء: الغيم: الكثيف الممطر، وقيل: الرقيق. الغريفة - تصغير الغرفة -: موضع. يثوى: يقيم.

ب٨: المزاهر: ظراب وهى الروابي الصغار. اقتم: نكس وجرف كل شيء فيها، وقيل: اغبر. أثيدة والحشا: موضعان بالشام.

ب٩: أي دنا ربابه وأسف حتى علا الآكام. انعفر: بلغ التراب.

ب١٠: الودق: القطر. ظهر: علا. استقل: ارتفع.

ب١١: تعلة: قوم يتعللون يرمون شبه البرق بنيران يرمى بها في خشب الغضا.

ب١٣: تبعج: تشقق. انفرى: انشق.

| | |
|---|---|
| ١٤ب جرت الجنوب به فمال مياسرا | حتى إذا بلغ الفوارع من سوى |
| ١٥- وأصاب قلة غُرُب بعجت به | ريح شآمية فيامن وانتحى |
| ١٦- فانصب في الأوداه يلمع برقه | طوراً تبيّنه وطورا لا يرى |
| ١٧- يذر المكان المطمئن كأنه | بحر تجاوب في جوانبه الصدى |

من يقرأ هذه القصيدة يجدى صدى امرئ القيس فيها واضحا..

وعدى استهل حديثه بوصف برق أضاء ليلا جعله أرقا، ثم أمسى يتلالأ فلما زادت السحب وتكاثفت حول مكان يقال له (الْغُرَيْفَة) كاد يقيم، وما هو أن انهل فأصاب الروابي بيمينه، أما يساره فقد كان غزيرا حتى إنه جرف كل شيء في (أثيدة) و(الحشا).. ولقد علا ربابه الآكام، وارتفع إلى اللوى.. وسقى أماكن لم يصبها الغيث منذ زمن بعيد، لقد روى الأراضي التي تشققت.. ثم جرت به ريح الجنوب فمال حتى بلغ (الفوارع) و(سوى) وأصاب أعلا (غرب)، ثم مالت به ريح شآمية فمال يمينا حتى ترك هناك مياها تتلاطم أمواجها.

وعاطفة الشاعر هنا حزينة، ويكفى أن تقرأ البيت الأخير، ففيه تجد المكان المطمئن - بعد أن أصابه هذا المطر - بحرا تتجاوب فيه أصوات الأمواج.

---

ب١٤: مياسرا: ذات اليسارة. الفوارع وسوى: بلدان.

ب١٥: غرب: موضع. قلته: أعلاه.

ب١٦: الصدى: أصوات الأمواج.

**وله خمسة أبيات أخرى في وصف برق يقول فيها[١٠١]:**

**٧ - فـــدع ذا ولكن هل ترى ضـــوء بارق**

ومــيــضـــا ترى منه على بعــده لمعـــا

٨ - تصـــعـــد فى ذات الأرانب مـــوهنا

إذا هز رعــدا خلت في ودقــه شــفــعـــا

٩ - فـــمـــا تركت أركـــانه من ســـواده

ولا من بيـــاض مـــســتــزادا ولا وفــعـــا

١٠- ســمـا فى الصــبـا حتى إذا مـا تنصبت

شـــمـــاريخـــه واجـــتـــاب من ليله درعـــا

١١ - تبــعج مــجــاجــا من الغــيـث لم يذر

أبــاطـح إلا يــطـردن ولا تــلـعـــــــــا

ثم أخذ بعد ذلك فى المديح مباشرة.

**ووصف عدي الشيب فى أكثر من قصيدة :**

(١٠١) ق ٢٥/ ٢٢٣.

ب٨: هز رعدا: حركه. يقول: إذا برق البرق رعد السحاب. والودق: القطر. شفعا: اثنين اثنين.

ب٩: السواد من الأرض: ما كان معمورا. والبياض: ما لم يكن عامرا. والوفع: المكان المرتفع، وجمعه: أوفاع، أى: جلل من المواضع.

ب١٠: الصبا والجنوب: أي المطر. شماريخه: عاليه. وتنصبت: ارتفعت.

ب١١: تبعج: تشقق. مجاج: مج الماء. والأباطح: بطون الأودية فيها رمل وحصى صغار، يطردن: يجرى ماؤهن.

فقال[١٠٢]:

وقد وخط الشيب فى لمتى ... بشىء من الشعر الأشهب
وأقصر عنى جنون الشبا ... ب بعد غرانقه المعجب
فإن يادب اللهو أهل الشباب ... لا أرى فيهم ولا ألعب
وما للشباب إذا جال دو ... ن ميعته الشيب من مطلب

ومن الواضح أن هذه الأبيات كانت فى بدايات شيبه، ذلك أنه نظمها إبان خلافة عبد الملك حين خرج للقاء مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ. وكان عليه أن ينزجر بشيبه هذا عن رمى مصعب بالنفاق والحكم عليه بأنه مذنب فى القصيدة نفسها.

ويعبر عن انتشار الشيب بالفعل (عثا) فيقول[١٠٣]:

لولا الحياء وأن رأسى قد عثا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

ثم يقول عن النساء :

ومن الضلالة بعد ما ذهب الصبا ... نظرى إلى حور العيون نواعم
يذعرن من صلع الرجال وشيبهم ... ويمقن شيمة كل أهيف عارم
أعرضن حين فقدن غرب بطالتى ... ونسين حسن خلائقى وتمائمى
فإذا ملامسة الشباب ولهوه ... منهن لا قصص الفقيد العالم

وقال مفتتحا إحدى قصائده[١٠٤]:

---

(١٠٢) الديوان ق ٢٧ / ٢٣٢.
(١٠٣) ق ٩ / ١٢٢.
(١٠٤) ق ٧/ ١٠٨.

علانى الشيب واشتعل اشتعالا ... وقد غشى المفارق والقذالا

ويبدو أن هذه القصيدة متأخرة عن القصيدتين السابقتين، فقد تمكن الشيب منه تمكنا ( علانى )، وأكده بالمفعول المطلق ( اشتعل اشتعالا ) ثم جاءت الشطرة الثانية مبدوءة بـ( قد ) لتؤكد أن الشيب لم يترك مكانا في رأسه إلا وصله.

وقال عدى[١٠٥]:

.................. ..................

حتى تصرم لذات الشباب وما ... من الحياة بذا الدهر الذى نسلا

وراعهن بوجهى بعد جدته ... شيب تفشع فى الصدغين فاشتعلا

وسار غرب شبابى بعد جدته ... كأنما كان ضيفا خف فارتحلا

وهذا المعنى يتكرر كثيرا.. كان يلهو بواضحة الخدّين حتى ذهب الشباب وتفشع الشيب فاشتعل. ويلاحظ تركيز الشاعر على لفظة ( تفشع ) فى أكثر من موضع، وهى تشعر بمدى سرعة انتشار الشيب.

( وسار غرب شبابى ) رويت: ( وساف غرب شبابى ) أى ذهب وهلك، والثانية أقرب إلى مراد الشاعر، لقد ذهب الشباب وحل الشيب الذى اشتعل فى رأسه، ثم أخذ فى الحديث عن التحول وعدم الثبات، وتلك طبيعة الأشياء، فالقوى مع طول الزمن يضعف، كما قال تعالى: **﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ﴾**[١٠٦].

---

( ١٠٥ ) الديوان ٧٣ وما بعدها.

( ١٠٦ ) الروم/ ٥٤.

وأحيانا يعبر عن انتشار الشيب باللبس، يقول[١٠٧]:

ولقـد بلوت الدهر مـذانا يافع        حتى لبست الشيب بعد فناء

ويقول[١٠٨]:

كـان الشباب رداء أستكن به        وأستظل زمانا ثمت انقشعا
وبدل الرأس شيبا بعد داجية        فبنانة ما ترى في صدغها نزعا

والشيب يسرق الشباب ويختلسه خيانة، ويكون ذلك مقرونا بالتبدل من قوة إلى ضعف[١٠٩]:

والشيب يختلس الشباب تخونا        حتى يعود المرء منتقض القوى

والشيب بمثابة واعظ ومذكر يزجر صاحبه من إتيان ما يعيب الكبير، قال[١١٠]:

. . . . . . . . . . . . .        وفي الشيب عن بعض البطالة

❑ ❑ ❑

(١٠٧) الديوان ١٦٢.

(١٠٨) نفسه/ ٢١٦.

(١٠٩) نفسه ١٦٥.

(١١٠) ق ٢١/ ١٩٧.

# ٦ - الفخر

يقول الأستاذ أحمد أمين[١١١]:

«لقد رسم للشاعر أن يكون خادم السلطات وبدأ ذلك في العصر الجاهلي، فكان الشاعر شاعر القبيلة، لا شاعر نفسه، إذ كانت السلطة للقبيلة، فهو يدافع عنها، ويحميها من أعدائها، ويعبر بلسانها، ولا يشعر لنفسه بوجود مستقل فيها، فقل التعبير بـ «أنا»، وكثر التعبير بـ «إنا».... فلما انتقلت السلطة من القبيلة إلى الخلفاء والملوك والأمراء وقف الشاعر الحضرى منهم موقف أسلافه من القبيلة، فكان لا ينبغ النابغ من الشعراء إلا فى قصور الملوك والأمراء، وقل أن نرى شاعرا نبغ في غير هذه البيئة، ومن أجل هذا كثر شعر المدح والهجاء وما إلى ذلك، لان الشاعر ليس يعبر فيه عن نفسه، ولا هو مستقل بنفسه، إنما هو معبر عن أغراض من يخدمهم ويسعى فى إرضائهم».

لقد طغى شعر المديح فى عصر بنى أمية - كما أسلفت - لا سيما عند عدى بن الرقاع على سائر الفنون، حتى إن فنونا بعينها كانت نادرة فى شعره مثل الفخر والهجاء، وأخرى تلاشت تماما كالرثاء.

لم يفخر عدى بنفسه وبقومه إلا فى أبيات قليلة، يبدو أن رجلا اسمه «جوين بن معبد» وآخر اسمه «بجاد بن سعد» أخذا مالا لعدى دون وجه حق... فأخذ عدى ينشدهما الرحم، ويذكرهما بأن الإسلام ينهى

(١١١) فيض الخاطر ٢/٢٥٩ - ٢٦٠.

عن أكل مال المسلم أو استحلاله، وأن يذكرا مساعى قوم عدى الصوالح فيما بينهم.. ثم عرج على قومه وماضيهم فقال(١١٢):

نسيتم مساعينا الصوالح فيكم ... وما تذكرون الفضل إلا توهما

فإن تعدونا الجاهلية أننا ... لنحدث فى الأقوام بؤسى وأنعما

بلا ذاك منا «ابن المعذل» مرة ... وعمرو بن هند عام أصعد موشما

يقود إلينا ابنى نزار من الملا ... وأهل العراق ساميا متعظما

فلما ظننا أنه نازل بنا ... ضربنا ووليناه جمعا عرمرما

وإنا إذا زار العدو ديارنا ... سقيناه شربا ذا سمام وعلقما

ورأس خميس قد رمانا فغادرت ... سلاح كماتى لحمه متقسما

وكم من كمى قد رمانا بجمعه ... فكان لنا ذكرا طويلا ومغنما

ونحن جنينا الخيل ستين ليلة ... ينازعن فى السير المطى المحزما

شوازب كالعقبان تدمى نحورها ... نرد بها عنا الخميس العرمرما

وكل ردينى تخال سنانه ... شهابا بدا فى ظلمة الليل معلما

ونحن فككنا لامرئ القيس خاله ... فلم نستثبه مذ فككناه درهما

ونحن دفعنا عن أنيف ورهطه ... بأرماحنا يوماً من الدهر معظما

فككنا بنى بكر وقد شد دونهم ... أبو كرب غلا وأزهم محكما

وسادة عتاب بن بكر كأنما ... وهبنا به للتغلبيين أسهما

تناول نعمان بن عقفان بأسنا ... فزار القبور إنه كان محرما

وأحيا روات من بنى القيس تسعة ... وكان على تلك الألية مقسما

(١١٢) الديوان ق ٢٠/ ١٩٢-١٩٤.

ونحن فككنا عن، عدى بن حاتم، اخى طيىء الاجيال غلا محرما

إلخ..

إنه يفاخر بما كان من قومه من شجاعة وشدة بأس، ويذكر من ذلك تصديهم لعمرو بن هند بحشوده حتى ولوا الأدبار وردوا على أعقابهم.. وهكذا كل عدو يروم منا نيلا نسقيه سما وعلقما.

لقد أنزلنا باعدائنا هزائم منكرة وغنمنا غنائم عظيمة، إن لدينا خيلا كالعقبان نرد بها الجيوش العظيمة، ورماحا ردينية شديدة البياض كالشهاب المبدد ظلمة الليل.

ويذكر أياديهم البيضاء علي أعلام في الجاهلية من بينهم: خال امرئ القيس، فقد قاموا بفكه ولم نطلب بذلك جزاء ولا شكورا. وكذلك «أنيف» ورهطه حين دافعنا عنه ووقفنا إلى جانبه في يوم مشهود.. كما فككنا بنى بكر.... ومن نال بأسنا زار القبور كنعمان بن عقفان...

وهكذا كان فخر عدى قبليا جماعيا، ولم يكن ذاتيا فرديا. ودار كله حول إغاثة جماعة عدى فى الجاهلية لمن يستغيث بهم، كما تناول قوة شكيمتهم، وشدة بأسهم..

وقد تأتى له أبيات مفردة فى بعض القصائد، ويمكننا أن نقول: إن عديا ليس شاعر فخر.

❑ ❑ ❑

## ٧ - الحكمــة

واكبت الحكمة القصيدة العربية منذ بدايتها، وهى تأتى نتيجة لتجربة الشاعر وخبرته بالحياة والناس وحنكته. وهى تمثل جانبا من التراث الثقافى فى كل أمة.

وليس لعدى قصائد خاصة فى الحكم والتأمل، وإنما تأتى فى قصائد ذات موضوعات متعددة، ومعانيها مطروقة.

ومنها قوله(١١٣):

| | |
|---|---|
| ٨- وسار غرب شبابى بعد جدته | كأنما كان ضَيْفًا حل فارتحلا |
| ٩- وكم ترى من قــوى فك قــوته | طول الزمان وسيفا صارما نحلا |
| ١٠- إن ابن آدم يرجــو مــا وراءغــد | ودون ذلك غول تعتقى الأملا |
| ١١- لو كان يعتق حيا عن منيته | تحــرز وحــذار أحــرز الوعــلا |
| ١٢- الأعصم الصدع الوحشى فى شعف | دون السماء نياف يفرع الجبلا |

---

(١١٣) ق ٤/٧٣ب-٧٥.

ب٨: غرب الشباب: جدته.

ب١٠: الغول: كل شيء يغتال الإنسان فيهلكه. تعتقي: تقول: قد اعتاقني وعاقني إذا أشغلك عن حاجتك وحبسك، ورجل عوق: أى تحبسه الأمور عن حاجته.

ب١٢: الأعصم: الوعل، وعصمته: بياض في طرف يديه. والصدع: الوعل بين الوعلين ليس بعظيم ولا ضئيل. الشعف: رؤوس الجبال. يفرع: يعلو. النياف: المشرف.

| | |
|---|---|
| ١٣- أو طائرا من عتاق الطير مسكنه | بمصاعب الأرض والأشراف مذ عقلا |
| ١٤- يكاد يطلع صعدا غير مكترث | إلى السماء ولولا بعدها فعلا |
| ١٥- وليس ينزل إلا فوق شاهقة | جنح الظلام ولولا الليل ما نزلا |
| ١٦- فذاك من أجدر الأشياء لو وألت | نفس من الموت والآفات أن يئلا |

والحديث عن الموت بمثل هذه الصورة مألوف جدا حتى عند الجاهليين.

إن انتقال الشاعر «إلى الحديث عن الإنسان، والقوة، وطول الزمان، والسلاح الذى يفك تلك القوة أحاديث تدخل فى إطار الفلسفة الواضحة التى ظل الإنسان المحور الأساس فى تحقيقها. ولعل اهتزازات الطلل، وارتعاشات الصورة الكامنة فى بقاياه المندثرة ارتبطت فى ذهنه بصورة الضعف الذى يعتريه وهو يتراجع أمام أبسط العوامل، ويتردد عند أقل الأسباب تأثيرا.

«إنها الواجهة الكبيرة التى وقف عندها الشعراء وهم يستثيرون فى دواخلهم أسباب المخاطبة، ويهيئون الأجواء التى توحى لهم بعوامل الوقوف والحيرة والذهول، وهو محور آخر من محاور الانتقال المتحرك فى الامتداد الزمنى، ويطوى أسفار الحياة. ويبقى المستقبل المجهول الذي يحاوله الإنسان غيبا وسرا غامضا، لا يقوى على معرفته، ولا يهتدى إلى عناصره(١١٤).

---

ب١٣: عتاق الطير: ما يصيد منها. مصاعب الأرض: ما يصعب ويشتد على من راقه الوصول إليه. الأشراف: جمع شرف وهو ما علا وارتفع. عقل: امتنع فى العقل.

ب١٦: أجدر: أحق، ويروى: أحذر. وألت: نجت. والموئل: الملجأ.

(١١٤) مقدمة الديوان ٢١.

ولقد اختار الشاعر «الرمز التقليدى» وهو «صورة الأعصم»، ذلك الحمار الوحشى الذي يسكن أعالى الجبال ورؤوسها ليقول: لو أن هناك من الأشياء شيئا يمكن أن ينجو من الموت لنجا ذلك الأعصم المتخفى عن الأنظار، الملتجئ إلى قمم الجبال متحرزا بها.. لكنه لا ينجو من الموت بهذا التحرز والاستعصام بالجبال..

وكذلك تلك الطيور العتاق التى تتخير مساكنها فى الأرض من أماكن يصعب الوصول إليها، أو أماكن شاهقة عالية، ولا تنزل إلا فوق شاهقة وسط الظلام، ومع ذلك لا تنجو - رغم حذرها - من الموت. فلا يغنى حذر من قدر، وقد علمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن ندعو الله قائلين «اللهم إنا لا نسألك رد القضاء، بل نسألك اللطف فيه». فلا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه، ﴿ولكل أجل كتاب﴾[١١٥].

وصورة هذا «الأعصم» ليست جديدة، وإنما تناولها الجاهليون[١١٦].

ويبدو لى أن إطلاق اسم «الأعصم» على هذا الوعل ساكن الأماكن المنيعة من أسبابه هذا الاستعصام بالجبال.. وفى القرآن الكريم على لسان ابن سيدنا نوح: ﴿قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾[١١٧]. وقال تعالى: ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن اراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة﴾[١١٨].

---

(١١٥) الرعد/٣٨.

(١١٦) راجع روافد وتيارات التأثير: الرافد الجاهلى.

(١١٧) هود/ ٤٣.

(١١٨) الأحزاب. ١٧.

وقال عدى(١١٨):

هـل الـنـاس إلا قــــرون ... فـقـرن يـبـيـد وآخـر مـسـتـخلف

فـيـعـمـر فى الأرض ثم الفناء ... آتٍ عليـه فـمـسـتـنطف

كـأرض تنزع مـا أنبـتـت ... وكـان لهـا مـرة زخـرف

فلم أر مـثـل امـرئٍ غـره ... نعـيـم ولا كـامـرئٍ يأسف

. . . . . . . . . . . . . . . . . .

فـأى عـجـائب هذا الزمـان ... تـنكـر أو أيهـا تعـرف

كم اسـتـرط الدهر من أمـة ... كـأن البـلاد بهم تخـسـف

وجـيـل سـمـعنا بهم قـد فنوا ... فـمـا الحى إلا كـمن يشـقف

ومن يتـمـط بـه عـمـره ... يعـصـر وهو الخلف الأخلف

ومن كـان يخلف مـيـعـاده ... فـإن المنيـة لا تخلف

ومـا لا مـرئٍ أرب بالحـيـاة ... عنهـا مـحـيص ولا مـصـرف

وقال(١١٩):

١٧- والأصل ينبت فـرعـه مـتناثلا ... والكف ليس بنانهـا بسـواء

١٨- ما إن رأيت جبال أرض تستوى ... فـيـمـا غشيت ولا نجوم سمـاء

١٩- والأرض من أعلامهـا مـتـواضع ... وأعـز عـمـم رأسـه بعـمـاء

٢٠- والناس ليْسوا يستوون فمنهمُ ... ورع وآخـر ذو نـدى وغنـاء

---

(١١٨) الديوان ص٢١٢، ٢١٣.

(١١٩) نفسه ق١٤/١٦٣-١٦٤.

ب١٧: متناثلا: أى بعضه أطول من بعض.

ب٢٠: الورع: الجبان، وقيل: الضعيف.

٢١- والناس أشباه وبين حلومهم ... بون كذاك تفاضل الأشياء

٢٢- كالبرق منه وابل متتابع ... جون وآخر ما ينوء بماء

٢٣- والدهر يفرق بين كل جماعة ... ويلف بعد تباعد وتناء

٢٤- والمرء يورث مجده أبناءه ... ويموت آخر وهو فى الأحياء

٢٥- نسيا تنوسى ليس يرفع رأسه ... أبدا لثائرة ولا لعلاء

٢٦- مستخذيا بالليل يصبح راثما ... كالحلس فى ممساه كل غشاء

٢٧- والناس منهم نافذ متقلب ... وتقلب فى الأرض غير غناء

٢٨- كالصقر يعلم أن آخر عمره ... رهن له بإقامة وثواء

وقال(١٢٠):

والمرء ليس وإن طالت سلامته ... يدرى الذى هو لاق قبل أن يقعا

ما يقلع المرء يستقرى مضاجعه ... حتى يقيم بأقصاهن مضطجعا

والأرض غائلة للناس مهلكة ... فما ترى أحدا من أهلها امتنعا

حتى إذا استرطت جيلا بأجمعهم ... لاقى الذى بعدهم من أهلها جشعا

وليس يأكل مما أنبتت أحد ... ولو تقلب فى الآفاق وانتجعا

الا تكون له غولا فتهلكه ... كأنما كان زادا غص فابتلعا

---

ب٢٣: يلف: يجمع. والتباعد والتنائى واحد.

ب٢٤: يموت فى الأحياء: أى يكون خامل الذكر.

ب٢٥: نسيا: مطرحا لا يحفل به. الثائرة: الشر يقع بين القوم. العلاء: الشرف.

ب٢٦: مستخذيا: مسترخيا منكسرا.

ب٢٧: يريد: ورب تقلب فى الأرض غير نافع.

ب٢٨: يريد: عينا الرجل كالصقر وهو يعلم أنه ميت.

(١٢٠) ق ٢٤/ ٢١٧، ٢١٨.

وما يزيدونها عرضا وإن أكلت ... منهم كثيرا ولا ريا ولا شبعا
وما ترى ميتا يحيا فتساله ... ولا الشباب إلى ذى شيبة رجعا
وما يؤخر موتا عاجلا هرب ... ولا تعرض بأس زاده سرعا
وما الحياة لإنسى بدائمة ... ولا تزود من لذاتها متعا
لو أخطأ الموت شيئا أو تخطاه ... لاخطأ الاعصم المستوعل الصدعا
فى مشمخر تهاب الطير ذروته ... يعلو الشواهق منها الشم والقلعا

وقال(١٢١):

وكذاك يعلو الدهر كل محلة ... حتى تصير كأنها لم تنزل
لا يوم إلا سوف يورثه غد ... والعام تاركه لآخر مقبل

وأثر الإسلام بين واضح كل الوضوح فى هذه الحكم.

❑ ❑ ❑

هذه هى فنون شعر عدى ويلاحظ عليها ما يلى:

* أن المدح قد حاز النصيب الأوفى من شعره.
* أقل الفنون حظا من شعره الهجاء، ففيه أبيات قليلة.
* والفخر قليل كذلك.
* أما الرثاء فليس له نصيب فى ديوانه، وإذا كان الوليد أثيرا لدى عدى فأين رثاؤه فيه؟ لعله ضاع.

❑ ❑ ❑

(١٢١) ق ٦٩/٣.

الباب الثالث

# شعر عدى - دراسة فنية

الفصل الأول : روافد وتيارات مؤثرة .

الفصل الثاني : السمات الفنية في شعره .

الفصل الثالث : مدرسة عدى الشعرية .

الفصل الرابع : عدى فى ميزان النقاد .

# الفصل الأول

## روافد وتيارات مؤثرة

وجد الشعراء الأمويون أنفسهم أمام عدة تيارات وروافد كان عليهم أن يتأثروا بها، وأبرز هذه الروافد وأشدها تأثيرا: الرافد الإسلامى، والرافد التراثى ( الجاهلى ) .

**أولا: الرافد الإسلامي:**

أثر الإسلام تأثيرا بينا فى شعراء العصر الأموى، فقد استجاب الشعر للمؤثرات الإسلامية فى لغته وأساليبه وأفكاره ومعانيه... وتخلص الشعر - إلى حد كبير - من غرابة الألفاظ، وخشونة الأساليب الجاهلية، وظهرت الألفاظ الرقيقة، والأساليب الصافية، والموسيقا الهادئة الناعمة التى تنساب في سلاسة وانطلاق وتدفق، وفى غير تكلف أو افتعال أو عناء[١].

وكان المعجم الإسلامى قاسما مشتركا بين شعراء العصر، حتى «الأخطل» النصرانى أفاد منه كثيرا.

لقد تغلغل المؤثر الإسلامى فى نفوس الشعراء، وسيطر عليهم بدرجة أكبر وأعمق من المؤثر الحضارى، ومن ثم كان الشعراء يصدرون عن المعجم الإسلامى لفظا وأسلوبا وفكرة.

ولعل من الأسباب التى اضطرتهم ودفعتهم إلى ذلك اشتغال العلماء آنئذ بالعلوم الدينية : تفسيرا للقرآن ، وتدوينا للحديث ، ودرسا للفقه...إلخ.

من هنا وجدنا ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف ومعانيهما

---

( ١ ) راجع: الشعر الأموى . د/ يوسف خليف ص٨٢.

واضحة فى شعر العصر الذى ينتمى إليه شاعرنا.

وليس «عدى» بدعا من شعراء عصره، فها هو يتأثر بالقرآن الكريم حين يقول[٢]:

أسـر همـومـا لو تغلغل بعضـهـا إلى حـجـر صلد تركن به صـدعـا

ويقول[٣]:

ونكبـة لو رمى الرامى بهـا حـجـرا أصم من جندل الصـوان لا نصـدعـا

فهو مقتبس من قوله سبحانه: ﴿ .. **وإن من الحجارة لَمَا يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء...** ﴾[٤].

وقال عدى[٥]:

. . . . . . . . . . . . . . .

ثناء امرئ إن نال خـيـرا جـزى به وليس على مـا فـاته مـتـأوبا

فالشطرة الأولى فيها معنى الآية الكريمة: ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾[٦]، والثانية مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[٧].

---

(٢)،(٣) الديوان ق ٢٥/٢٢٢، ق٢٤/٢١٧.

(٤) سورة البقرة/ ٧٤.

(٥) الديوان ص ٢٣١.

(٦) الرحمن/ ٦٠.

(٧) الحديد/ ٢٣.

وقال عدى(٨):

إن الوليـد أمـيـر المؤمنين قـضى  أمـرا يبلغـه الأدنون أقـصـانا

قـضيـة عـصم الله العبـاد بهـا  فـأصبحوا فى كتـاب الله إخوانا

بعـد الشـقـاق وأضـغـان مـبينة  وميتـة كـان فيهـا حين من حـانا

وواضح تأثره بقـوله تعـالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا... ﴾(٩).

وأكد « عدى » حتمية الموت، وأنه لا مفر منه فقال(١٠):

١١- لو كـان يعـتق حـيـا عن منيـتـه
تحـرز وحـذار أحـرز الوعـلا

١٢- الأعـصم الصـدع الوحـشى فى شعف
دون السـمـاء نيـاف يفـرع الجـبـلا

---

(٨) الديوان ق١٦/ ١٧٠.

(٩) آل عمران/ ١٠٣.

(١٠) الديوان ص٧٤/ ٧٥.

ب١١: التحرز: التوقى.

ب١٢: الأعـصم: الوعل الذى فى طرف يديه بياض. الصـدع: الوعل بين الوعلين، ليس بعظيم ولا ضئيل. النياف: الطويل فى ارتفاع، المشرف، ومنه: قصر منيف. يفرع: يعلو، يقال: فرعت رأسه بالعصا: علوته، فرعت الجبل: علوته.

١٣- أو طائر من عتـاق الطيـر مسكنه
مصاعب الأرض والأشراف مذ عقلا

١٤- يكاد يطلع صعدا غير مكترث
إلى السماء ولولا بعدها فعلا

١٥- وليس ينزل إلا فوق شاهقة
جنح الظلام ولولا الليل ما نزلا

١٦- فذاك من أجدر الأشياء لو وألت
نفس من الموت والآفات أن يئلا

وقال أيضا[١١]:

ومـا يؤخـر مـوتا عـاجلا هرب ... ولا تعـرض بـأس زاده سـرعـا
ومـا الحـيـاة لإنسى بدائمـة ... ولو تزود من لذاتهـا متـعـا
لو أخطأ الموت شيئا أو تخطاه ... لأخطأ الأعصم المستوعل الصدعا
فى مشمخر تهاب الطير ذروته ... يعلو الشواهق منها الشم والقلعا

فنجد معانى الآيات الكريمة: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾[١٢]، ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج

---

ب١٣: عتاق الطير: ما يصيد منها. مصاعب الأرض: ما يصعب ويشتد على من رام الوصول إليه. الأشراف: جمع شرف، وهو ما علا وارتفع. عقل: امتنع.

ب١٦: وألت: نجت، والموئل: المكان الذى يلجأ إليه.

(١١) الديوان ق٢٤/٢١٨.

(١٢) الجمعة/٨.

**مشيدة... ﴾(١٣)، ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة... ﴾(١٤)..**

على أن شعراء الجاهلية قد عبروا عن هذه المعانى، وذلك بتفكرهم فى الموت وتأملهم فيه، فانتهوا إلى أنه حقيقة حتمية، وكأس لابد من شربه، قال عمرو بن كلثوم(١٥):

وأنا سوف تدركنا المنايا ... مقدرة لها ومقدرينا

وقال طرفة(١٦):

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... كالطول المرخى وثنياه باليد

متى ما يشأ يوما يقده لحتفه ... ومن يك فى حبل المنية ينقد

ومع علمهم بذلك اقتحموا المخاطر والاهوال، لقناعتهم أنه لا ينجى حذر من قدر، قال عنترة(١٧):

وعرفت أن منيتي إن تأتني ... لا ينجنى منها الفرار الأسرع

فصبرت عارفة لذلك حرة ... ترسو إذا نفس الجبان تطلع

غير أن بعضهم ليقينه بالموت تهافت على اللذات والمتع، يتزود منها قبل أن تنقطع، مثل: طرفة، وامرئ القيس، والحارث بن ظالم وغيرهم.

---

(١٣) النساء/ ٧٨.

(١٤) الأحزاب/ ١٧.

(١٥) المعلقة.

(١٦) ديوانه ص ٥٣/ ٥٤ تحقيق د/ الجندى.

(١٧) شرح ديوان عنترة ص٢٦٧ تحقيق سعيد مولوى - ط المكتب الإسلامى.

**وعبر «عدى» عن انتشار الشيب فى رأسه فقال[١٨]:**

**علانى الشيب واشتعل اشتعالا        وقد غشى المفارق والقذالا**

**متأثرا بقوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبا..﴾[١٩].**

وقال «عدى»[٢٠]:

غزا عمر المنصور نفسا ووالها        وليس لمن لم ينصر الله ناصر

وقال[٢١]:

أعين بنا، ونصرنا به        ومن ينصر الله لا يغلب

وفيهما معنى الآيات: **﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾[٢٢]، ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[٢٣]، ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم..﴾[٢٤]، ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم..﴾[٢٥].**

وقال[٢٦]:

لا يجيب الأحياء من ليس حيا        والعمي عند غيره الأخبار

وقال[٢٧]:

والمرء يورث مجده أبناءه        ويموت آخر وهو فى الأحياء

(١٨) الديوان ١٠٨.        (١٩) مريم/ ٤.

(٢٠) الديوان ٢٠١.        (٢١) نفسه ٢٤٩.

(٢٢) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - / ٧.

(٢٣) الحج/ ٢٣.

(٢٤) آل عمران/ ١٦٠.        (٢٥) الحج/٨.

(٢٦) الديوان ١٧٧.        (٢٧) نفسه ١٦٣.

وكلاهما من قول الله - عز وجل -: ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون..** ﴾(٢٨)، وقوله- سبحانه - ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾(٢٩).

ومثله قول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال عدي(٣٠):

هل الناس إلا قرون ... فقرن يبيد وآخر مستخلف

فيعمر في الأرض ثم الفناء ... آت عليه فمستنطف

كأرض تنزع ما أنبتت ... وكان لها مرة زخرف

فلم أر مثل امرئ غره ... نعيم ولا كامرئ يأسف

وتأثره فيها واضح بقول الحق سبحانه: ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون** ﴾ **إلي قوله تعالي:** ﴿ **وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا..** ﴾(٣١)، وقوله سبحانه: ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس..** ﴾(٣٢). ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا**

---

(٢٨) الأنعام/ ٣٦. (٢٩) الأنعام/ ١٢٢.

(٣٠) الديوان/ ٢١٢. (٣١) الزخرف/ ٣٣-٣٥.

(٣٢) يونس/ ٢٤.

**به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا..﴾**(٣٣).

وتأثر «عدى» بالقصص القرآنى كثيراً.. فمن ذلك قوله(٣٤):

| | |
|---|---|
| بركت على عاد كلاكل دهرهم | وثمود بعد تكاثر وتناء |
| قوم هم ارتضوا الحجارة قبلنا | فتأثلوا بمصانع وبناء |
| فإذا تناءى القوم أكثر منهم | عددا وماذا العيش غير بلاء؟ |
| أم تداخلت الحتوف عليهم | أبوابهم وكشفن كل غطاء |
| فإذا الذى فى حصنه متحرز | منهم كآخر مصحر بفناء |

وقد قال القرآن الكريم عنهم: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التى لم يخلق مثلها فى البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذى الأوتاد. الذين طغوا فى البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب...﴾**(٣٥). وقال عن عاد على لسان نبيهم: **﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون..﴾**(٣٦)، وعن ثمود على لسان نبيهم: **﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾**(٣٧). **﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا..﴾**(٣٨).

---

(٣٣) الأنعام/ ٤٤، ٤٥.

(٣٤) الديوان/ ١٦١، ١٦٢.

(٣٥) الفجر/ ٦-١٣.

(٣٦) الشعراء/ ١٢٨، ١٢٩.

(٣٧) الشعراء / ١٤٩.

(٣٨) الاعراف/ ٧٤.

وقال عدى(٣٩):

لهـا حكم لقـمـان، وسـورة يوسف ومـنـطـق داود، وعـفـة مـريم

وأعتقد أن الصواب: [ وصورة يوسف ] إشارة إلى حديث الإسراء الذى قال فيه - صلى الله عليه وسلم -: [ ... ثم صعد بى إلى السماء الثالثة... فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطى شطر الحسن... الحديث ](٤٠).

وقال تعالى: ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة.. ﴾(٤١)، وعن مريم: ﴿ ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها.. ﴾(٤٢)، وعن داود: ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾(٤٣) ويبدو أنه يقصد بمنطق داود حسن صوته كما أشار القرآن إلى ذلك.

ونحن لا نقر الشاعر فيما ذهب إليه حين جمع لتلك المرأة من الصفات ما فرقه الله فى الأنبياء.

وقال عدى (٤٤):

---

(٣٩) الديوان / ٢٦٨.

(٤٠) الحديث رواه مسلم / كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٢/٢١٣، وأحمد ٢/١٤٨.

(٤١) لقمان / ١٢.

(٤٢) التحريم / ١٢.

(٤٣) ص / ٢٠.

(٤٤) الديوان ص ٢٤٠، ٢٤١.

٩- لقد كان في نوح وداود عبرة　　لمن يأتسي بالناس أو يتغير

١٠- رأى الله نوحا فاصطفاه كرامة　　وكان امرءا من أمة ليس يكفر

١١- فلما علا الماء الجبال تحاملت　　سفينة نوح وهو فيها يكبر

١٢- فأفرع بالجودي نوح وقد بدا　　له ذروة من جانب الطود مجزر

١٣- فأرسل وَحفا حالكا وحمامة　　وما مبتغي الخير إلا مغرر

١٤- فما أقلعت ترتاد حتى بدا لها　　قضيب من الزيتون يهتز أخضر

١٥- فجاءت إلى نوح تطير بغصنها　　فصلى عليها إذ أتته تبشر

١٦- صلاة مجاب يسمع الله صوته　　وأورثها أن ليست الدهر تكبر

١٧ فلو كان إنسي من الموت مفلتا　　لأفلت كسرى الفارسي وقيصر

١٨- وكان سليمان بن داود عبدت　　له الجن تبني دونه وتسخر

١٩- وملك ما لا يملك الناس قبله　　ولا بعده في الدهر والدهر أعصر

٢٠- فأفنى ثمود الحجر ربك إنه　　يعاقب أقواما كثيرا ويغفر

٢١-وقد منعوا سبتا من الدهر لقحة　　تدر برُسْلٍ فاضل ثم تصدر

---

ب٩ : يأتسي : يتخذهم أسوة.

ب١٢ : أفرع : انحدر، وأفرع : علا، مجزر : الجزر : نضوب الماء وانحساره فيصير المكان كالجزيرة.

ب١٣ : الوحف : الشعر أو الريش الكثير الاسود، والجناح الكثير الريش. والوحف هنا : الغراب. وقال أبو العباس : بلغنا أن الغراب لا يسفد إنما يطاعم مطاعمة، وما رآه قط أحد يسفد، فمن رآه يفعل ذلك يموت سريعا أو يقتل.

ب٢٠ : الحجر : منازل ثمود.

ففى البيت رقم( ٩ ) نجد أثر الآية الكريمة: ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب..** ﴾[٤٥] وفى البيت( ١٠ ) نجد صدى قوله تعالى: ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا..** ﴾[٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ **.. إنه كان عبدا شكورا** ﴾[٤٧]، ثم قصة نوح ونجاته من الغرق والمؤمنين معه، وإغراق الكافرين، واستواء السفينة على الجودى كما قصتها سورة هود[٤٨].

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره - نقلا عن ابن اسحاق - «أن استواء الفلك على الجودى - فيما يزعم أهل التوراة - فى الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفى أول يوم من الشهر العاشر رئى رؤوس الجبال. فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما، فتح نوح كوة الفلك التى ركب فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء، فلم يرجع إليه. فأرسل الحمامة فرجعت إليه، لم تجد لرجليها موضعا، فبسط يده للحمامة فأخذها فادخلها، ثم مضى سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر إليه، فرجعت حين أمْسَت، وفى فيها ورق زيتون، فعلم نوح أن الماء قد قل على وجه الأرض.... إلخ»[٤٩].

فنجد فى أبيات عدى حكاية الغراب والحمامة وغصن الزيتون

---

( ٤٥ ) يوسف / ١١١.

( ٤٦ ) آل عمران / ٣٣.

( ٤٧ ) الإسراء / ٣.

( ٤٨ ) هود ٤٠-٤٨.

( ٤٩ ) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٦٠ ط الشعب. وانظر: تفسير الطبرى ١٥ /٣٣٨، ٣٣٩ الأثر رقم ( ١٨٢٠٥ ) ومنذ ذلك الحين يرمز بالحمامة وغصن الزيتون إلى السلام.

واضحة، وأن نوحا - عليه السلام - دعا للحمامة دعاء مستجابا.

وبعد أن قص قصة نوح عليه السلام وهو الذى عمر ألف سنة أو يزيد، جاء بالبيت:

فلو كان إنس من الموت مفلتا لأفلت كسرى الفارسى وقيصر

وكان ذلك تأدبا من الشاعر مع نبى الله نوح، وذلك أن الموت رغم أنه قدر الله إلا أنه بلاء ومصيبة، فلما أراد الشاعر أن يخبر عن موت نوح عليه السلام جاء بما يناسبه، فذكر من المعمرين كسرى وقيصر، مشيرا بذلك إلى طول مدة حكمهما، ثم كانت النهاية (الموت).

ثم تحدث عن نبى الله سليمان الذى دعا الله قائلا: ﴿**رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك انت الوهاب**﴾[٥٠] واستجاب الله دعاءه: ﴿**فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين فى الأصفاد**﴾[٥١]. ﴿**.. ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه..**﴾[٥٢]، ﴿**ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك..**﴾[٥٣].

وكما أنه جاء فى حديثه عن نوح بما يناسبه جاء مع نبى الله سليمان بما يناسبه، فالبناء والتشييد كان من أبرز ما لثمود ﴿**التي لم يخلق مثله في**

---

(٥٠) ص/ ٣٥.

(٥١) ص/ ٣٦-٣٨.

(٥٢) سبأ/ ٢٢.

(٥٣) الأنبياء ٨٢.

البلاد ﴾(٥٤)- لكنهم طغوا وعتوا كما قال تعالى: ﴿ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴾(٥٥) فالمتلقى إذا يعرف من خلال الكلام موت كل من نبى الله نوح وسليمان عليهما السلام.

وأثر الحديث النبوى الشريف والآثار واضح فى شعر عدى. فمن ذلك قوله(٥٦):

وسار غرب شبابى بعد حدته ... كأنما كان ضيفا حل فارتحلا

ففيه معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - [ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.. ](٥٧).

وقوله فى مدحته لعمر بن الوليد(٥٨):

أبا حفص جزاك الله خيرا ... إذا ما المعتزى كره السؤالا

فقد قال - صلى الله عليه وسلم -: [ من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء ](٥٩).

---

( ٥٤ ) الفجر ٨.

( ٥٥ ) الذاريات ٤٤، ٤٥.

( ٥٦ ) الديوان ص٧٣. والغرب: الحدة والنشاط والتمادى.

( ٥٧ ) رواه البخارى فى صحيحه - كتاب الرقاق - باب « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) برقم ٦٤١٦، وأحمد فى مسند عبد الله بن عمر برقم [ ٤٧٦٤ ]، وقال الشيخ شاكر: سنده صحيح.

( ٥٨ ) الديوان ص١١٣.

( ٥٩ ) رواه الترمذى فى كتاب البر والصلة - باب ٨٨ - حديث رقم [ ٢٠٣٥ ] عن أسامة=

والشطرة الثانية فى البيت من الآية الكريمة : ﴿ .... لا يسألون الناس إلحافا ... ﴾[٦٠].

وقال عدى[٦١]:

إن ابن آدم يرجو ما وراء غد ... ودون ذلك غيل يعتقى الأملا

وقال[٦٢]:

تنمى إلى أقصى الخطوب نفوسنا ... وتعيش بالأمل المؤمل والمنى

من قوله – صلى الله عليه وسلم – : [ يهرم ابن آدم وتبقى فيه اثنتان : الحرص والأمل ][٦٣].

وهو قريب من قول كعب بن زهير[٦٤]:

لو كنت أعجب من شىء لاعجبنى ... سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا ينتهى العين حتى ينتهى الأثر

وقال « عدى » لرجل اسمه « جوين » أكل ماله ولواه حقه[٦٥]:

---

= ابن زيد ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

( ٦٠ ) البقرة / ٢٧٣ .

( ٦١ ) الديوان ٧٤ .

( ٦٢ ) نفسه ١٦٥ .

( ٦٣ ) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٣ / ١١٥ ، ١١٩ .

( ٦٤ ) ديوانه ص٢٢٩ ، ط . دار الكتب المصرية .

( ٦٥ ) الديوان ص ١٩٣ .

أحرج مالى يا جوين بن معبد ، عليك بذات الله إن كنت مسلما

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله ماله ودمه، وحسابه على الله ](٦٦). وفى القرآن الكريم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** .. ﴾(٦٧).

وقال عدى (٦٨):

والناس ليسوا يستوون فمنهم ورع، وآخر ذو ندى وغناء

والناس أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

كالبرق منه وابل متتابع جون وآخر ما ينوء بماء

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : [ الناس معادن ... ] الحديث.

وقال(٦٩):

متى يحمل الله رحل امرئ على ظهر مكروهة يركب

وليس امرؤ نائلا من هواه شيئا إذا هو لم يكتب

وقد قال الله عز وجل: ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو**

---

(٦٦) مسلم/ كتاب الإيمان ١/٥٣ حديث رقم ٣٧.

(٦٧) النساء/ ٢٩.

(٦٨) الديوان ١٦٣. والورع - بفتح الراء - الجبان والضعيف.

(٦٩) الديوان ٢٣٣.

**مولانا ...** ﴾[٧٠]، وفي حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس [ .... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .. ][٧١].

وقال عدى متأثرا بالخطبة الإسلامية إذ تفتتح ( بحمد الله ) ثم ( أما بعد ) فقال[٧٢].

الحمد لله أما بعد يا عمر فقد أتتك بنا الأحداث والغير

وأكثر الفنون - فى شعر عدى - تأثرا بالإسلام شعر المدح.. ففيه يصور الخليفة مسلما، مؤمنا، تقيا، ورعا، صالحا، عدلا ... إلخ.

كما يركز - هو وغيره - على أن الخلافة أمر قدرى آتاه الله الخليفة، متأثرا فى ذلك بقوله تعالى: ﴿ .. **تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ...** ﴾[٧٣].

والخليفة قد بلغ من الورع والصلاح وحسن الصلة بالله - عز وجل - بحيث يستسقى الناس به المطر، والمسلمون يستبشرون به.

والخليفة حين يقاتل خصماً له فإنه منصور بنصر الله، وهو مؤيد بمدد

---

( ٧٠ ) التوبة / ٥١.

( ٧١ ) رواه الترمذى برقم [ ٢٥١٦ ]، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد فى المسند برقم [ ٢٨٠٤ ] ١ / ٢٠٧، ٢٠٨، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

( ٧٢ ) الديوان / ٢٥٤.

( ٧٣ ) آل عمران / ٢٦.

من عنده - سبحانه -. وتتكرر هذه العبارات كثيرا: [ أعانه الله - أراده الله - اصطفاه الله - الحمد لله إذ ولاه - خليفة الله... ] إلخ.

وهكذا راح عدى - وغيره - يطوعون المعجم الإسلامى فى شعرهم ولا سيما المدح لإرساء قواعد الحكم الأموى وتثبيت دعائمه، وذلك بمحاولة إثبات شرعيته، والدعاية للممدوح الأموى، والرد على المعارضة.

أخذ الشعراء يحاولون إقناع الجماهير بأن الزمن والاستقرار إنما هو فى ظل حكم بنى أمية، وأن معارضيهم يبغون الفساد فى الأرض وزعزعة هذا الأمن والاستقرار.

كان المدح للخليفة من منطلق السلوك الدينى، فهو عدل، يأخذ على أيدى الظالمين، ويأخذ الحق من القوى للضعيف، والقوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه. وها هو العبد والأمة يؤخذ لهما حقهما.

والشاعر يدعو للخليفة بمثل ما يدعى للأنبياء، يقول(٧٤):

صلى الذى الصلوات الطيبات له ... والمسلمون إذا ما جمعوا الجمعا

على الذى يسبق الأقوام ضاحية ... بالأجر والحمد حتى صاحباه معا

هو الذى جمع الرحمن أمته ... على يديه وكانوا قبله شيعا

عذنا بذى العرش أن نحيا ونفقده ... وأن نكون لراع بعده تبعا

وهذا الشعر الذي تأثر بالإسلام يمتاز بالوضوح والسهولة، وذلك على خلاف الشعر المتأثر بالنموذج الجاهلى، فقد حذا حذوه تماما، فى اللفظ والأسلوب والفكرة كما سيأتى.

---

(٧٤) الديوان ٢٤/٢١٩، ٢٢٠.

**٢ - الرافد الجاهلي:**

ذكرت آنفا أن أسبابا عديدة حفزت الشعراء الأمويين لاحتذاء النموذج الجاهلي، ودفعت الشعراء لتمثله والنسج على منواله.

فقد انتشرت الكتابة في عصر بني أمية أكثر من ذي قبل، وذلك لتوافر أدواتها، وكان لذلك أثر واضح في شعر العصر وشعرائه.. وراح الشعراء يقتفون آثار الجاهليين، وينهلون من معينهم ولا يرون أي غضاضة في التصريح بذلك على نحو ما قال الفرزدق:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرول

الأبيات..

فهؤلاء الشعراء إذا تخرجوا في مدرسة الشعر الجاهلي، وقد استطاعوا التوفيق بين الرافدين الجاهلي والإسلامي، فتجد القصيدة الواحدة تبدأ بشكل ومضمون جاهليين، ويمضي الشاعر الأموي جاهليا حتى يصل إلى المديح مثلا - فتجده إسلاميا.

وأصداء هذا التأثر واضحة جد الوضوح في ديوان الشعر الأموي بعامة.

فهذا النابغة الذبياني يقول[٧٥]:

وما الفرات إذا جاشت غواربه ... ترمي أواذيه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

---

(٧٥) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٧، ٨٨ تحقيق/ محمد الطاهر بن عاشور - ط الشركة التونسية للتوزيع، وشرح القصائد العشر للتبريزي. الغوارب: والأواذي: الأمواج. =

يظل من خوفه الملاح معتصما بالخيزرانة بين الأين والنجد
يوما بأكرم منه حين تقصده ولا يحول عطاء اليوم دون غد

فيأتى الأخطل الشاعر الأموى وتغريه الصورة بجمالها، ويدفعه هذا الإغراء أن يحذو حذو صاحبها فيقول(٧٦):

وما الفرات إذا جاشت غواربه في حافتيه وفى أوساطه العشر
وذعذعته رياح الصيف واضطربت فوق الجآجئ من آذيه غدر
مسحنفر من جبال الروم يستره منها أكافيف فيها دونه زور
يوما بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتهر

ويسلك «عدى بن الرقاع» هذا المسلك فيقول(٧٧):

تفيض يمينه بالخير فيضا ولا يلقى بنائله الشمالا
وماذا الموج يطرح ساحلاه بغواصيه طرحا حين سالا
بأجود من أبى حفص إذا ما أتته العيس تخترق النقالا

= العبربن: الشاطئين. اللجب: ذو الصوت. الينبوت والخضد: نوعان من النبات. الخيزرانة: مجداف السفينة. الأين: التعب. النجد: العرق من شدة الكرب. السيب: العطاء. النافلة: الزيادة.

(٧٦) شعر الأخطل. نشر الأب أنطون صالحاني - بيروت ٢ / ٩٨ وما بعدها، شرح ديوان الأخطل إيليا الحاوى ص ١٦٨، العشر: نوع من الشجر. ذعذعته: حركته. الجآجئ: جمع جؤجؤ وهو صدر السفينة. الآذى: الموج. غدر: جمع غدير. مسحنفر: سريع. أكافيف: جوانب. زور: ميل.

(٧٧) ديوانه ص١١٣.

ومن الواضح أن تأثر الأخطل أبين من تأثر عدي، فعند الأخطل نجد أسلوب النابغة وألفاظه ومفرداته وطريقة «الاستدارة»[٧٨] التي تعطي الشاعر فرصة كبيرة ليقول من خلالها ما يريد . .

وكل من النابغة والأخطل أفادا من الاستدارة بقدر كبير، بخلاف عدى لأن الصورة عنده – وإن كانت مركبة – إلا أنها صغيرة، فليس يفصل بين النفي والتفضيل – بداية الاستدارة ونهايتها – عنده أبيات . .

وجدير بالذكر أن الأخطل وضع نصب عينيه صورة النابغة هذه في أكثر من قصيدة مما يدل علي إعجابه بشعره وترديد نظره فيه بين الحين والحين.

وكذلك «عدى» الذى انسابت الصورة إلى غزله في قوله[٧٩]:

وماء سحاب مقفرة زهتها ... جنوب نفضت عنها الطلالا
يرف الأقحوان بحافتيها ... بحيث يقابل الجلد الرمالا

---

(٧٨) أسلوب الاستدارة يبدأ بنفي أو استفهام وينتهى بأفعل التفضيل . . كقول الخنساء:

وما عجول على بوتطيف به ... لها حنينان إعلان وإسرار

إلى أن تقول:

يوما بأوجد مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار

وكذا متمم بن نويرة وعمرو بن معد يكرب . . وغيرهم كثير. راجع كتابنا: من الأدب الجاهلي ص٤٧ وما بعدها.

(٧٩) الديوان ص ١٠٩ القصيدة السابعة. زهتها: استخفتها. الطلال: جمع طلل وهو الندى والمطر القليل. حافتاها: جانباها. الجلد: الغليظ من الأرض. كل عظم فيه مخ فهو قصبة. الخدال: الغلاظ الممتلئة من الأرض.

باطيب موهنا منها إذا ما    لوت لهجيعها القصب الخدالا

وقوله: (باطيب) توهم أنه قال: «وما ماء السحاب» فهو أسلوب استدارة.

ولم يقف تأثير «النابغة» في «عدى» عند هذه الصورة، بل تجاوزها إلى قصائد تكاد تكون كاملة مما ينبئ عن استحضار عدى لشعر النابغة...

يقول عدى(٨٠):

| | |
|---|---|
| لمن الدار كعنوان الكتاب | هاجت الشوق وعيت بالجواب |
| لم تزدك الدار إلا طربا | والصبا غير شبيه بالصواب |
| موضع الانضاء لأيا ما يرى | ورماد مثل كحل العين هاب |
| صد عنه السيل مجرى تلعة | خدد باق كأخدود الكراب |
| ضربته سلفع مملوكة | بغراب الفأس في وجه التراب |
| تدفع السيل به حتى جرى | صحصحاني الصحارى والركاب |

فبدايات القصيدة «تثير فينا الإحساس بالصورة التى افتتح بها النابغة مطولته، وتوشك أن تكون المفردات المستعملة في الصورتين واحدة.

وفي ألفاظ (عيت بالجواب) و(لأيا) و(النضد) و(الوليدة) و(ضربها) هي الألفاظ الواردة في مطلع قصيدة عدى.

---

(٨٠) الديوان القصيدة الأولى ص ٤١ وما بعدها. الهاب: من الهبوة وهي الغبرة. التلعة: المسيل من المكان المرتفع إلى بطن الوادى. سلفع: ناقة شديدة جريئة. غراب الفأس: حدها. الصحيح: المستوى من الأرض الأملس الصلب.

حتى إذا أوشك أن يغادر المقدمة ليتخلص من هموم الوقوف، ويترك انسكاب العبرات ومتاعب الإعياء وسكون الدار انصرف إلى عبارة ( ذر اللهو لمن يلهو بها ) وهي تقابل عبارة النابغة ( فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له ).

وإذا كانت ناقة النابغة عظيمة الفقار، مقتدرة على حمل راكبها مدة طويلة فشد عليها أعواد رحله فإن شاعرنا يكسو أقتاده بعيرا أسود نشيطا، وهي محاولة أخرى من محاولات الاقتداء التي التزم بها»[٨١].

ويطول بنا الحديث لو رحنا نتتبع الشاعر في ألفاظه وأساليبه لنثبت تأثره بالجاهليين. فها نحن نجد أثر كعب بن زهير - كذلك - واضحا في شعراء العصر بعامة ولاسيما قصيدته «بانت سعاد».

فالأخطل يقول[٨٢]:

**بانت سعاد ففي العينين تسهيد** واستحقبت لبه فالقلب معمود

وفي قصيدة أخرى يقول[٨٣]:

كم قد هجمنا عليهم من مسومة شعث فوارسها البيض البهاليل

وهو قريب من قول كعب:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم **ضرب إذا عرد السود التنابيل**

---

( ٨١ ) نفسه المقدمة ص١٧.

( ٨٢، ٨٣ ) شرح ديوان الأخطل ص٩٤، ص ٦١٢.

( ٨٤ ) ديوانه ص ٣٣٣ ط دار صادر.

وجرير يقول(٨٤):

خف القطين فقلبى اليوم متبول    بالأعزلين وشاقتنى العطابيل

أما عدى فقد تأثر - كذلك - بكعب حين قال(٨٥):

بانت حسينة وائتمت بمن بانا    واستحدثت لك بعد الوصل هجرانا
وما حسينة إذ قامت تودعنا    للبين واعتقدت شزرا ومرجانا
إلا مهاة صريم حرة خذلت    من وحش أعفر أو من وحش نبانا

فكما أن « حسينة » « ائتمت بمن بانا » ائتم عدى بكعب حين قال:

بانت سعاد . . . . . . . . . . . .    . . . . . . . . . . . .
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا    . . . . . . . . . . . .

ويبقى أثر « كعب » واضحا فى ثنايا قصيدة « عدى » هذه.

ويقول عدى أيضا(٨٦):

بانت سعاد وليس الود ينصرم    وداخل الهم ما لم تمضه سقم

وقال(٨٧):

بانت سعاد وأخلفت ميعادها    وتباعدت منا لتمنع زادها

ولعل عديا حين قال(٨٨):

---

(٨٥) ديوانه. القصيدة السادسة عشرة ص١٦٨.

(٨٦) نفسه القصيدة الثامنة ص ١١٥.

(٨٧) نفسه القصيدة الخامسة ص ٨٦.

(٨٨) الديوان ق٦ ص١٠٢.

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها

متأثر بقول الخنساء(٨٩):

جارى أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر

وقد ذكر «القاضى الجرجانى» فى وساطته قول «عمر بن جعيل»(٩٠):

يثيران من نسج التراب قميصين أسمالا ويرتديان

وبعده قول «عدى بن الرقاع» - وروايته عنده - :

يتعاوران من الغبار ملاءة هدباء سابغة هما نسجاها

وقول أبى الطيب:

خافيات الألوان قد نسج النقع عليها براقعا وجلالا

وفات القاضى أن يذكر بيت الخنساء المذكور.

وقد تنبه الشريف المرتضى لذلك فقال(٩١):

فأما قول الخنساء (يتعاوران ملاءة الحضر) فهى تعنى بالملاءة الغبار، وإن عدى بن الرقاع كأنه نظر إليها فى قوله يصف حمارا وأتانا:

يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها

تطوى إذا وطئا مكانا جاسيا وإذا السنابك أسهلت نشراها

---

= يتعاوران: أى تصير الغبرة مرة للعير وأخرى للأتان.

(٨٩) ديوانها ص ٨١ ط دار الأندلس.

(٩٠) الوساطة ص ٣٦٣.

(٩١) أمالى المرتضى ١/١٠٣، ١٠٤. الجاسى: الغليظ من الأرض. أسهلت: صارت إلى سهولة الأرض.

وهذا المعنى وإن كان هو معنى الخنساء بعينه، فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة، صار من أجلها بالمعنى أحق منها.

وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بنى عقيل فقال من قصيدة:

يثيران من نسج التراب عليهما قميصين أسمالا ويرتديان

وقد ذكر القاضى قول طفيل(٩٢):

وما أنا بالمستنكر البين إننى بذى لطف الجيران قدما مفجع

وقول أبى الطيب:

وما استغربت عينى فراقا رأيته ولا علمتنى غير ما القلب عالمه

ثم قال: المصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع:

وعرفت حتى لست أسأل عالما عن حرف واحدة لكى أزدادها

وقال مهلهل بن يموت(٩٣):

قال عدى بن الرقاع العاملى:

اثنى فلا آلو، وأعلم أنه فوق الذى أثنى به وأقول

وهو من قول الخنساء:

فما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضل

---

(٩٢) الوساطة ص٣٣٥.

(٩٣) راجع: نصوص النظرية النقدية ص ٣٢٠ جمع وتبويب د/ جميل سعيد، د/ داود سلوم. ط العراق. وراجع أيضا: أخبار أبى تمام ١٤٢، ١٤٣، سرقات أبى نواس، مشكلة السرقات د/ هدارة ص٥٠ ط المكتب الإسلامى.

فسرق المعنى أبو نواس فقال:

إذا نحن أثنينا عليك بصــــالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وإن جــرت الألفــاظ يومـا بمدحـة لغـيـرك إنسـانا فـأنت الذى نعنى

وقال ابن قتيبة(٩٤):

ومما أخذه «عدى بن الرقاع» أو أخذ منه قوله في فرس:

عن لســان كـجـثـة الورل الأحـ ـمـر مج النـدى عليـه العــرار

وقال بعض بنى كلاب يصف فرسا:

كـــأن لســـانه ورل عليـــه بدار مـضـبـة مج العـــرار

وذكر المبزد فى الكامل قول عوف بن محلم وسمع نوح حمامة(٩٥):

---

(٩٤) الشعر والشعراء ٢٦١.

(٩٥) الكامل ص ٨٤٨ - ٨٤٩، رغبة الآمل ٧/٢٦- ٢٩، وهناك رواية أخرى هكذا:

ومـا هاج هذا الشـوق إلا حـمـامـة دعت سـاق حـر ترحـة وترنما

مطوقـة طوقـا وليـست بحليـة ولا ضـرب صـواغ بكفيـه درهمـا

تبكى على فـرخ لهـا ثم تغتـدى مـولهـة تبـغى له الدهر مطعمـا

تؤمل منه مـؤنـسـا لا نفـرادها وتبكى عليـه إن زقـا أو ترنما

عـجـبت لهـا أنى يكون غناؤها فـصـيحـا ولم تفـغر بمنطقـهـا فـما

فلم أر مـحـزونا له مـثل صـوتهـا ولا عـربيـا شـاقـه صـوت أعـجـما

كـمـثلى إذا غنت، ولكن صـوتهـا له عـولة، لو يفـهـم العـود أرزمـا

وحميد بن ثور الهلالى شاعر مخضرم، أدرك خلافة عمر بن الخطاب.

راجع ترجمته فى: الاغانى ٤/٩٦، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام د/ شكرى فيصل.

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر    وغصنك ميال ففيم تنوح؟
أفق، لا تنح من غير شيء فإنني    بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب    فها أنا أبكى والفؤاد قريح

وقال حميد بن ثور الهلالي:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة    دعت ساق حر ترحة وترنما
إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة    أو النخل من تثليث أو بيلملما
مطوقة خطباء تسجع كلما    دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما
محلاة طوق لم يكن من تميمة    ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع    لنائحة في شجوها متلوما
إذا حركته الريح أو مال ميلة    تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أني يكون غناؤها    فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها    ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال حميد بن ثور أيضا، وقد ربط بين حزنه وحزن حمامة[96]:

إذا نادى قرينته حمام    جرى لصبابتي دمع سفوح
يرجع بالدعاء على غصون    هتوف بالضحى غرد فصيح
هفا لهديله مني إذا ما    تغرد ساجعا قلب قريح
فقلت: حمامة تدعو حماما    وكل الحب نزاع طموح

وكان النابغة الذبياني قد أشار إلى بكاء الحمامة في قوله[97]:

---

(٩٦) الأمالي ١ / ١٣١، في الشعر الإسلامي والأموي ص٦٢-٦٣ د/ عبد القادر القط.

(٩٧) ديوانه ص ١٢٢.

أسالها وقـد سفحت دمـوعي ... كـأن مـفـيـضـهن غـروب شن
بكاء حـمـامـة تدعـو هديلا ... مـفـجـعـة على فنن تغنى

وقال عدي بن الرقاع وذكر حمامة[٩٨]:

ومما شـجـاني أنني كنت نائمـا ... أعـلـل من بـرد الكـرى بالتنسم
إلى أن بكت ورقاء في غصن أيكة ... تردد مـبكاها بحـسـن الترنم
فلو قـبـل مـبكاها بكيت صـبـابة ... بليلى شـفـيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قـبلي فـهـاج لي البكا ... بكاها فـقلت: الفـضل للمـتـقـدم

ويرى الدكـتـور «عبـد القـادر القط» : أن مـثـل هذه الصـور - أي الجاهلية - ونظائرها يمكن أن تعد طليعة لما سنراه عند الشعراء العذريين من اتخاذ الحمائم رمزا يعبرون من خلاله عن أشجانهم، حتى أصبح ظاهرة واضحة في شعرهم، إلى جانب رموز أخرى من مظاهر الطبيعة وعناصرها[٩٩].

وكان عدي - فيما يبدو لي - يضع معلقة طرفة نصب عينيه وهو ينشيء قصيدته التي مطلعها:

عـرف الديار توهمـا فـاعـتـادها ... من بعـد مـا شـمـل البلى أبلادها

وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الغزل.

وقد أفاد عدي من قول الأعشى في الخمر[١٠٠]:

---

(٩٨) الديوان ص ٢٦٦.

(٩٩) في الشعر الإسلامي والأموي ص٦٣.

(١٠٠) ديوان الأعشى ص٣١٩.

تدب لهـا فـتـرة فى العظام وتغـشى الذؤابة فـوارها

حين قال:

كميت إذا شجت وفى الرأس وردة لهـا فى عظام الشـاربين دبيب

ولست أدرى أهو السابق أم الأخطل فى قوله(١٠١):

تـدب دبيبا فى العظـام كانه دبيب نمال في نقى يتـهـيل

على أن كليهما قد أفاد من الأعشى.

كما أفاد عدى من الجاهليين فى استخدام الرمز التقليدى (الأعصم) الذى يسكن أعـالى الجبـال ليقـول: لو نجـا شىء من الموت لنجـا ذلك الأعصم، قال الأعشى - مثلا -(١٠٢):

قد يترك الدهر فى خلقاء راسية وهيا وينزل منها الأعصم الصدعا

وقوله(١٠٣):

أهم سـرى أم عـاد للعين عـائر أم انتـابنا من آخـر الليل زائر

يذكرنا بمطلع قصيدة الخنساء(١٠٤):

قـذى بعـينك أم بالعين عـوار أم ذرفت إذ خلت من أهلهـا الدار

وأثر قصيدة الحطيئة «وطاوى ثلاث» واضح جدا فى قصيدة عدى

(١٠١) شرح ديوان الأخطل ص٢٦٢.

(١٠٢) ديوانه ص ٨٣ وراجع مبحث الحكمة.

(١٠٣) الديوان ١٩٧.

(١٠٤) ديوانها ص ٤٩ ط دار الاندلس.

التى يقول فيها(١٠٥):

٥ - فرحنا وما كدنا نروح عشية
وقيل ألا لا حى فى الدار فاذهبا

٦ - كأنا ورحلينا على أخدرية
نحوص تبارى طاوى الكشح أحقبا

٧ - أتنا عهاد الأرض يرتعيانها
من الصيف حتى أنسلا وتقوبا

٨ - يرفان نضاخا إذا ما أعانه
ندى الليل مج الماء ريان معشبا

٩ - بوسمية قفر كأن رياضها
كسين من النوار وشيا مذهبا

١٠ - فكانا بها حتى إذا رسخ الندى
ولم ترد إلا غائرا متصبصبا

١١ - وشفشف حر القيظ كل بقيه
من النبت إلا سيكرانا وحلبا

---

(١٠٥) الديوان ٢٢٦ وما بعدها.

ب٧ : أتنا : أقاما. العهاد : المطر. تقوبا : تسقط الشعر عند سمنها، يقال : قوب للمواضع التى سقط منها الشعر.

ب٨ : يرفان : يأكلان ويتناولان بجحافلهما. نضاخا : بقلا كثيرا.

ب١٠ : رسخ : دخل فى الأرض. غائر : أى عاد فى الأرض. متصبصب : قليل.

ب١١ : شفشف : أيبس وغير. السيكران والحلب : نبتان تدوم خضرتهما فى القيظ.

١٢ - وظل بأحزان الأجيد يذودها
وقد لبسا يوما من الصيف صَيْهَبا

١٣ - إذا ما أرادت وجهة لا يريدها
أضر بها حتى تلين وتلغبا

١٤ - كزوج الجموح ناشطته فراده
الشقاق عليها بعدة وتغضبا

١٥ - شموس إذا ما زارها أجمت له
سنابك رجليها فعند وحببا

١٦ - ولم يدر حتى أدبرت وهو راتع
فلما رآها جاهدته وأهدبا

١٧ - مذكية تنباع قدما إذا جرت
وتخلط تقريبا إذا هو قربا

١٨ - إذا قطعت داوية بسطت له
من الأرض شأوا بعد ذلك مغربا

١٩ - فأوردها لما انجلى الليل أودنا
فضى كن للجون الخواتم مشربا

---

ب١٢ : الأحزان : جمع حزن، وهو ما ارتفع من الأرض. الأجيد : موضع. لبسا : أتيا، أى دخلا في هذا الموضع. صهيب : مكان شديد الحر.

ب١٧ : تنباع : تذهب وتنبسط في الغلو.

ب١٨ : مغرب : بعيد، ويريد : المتسع من الأرض.

ب١٩ : الفضية : الماء المستنقع. الجون : الحمر تضرب الوانها إلى السواد.

٢٠ - ترى لسراج الليل فيه منارة

تخايل وضاحا إذا لاح مغربا

٢١ - فصادفن مشبوح الأشاجع قد طوى

من الجوع حتى عاد شربا محنبا

٢٢ - يصيد لأولاد له قل ما غدا

مذ اجتمعوا إلا صعاليك سغبا

٢٣ - فأمهلها حتي إذا ما تغمرت

وقاربتنا لدى اكلان وركبا

٢٤ - وقام بإحدى ركبتيه ولم يقم

بركبته الأخرى على الشق أنكبا

٢٥ - ومال على كبداء ذات أسرة

نزيعة نبع ترسل السهم متعبا

٢٦ - إذا الوتر المحبوك حن حبته

يجاوبه من عودها ما تغيبا

---

ب٢٠ : سراج الليل : القمر فيه يضئ فى الماء من شدة صفائه . وضاحا : القمر . المغرب : الشديد البياض .

ب٢١ : المحنب : المعوج .

ب٢٣ : اكلان : اجتمع وتقبض . ركب : أى ركب السهم فى الوتر .

ب٢٥ : كبداء : نوق غليظة الوسط . أسرة : طرائق فيها خطوط تخالف لونها .

ب٢٦ : ما تغيبا : أى ما كان داخل العود .

٢٧ - فلمـــا رمى لـم يغن شـيـــئـــا ولا ترى
كـحـبـصـه من سـهـمـه حين أنضـبـا
٢٨ - وأتبـعـهـا عـينين قـد كـحلتـهـمـا
سنابكهـا ثورا من القـاع أصـهـبـا

وقصيدته فى وصف البرق متأثر فيها بمعلقة امرئ القيس.

وقد يتأثر بمثل جاهلى كما فى قوله(١٠٦):

دعـا بالبـقـعـة الأمناء يومـا    جـذيمة ينتحى عـصـبـا ثمينا
فطاوع نفـسـه وعـصى قـصـيـرا    وكـان يقـول لو نفع اليـقـينا

فالمثل (لو يطاع لقصير أمر) وقصته واضحان.

❒ ❒ ❒

ب٢٧: أنضب وأنبض: إذا جذب الوتر ثم أرسله.

ب٢٨: يريد: كحلت عينه بما أثارت من الغبار. والثور: ما أثار به من الغبار فسماه بالمصدر. أصهبا: يريد الغبار فى لونه صهبة.

(١٠٦) الديوان ٢٦٩.

# الفصل الثانى

## السمات الفنية فى شعر عدى

# السمات الفنية فى شعر عدى

## ١ - من حيث بناء القصيدة:

لم يخرج «عدى» فى بناء قصيدته عن النمط المألوف - غالبا - ، إذ يبدأ بوقوف على الأطلال أو نسيب[١]:

لمن الدار كــعنوان الكتـــاب    هاجت الشـوق وعـيت بالجـواب

وقوله[٢]:

شطت بجـارتك النوى فـتـحـمل    ونـاتـك بـعـــد مـــودة وتـدلـل

وقوله[٣]:

بانـت سـعــاد وليس الود ينصـرم    وداخل الهـم مـا لـم تمضـه سـقـم

أو بحديث عن الشيب[٤]:

عـلانى الشيـب واشـتـعل اشـتـعالا    وقــد غــشى المفــارق والقــذالا

أو سهاده وأرقه لكثرة همومه[٥]:

منع النوم طارقــات الهـــموم    وأسى وادكـــار خطب قـــديم

---

(١) الديوان ٤١.
(٢) نفسه ٦٠.
(٣) نفسه ١١٥.
(٤) نفسه ١٠٨.
(٥) نفسه ١٣٦.

وأحيانا يأتى الوقوف على الأطلال فى غير المطلع، بل بدءا من البيت رقم ( ٣٠ ) كما فى قصيدته الثالثة التى بدأها بقوله(٦):

شطت بجارتك النوى فتحمل  ونأتك بعد مودة وتدلل

ثم يتناساها ويحمل همه على «عذافر» يهيج النعام... إلخ.

ثم يأتى الوقوف على الأطلال، يقول:

فهل أنت منصرف فتنظر ما الذى  أبقى الحوادث من رسوم المنزل

ويخلص الشاعر من غرض إلى آخر - غالبا - بقوله: [ دع ذا] كما فى قوله(٧):

فدع ذا ولكن هل ترى ضوء بارق  . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وأما ختم القصيدة فقد يأتى محكما بمثابة قفل جيد، كما فى قوله(٨):

نعمى من الله زاد المسلمين بها  تقى وكانت بحمد الله عرفانا

فما أجمل أن تختتم القصيدة بالحمد والعرفان.

وقوله(٩):

أحبر قولا لن يحبر مثله  له صاحب غيرى ولو كان مغربا
قوافى لو كانت من البز لم تبع  ولم تكس إلا ذا تمام مجربا
ثناء امرئ إن نال خيرا جزى به  وليس على ما فاته متحوبا

---

(٦) نفسه ٦٠.  (٧) نفسه ٢٢٣.
(٨) الديوان ١٧٤.  (٩) نفسه/ ٢٣٠، ٢٣١.

فهو ختم جيد كذلك.

وقوله خاتما مدحته للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز[١٠]:

فنعم إمام القوم إذ كان غازيا ونعم الفتى فى أهله والمسافر

فبعد أن استعرض مناقبه أثنى عليه ثناء عاما.

وقوله خاتما إحدى مدائحه[١١]:

فهذا ثنائى صادقا غير كاذب عليهم، ومن لم يقض بالحق يندم

وقوله فى مدحه[١٢]:

فزادهم ربهم خيرا وفضلهم بخير ما فضل السلطان والأمم

وقال أيضا[١٣]:

فصدق مدحتى وأجز كريما إذا ما عف عن بلد أطالا

**٢ - بين القصد والغلو :**

فى شعر عدى ولا سيما المدح - مبالغات كثيرة، وقد اتخذت صورا متعددة:

فقد يستخدم فى معرض وصف ممدوحه صيغة التفضيل [ أفعل ]، فممدوحه هو الأفضل، والأشجع، والأتقى، والأعدل.

وتارة أخرى يقارن بينه وبين من عداه، فيتضاءلون، أو يصرح بأنه

---

(١٠) نفسه ٢٠٣.

(١١) نفسه ١٣٥.

(١٢) نفسه ١٢٠.

(١٣) نفسه ١١٤.

جمع كل الفضائل، أو أنه غلب الناس سماحة وفضلا، أو أنه كامل الأخلاق.

وقد يستخدم أسلوب الاستدارة [النفى والتفضيل]، أو صيغ المبالغة، أو يؤكد بالمؤكدات المعروفة وينفى الصفة عمن دونه، يقول(١٤):

قرم، أغر، تبري الأعزة عنده متواضعين عظيمهم كالأصبل

ويقول(١٥):

هو الفتى كله مجدا ومكرمة وكل أخلاقه الخيرات قد كملا

وقال(١٦):

وأصبت فى أرض العدو مصيبة بلغت أقاصى غورها ونجادها
نصرا وظفرا ما تناول مثله أحد من الخلفاء كان أرادها
وإذا نشرت له الثناء وجدته جمع المكارم طرفها وتلادها
غلب المساميح الوليد سماحة وكفى قريشا ما ينوب وسادها

إلى قوله:

وإذا جرت خيل تبادر غاية فالسابق الجائى يقود قيادها

وهو ختم جيد للقصيدة، وقد حذف المبتدأ كأنه صار معلوما لكل أحد، أى: فهو السابق الجائى.

---

(١٤) نفسه/ ٧٢.

(١٥) نفسه/ ٧٩.

(١٦) نفسه ٩٢/ ٩٣.

وقال[١٧]:

أتت عـــمـــرا فـــلاقت من نداه ... سـجـال الخـيـر إن له سـجـالا

وقال[١٨]:

ألست إذا نسـبت فـتى قـريش ... وأكـرمـهـا وأفـضلهـا رجـالا

وقال – مستخدما أسلوب الاستدارة –[١٩]:

ومـاذا الموج يطرح سـاحـلاه ... بغـواصيـه طرحـا حين سـالا

باجـود من أبى حـفص إذا مـا ... أتتـه العـيس تختـرق النقـالا

وقال فيها:

هو القـرم الفـحـيل إذا قـريش ... ليـوم حـفـيظة عـدوا الفـحـالا

وقال[٢٠]:

أغـرُّ، أرْوَعُ، بهلول، أخـو ثقـة ... حـلاحل من ثراه الليل والكرم

وقوله (من ثراه) قال ثعلب: أى من شيمته وطبعه، وأصل الثرى: التراب الندى. وأنا أرى أن أصل الكلمة هو مقصود الشاعر هنا.

وقال[٢١]:

الجـامع الحلم الأصـيل وسـؤددا ... غـمـرًا يعـاش به وحكمـة حـازم

٣ - ألوان البديع.

---

(١٧) نفسه ١١٢.

(١٨) نفسه ١١٢.

(١٩) نفسه ١١٣، ١١٤.

(٢٠) نفسه ١١٩.

(٢١) نفسه ١٢٦.

ويأتى **الطباق** على رأسها - وإن كان قليلا - كما فى قوله[٢٢]:

أطفأت نيران العدو وأوقدت    نار قدحت براحتيك زنادها

وقوله[٢٣]:

وتنكرت كل التنكر بعدنا    والأرض تعرف تلعها وجمادها

وقوله[٢٤]:

قد كان أهلك مرة لك زينة    فاستبدلوا بدلا ولم تستبدلى

وقوله[٢٥]:

بيضاء تستلب الرجال عقولهم    عظمت روادفها ودق حشاها

وقوله[٢٦]:

وسنان أقصده النعاس فرنقت    فى عينه سنة وليس بنائم

وقوله[٢٧]:

يصطاد يقظان الرجال حديثها    وتطير لذتها بروح النائم

وقوله[٢٨]:

جزعت أن شت صرف الحى وانفرقوا
وأجمعوا البين بالرهن الذى علقوا

---

(٢٢) نفسه ٩٤.

(٢٣) نفسه ٨٣.

(٢٤) نفسه ٦٩.

(٢٥) نفسه ٩٧.

(٢٦) نفسه ١٢٢.

(٢٧) نفسه ١٢٣.

(٢٨) نفسه ١٤٤.

وقوله(٢٩):

**تصطاد** بهجتها المعلل بالصبا      عرضا فتقصده ولن **تصطادها**

وقد تكرر حرف الصاد فى البيت أربع مرات.

وقوله(٣٠):

والدهر **يفرق** بين كل جماعة      **ويلف** بعد تباعد وتناء

وغير ذلك.

* ومنه «الجناس» بأنواعه كقوله(٣١):

**لم** تزدك الدار إلا طربا      **والصبا** غير شبيه **بالصواب**

* ومنه **التوشيح أو التصدير** وقد يسمى «التكرار النغمى» ومنه(٣٢):

**فذاك من أجدر الأشياء لو وألت**      نفس من الموت والآفات أن **يئلا**

وقال(٣٣):

**وأعارها** الحدثان منك مودة      وأعير غيرك ودها وهواها

وقال(٣٤):

وقد بدلت بعد الجهل حلما      وبعد اللهو فاسترض **بدلت**

وهو كثير فى الديوان. وذلك كله داخل تحت التكرار.

---

(٢٩) نفسه ٨٣.

(٣٠) نفسه ١٦٣.

(٣١) نفسه ٤١.

(٣٢) نفسه ٧٥.

(٣٣) نفسه ٩٦.

(٣٤) نفسه ١٠٨.

*** تكرار حرفي.**

وهناك حروف معينة تكررت في مواقف تتطلبها كـ :

- الضاد، ذلك الحرف الذى يفيد تكراره تفخيم الموقف، وذلك كقوله[٣٥]:

ولرب واضحة الجبين خريدة بيضاء قد ضربت بها أوتادها

فتكرار الضاد مع الراء مناسب لمعنى ضرب الأوتاد.

- السين، وذلك فى مثل قوله[٣٦]:

وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

فقد تكررت أربع مرات فى جو النعاس والسنة فكان ملائما كل الملاءمة للسكون والصمت.

- الصاد، وذلك فى مثل قوله[٣٧]:

تصطاد بهجتها المعلل بالصبا عرضا فتقصده ولن يصطادها

وقد يكون التكرار لحروف كـ [لا ... إلا دون] مثل[٣٨]:

لا مقدم كان إلا دون مقدمه ولا المنافع إلا دون مانفعا

أو قوله (لم.. ولا.. ولا) مثل[٣٩]:

فلم يكونوا غداة الزحف أكثرهم فى الصف صفا ولا فى الخيل فرسانا

(٣٥) نفسه ٨٣. (٣٦) نفسه ١٢٢.
(٣٧) نفسه ٨٣. (٣٨) نفسه ٢٢٠.
(٣٩) نفسه ١٧١.

ولا بصيرة أمر يهتدون به ... كالصبح يعرفه من كان يقظانا

أو [وما .. ولا] مثل(٤٠):

وما يزيدونها عرضا وإن أكلت ... منهم كثيرا ولا ريا ولا شبعا

وما ترى ميتا يحيا فنساله ... ولا الشباب إلى ذى شيبة رجعا

وما يؤخر موتا عاجلا هرب ... ولا تعرض بأس زاده سرعا

أو [إذا] مثل(٤١):

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خناصرة الأحص فجادها

ثم تأتى (إذا) مبدوءا بها عدد من الأبيات وإن كانت غير متتالية.

على أن التكرار قد يحدث شيئا من الثقل فى البيت كما فى قوله(٤٢):

فى آل دوية تجرى السراب بها ... إذا ترقرق ضحل القاعة العرق

إلا أن ذلك قليل جداً.

### ٤ - اللغة والألفاظ والأساليب.

استخدم عدى ألفاظا فى بعضها غرابة، ولعل ذلك هو السبب فى استشهاد المعاجم اللغوية بشعره كثيرا.. فمن ذلك:

---

(٤٠) نفسه ٢١٨.

(٤١) نفسه ٩٠ وما بعدها.

(٤٢) نفسه ١٤٥.

- (مذلعبا) بمعنى : تراب سريع، فى قوله[٤٣]:

جـــرت الريح فـــوقـــهـــا **مذلعبا** مـن أهـابـى تـرتمـى بـالـتـــــــراب

- ومنهـا : (كـاذهن) جـمـع كـاذه - بمعنى : مـؤخـر الفـخـذ، فى قوله[٤٤]:

أرن يـــعـــض **بـكـاذهـن** كانه قـــدح يظل به المناضل يغـــتلى

- ومنها : (اتلاب) بمعنى استقام، فى قوله[٤٥]:

ثـم **اتلأب** إلى زمــــام مناخـــة كـبـداء شـد بنسـعـتـيـه حـشـاها

- ومنها : (الرفل)، بمعنى : الناشئ الحدث، فى قوله[٤٦]:

وإذا الـــنـــاشـــىء **الرفل** رآهـــا لج من ذات نفســه فى التـصـابى

- ومنها : (الصمحمح)، بمعنى : الرجل الشديد، فى قوله[٤٧]:

راعـــهـم بعـــد رقـــدة رقـــدوها دعـــوة من **صمحمح** غـيـر كـاب

- ومنهـا : (الصحـصحـانى)، بمعنى : المستوى من الأرض الأملس الصلب، وذلك فى قوله[٤٨]:

تـدفع الـســيل به حـــتى جـــرى **صحصحانى** الصـحـارى والركـاب

- ومنها : (المرورات)، بمعنى : الفلاة، فى قوله[٤٩]:

---

(٤٣) نفسه ٤٩.

(٤٤) نفسه ٦٣.

(٤٥) نفسه ١٠٤.

(٤٦) نفسه ٥١.

(٤٧) نفسه ٥٢.

(٤٨) نفسه ٤٢.

(٤٩) نفسه ٤٦.

نعم قـرقـور المـروراتِ إذا غـرق الحـزان فى آل السـراب

- ومنها: (كنهور)، بمعنى: السحاب المتراكم، فى قوله(٥٠):

كـأنهن قيـاس الصيف إذ طردت كنهورا فـزحتـه الريح ربانا

- ومنها: (اكلان)، بمعنى اجتمع وتقبض، فى قوله(٥١):

فـأمهلها حتى إذا مـا تغمرت وقـاربتنا لدى اكـلأن وركـبـا

وغير ذلك، وهو كثير فى شعره، مما يدعو إلى الاستغراب، فذلك شاعر حضرى، ولكنه يميل إلى تلك الألفاظ الخشنة، وهى تتناسب مع موضوعاتها التى وردت فيها، فالملاحظ أن معظم الألفاظ الغريبة ترد في معرض وصف الطلل والنوق والحمار الوحشى وما شابه ذلك.

كما يكشف ذلك عن أن الشاعر يجمع فى شعره بين الحضارة والبداوة.

* وقد استعمل «عدى» (لدى) مضافة إلى جملة فعلية في قوله(٥٢):

فـأمهلها حتى إذا مـا تغمرت وقـاربتنا لدي اكـلأن وركـبـا

و (لدى) لا تضاف إلى جملة، وإنما تضاف إلى اسم ظاهر أو ضمير، فهى مثل (كلا، كلتا، عند، سوى، قصارى الشيء، حمادى الشيء)(٥٣). وغريب أن يسكت ثعلب والمحققان على ذلك دون تعليق.

---

(٥٠) نفسه ١٧٣. (٥١) نفسه ٢٢٩.

(٥٢) الديوان ٢٢٩.

(٥٣) راجع: حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢/ ٢٦٤، النحو الوافى/ عباس =

* وجمع عدى «قوس» على «قياس» في قوله[٥٤]:

كأنهن قياسي الصيف إذ طردت كنهورا فزحته الريح ريانا

قال ثعلب: وقياس جمع قوس، يعني قوس قزح، أي فيه أخضر وأحمر وأصفر[٥٥]. قال ابن منظور: والجمع أقوس وأقواس وأقياس - على المعاقبة، حكاها يعقوب. وقياس وقسي وقسي - بكسر القاف وضمها - كلاهما على القلب عن قووس. قال أبو عبيد: جمع القوس قياس.

* وقوله: زحته - في البيت - هي بتشديد الحاء، والرواية على الفتح دون تشديد، والأول أصح - أي بمعنى دفعته ونحته. وليس هناك زحا.

* واستعمل (قالا) بمعنى (قائلا) في قوله[٥٦]:

جواد، ليس قالا حين يؤتى لطالب حاجة أبدا: ألا لا

وقد فسرها ثعلب فقال: رجل قال الرأي، وقيل الرأي: إذا أخطأ. ومعنى البيت على ذلك غير مستقيم.. وأرى أنها بمعنى: قائلا، أي: لا يقول لمن يأتيه طالبا حاجة: لا.

ومجيء «لا» بعد «ألا» شائع في كلام العرب، غير أن عديا حين ختم بها البيت كانت ثقيلة.

واستخدم عدى «ذو» طائية في قوله[٥٧]:

---

= حسن ٣/٧٧.

(٥٤، ٥٥) الديوان ١٧٣، اللسان (قوس)، (زحح).

(٥٦) الديوان ١١٣.

(٥٧) انظر مجلة كلية اللغة العربية / جامعة أم القرى - العدد الرابع ١٤٠٧/١٤٠٩ =

حدثت أن روبعي الإبل يشتمني ... والله يصرف أقواماً عن الرشد

فإنك والشعر ذو تزجي قوافيه ... كمبتغي الصيد في عريسة الأسد

و« ذو » الطائية يستغني بها بعض قبائل طيء عن جميع الأسماء الموصولة.

**أسلوب الاستدارة.**

وهو من الأساليب التي استخدمها عدي في شعره، متأثراً بالجاهليين، كقوله(٥٨):

وماذا الموج يطرح ساحلاه ... بغواصيه طرحا حين سالا

بأجود من أبي حفص إذا ما ... أتته العيسُ تخترق النقالا

وقوله (٥٩):

فما بيضة بل أدحيتها ... ربيع تحلب أو صيف

مجللة من بنات النعا ... م بيضاء واضحة تلصف

إذا مطرت جشمت فوقها ... مخوية زفها ينطف

بأحسن منها إذا ما علا ... نقائب من حليها رفرف

**الأسلوب السردي :**

يغلب على شعر عدي الأسلوب السردي.. وأظهر ما تكون السردية

---

= بحث للدكتور عبد الله البركاتي.

(٥٨) الديوان ١١٣.

(٥٩) نفسه ٢١١.

في العد والحصر والإحصاء، كما فى قوله يمدح عمر بن عبد العزيز(٦٠):

جمعت اللواتى يحمد الله عبده ... عليها فليهنأ لك الخير واسلم

فأولهن البر، والبر غالب ... وما بك من عيب السرائر يعلم

وثانية كانت من الله نعمة ... على المسلمين إنه خير منعم

ولا يزال يعد حتى يصل إلى العاشرة:

وعاشرة أن الحلوم توابع ... لحلمك فى فصل من القول محكم

ومن هذه السردية: استخدام أفعال تدل على تعاقب الحدث، كما فى قوله يصف الحمار وأتنه(٦١) [ولبسن لونا، وشربن، راحت وراح، فظللن، فوردنه، فأتين].. فقد اتكأ الشاعر على حروف العطف من جهة، و(حتى) من جهة أخرى، والأفعال المتعاقبة من جهة ثالثة لأن المقام يقتضى السرد.

ومن أدوات السرد (إذا)، و(حتى) الزمنية، وقد استخدمهما معا كما فى القصيدة المشار إليها فى قوله:

حتى إذا اختلط الظلام ... . . . . . . . . . . .

حتى إذا رمت الهواجر فى الثرى ... . . . . . . . . . . .

ومن أدوات السرد (لما) الحينية، وهى إلى جانب تلك الوظيفة تدل على التعقيب وتدرج الأحداث، كما فى قوله يصف رحلة ظعن(٦٢):

---

(٦٠) نفسه ١٣٠، ١٣١.

(٦١) نفسه ٦٣، ٦٤.

(٦٢) نفسه ١١٧.

لما غـدا الحي من صـرخ وغـيـبـهم   من الروابى التى غـربيـهـا الكـمـم

ظـلـت . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

حتى تعرض . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وهذه السردية تأتى غالبا فى وصف الحمار الوحشى وأتنه . .

**المواضع والأماكن والبلدان**

شعر عدى زاخر بأسماء مواضع وبلدان منها :

[ الجولان – خناصرة – الأحص – المراقيد – ذكر العقاب – عالج – الجناب – اللوى – العراق – فلسطين – وادى الذئاب – المعيان – شبيكة – مطيطة – وادى أثيدة – ذو القتود – صرخ – الكمم – الذؤيب – الناعم – الستر – ضاحك – الهزيم – ألاهة – السماوة – المويقع – الجد – جوش – غباء – الغمر – الفوارع – سوى – غرّب – الغريفة ] وغير ذلك .

ولعل كثرة ذكر الأماكن عنده بسبب انتمائه إلى مدرسة « عبيد الشعر » وقد عدت هذه إحدى سماتها .

**٥ – الموسيقا :**

**أ – من حيث الوزن :**

استخدم « عدى » ثمانية أبحر فقط من بين بحور الشعر العربى المعروف، وهى : الكامل، البسيط، الطويل، الخفيف . المتقارب، الوافر، الرمل، السريع .

وديوانه يحتوى ألفا ومائة واثنين وتسعين بيتا، وهي موزعة كالآتى :

| م | البحـــر | مجموع أبياته في الديوان | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| ١ | الكامل | ٢٩٢ | ٢٤,٤٩٪ |
| ٢ | البسيط | ٢٩٢ | ٢٤,٤٩٪ |
| ٣ | الطويل | ٢٦١ | ٢١,١٨٪ |
| ٤ | الخفيف | ٢٠٦ | ١٧,٢٨٪ |
| ٥ | المتقارب | ٧٤ | ٦,٢٪ |
| ٦ | الوافر | ٤٠ | ٣,٣٪ |
| ٧ | الرمل | ٢٤ | ٢٪ |
| ٨ | السريع | ٣ | ٢٥,٪ |

وواضح من هذه الإحصائية أن كلا من بحرى [ الكامل والبسيط ] قد احتلا المقدمة، وأن مجموعهما يقارب النصف، يتلوهما الطويل فالخفيف .

يقول حازم القرطاجنى : إن « مجال الشعراء فى الكامل أفسح منه فى غيره، إلا أن الافتنان فى بعض البحور أعم من بعض، وأن أعلاها درجة فى ذلك الطويل والبسيط، يتلوهما الوافر والكامل . ويتلو الكامل والوافر عند بعض الناس الخفيف . فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف، فأما السريع والرجز ففيهما كزازة، فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد، إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء . . » .

ثم قال :

« فأما الهزج ففيه مع سذاجته حدة زائدة، فأما المجتث والمقتضب

فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما، فأما المضارع ففيه كل قبيحة »[٦٣].

وبذلك يوافق «عدى» الذوق العام عند الشعراء، مع خلاف يسير جداً فى ترتيب بحور المقدمة. فالشعراء يقدمون الطويل، وبعضهم يقدم الكامل.

**ب - القوافى .**

لم يستخدم الشاعر القافية المقيدة فى شعره، وإنما جاءت قوافيه كلها مطلقة.

وأما الحروف المستخدمة رويا عنده فهى:

الهمزة، الباء، الدال، الراء، العين، الفاء، القاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الألف، اللينة والمقصورة..

وهي ثلاثة عشر حرفا.. وتأتى الميم فى المرتبة الأولي، تليها اللام، فالراء، فالباء، فالهمزة، فالعين، فالفاء، فالدال والنون، فالهاء، فالقاف، فالألف اللينة والمقصورة.

وهو فى ذلك - أيضا - يوافق الذوق العام عند الشعراء.

**جـ - الموسيقا الداخلية .**

حرص الشعراء منذ الجاهلية على التصريع فى مطلع القصيدة، حتى يدل آخر الصدر علي آخر العجز، تنبيها على القافية.

---

(٦٣) منهاج البلغاء ٢٦٨.

وبعضهم يصرع داخل القصيدة أكثر من مرة.

وبالنظر في ديوان عدى نجد أن عدد القصائد التى صرع مطلعها ثلاث وعشرون، في حين جاءت ست غير مصرعة، من بينها واحدة ضاع مطلعها.

أما التصريع الداخلى فهو قليل، وإن كان هناك ما يشبه التصريع في أبيات متتابعة في مثل قوله(٦٤):

نزل الوليد بها فكان **لأهلها** غيثا أغاث أنيسها وبلادها

أولا ترى أن البرية **كلها** ألقت خزائمها إليه فجادها

ولقد أراد الله إذ **ولاكها** من أمة إصلاحها ورشادها

نوع آخر من الموسيقا الداخلية يحدثه الشاعر بأن تأتى الصدور في نهاياتها - في بيتين أو أبيات - متشابهة الشكل مثل قوله(٦٥):

نصرا وظفرا ما تناول **مثله** أحد من الخلفاء كان أرادها

وإذا نشرت له الثناء **وجدته** جمع المكارم طرفها وتلادها

وقد يختم الصدر في بيتين ختما واحدا كما في قوله(٦٦):

وراعهن بوجهي **بعد جدته** شيب تفشغ في الصدغين فاشتعلا

وسار غرب شبابي **بعد جدته** كأنما كان ضيفا حل فارتحلا

---

(٦٤) الديوان ٩١.

(٦٥) نفسه ٩٢.

(٦٦) نفسه ٧٣.

فانظر قوله ( بعد جدته ) فى الصدرين، ثم لا يفوتنا هذا الإحكام الموسيقى في القافية ( فاشتعلا - فارتحلا ) .

ومثل ذلك كثير عنده، كقوله(٦٧):

. . . . . . . . . . . . . بشر يجيب الناطقين رجاها

. . . . . . . . . . . . . نعبا وتبتدر النجاء يداها

وقبلهما ختمت الأبيات بهذه الكلمات [ براها - خطاها - حماها - صلاها - بناها - يداها ] ومثل ذلك يجعل القافية محكمة .. وهو كثير عنده، ويدخل فى « لزوم ما لا يلزم » .

وقدتأتى كملة لا فائدة منها سوى إتمام الوزن أو القافية . كقوله(٦٨):

والدهر يفرق بين كل جماعة ويلف بعد تباعد وتناء

فالتباعد والتنائى واحد، وأحدهما يغنى عن الآخر.

ومن عيوب القافية : الإيطاء، وهو تكرار الكلمة فى قافية لم يفصل بينهما إلا أبيات قليلة، حددها بعضهم بسبعة أبيات . قال الفراء : « إنما يواطئ الشاعر من عى »(٦٩).

وقد وقعت على إيطاء لعدى فى قوله(٧٠):

---

( ٦٧ ) نفسه ١٠٢ .

( ٦٨ ) نفسه ١٦٣ .

( ٦٩ ) العمدة ١ /١٤٧ .

( ٧٠ ) الديوان ١٩٣، ١٩٤ .

١٦- فلمــــا ظننا أنه نازل بنا ‏ ضربناه وولیناه جمعا عرمرما

وبعده بخمسة أبيات :

**٢١- شوازب كالعقبان تدمى نحورها** ‏ نرد بها عنا الخميس العرمرما

**وله أيضا**[٧١]:

٣- على أخدرى لحمه بسراته ‏ مذكى فتاء من ثلاث له شرب

٤- فلاهن بالبهمى وإياه إذ شتا ‏ جنوب إراش فاللهالة فالعجب

٥- شباطا وكانونين حتى تعذرت ‏ عليهن فى نيسان باقية شرب

□ □ □

**٦ - الصور .**

لعدى صور حازت إعجاب النقاد كما سيرد بعد، ومنها قوله[٧٢]:

وكـــأنهـــا بين النســـاء أعـــارها ‏ عـــينيـــه أحـــور فى جـــآذر جـــاسم

ومن صوره الطريفة: تلك التى تحدث فيها عن الظبية البكر، وهى تسوق ابنها، متتبعة مواطن العشب، متخلفة عن السرب. وفيها كانت دقته الواضحة فى تحديد عمر هذا الصغير[٧٣]:

**تزجى أغن كـــأن إبرة روقـــه** ‏ قلم أصـــاب من الدواة مـــدادها

---

(٧١) نفسه ٢٤٥ (ذيل الديوان).

(٧٢) نفسه.

(٧٣) الديوان ٨٥.

ومنها صورة الحمامة التى أوردناها فى معرض الوصف.

ومن تشبيهاته اللطيفة قوله(٧٤):

كـان قـرادى زوره طبـعـتـهـمـا  بطين من الجـولان كـتـاب أعـجـم

كـــأن زرور القـــبطرية علقت  بنادكـــهـــا منه بجـــذع مـــقـــوم

فقد شبه حلمتى الثديين بهذا التشبيه، لأنهما لطيفان، كأنهما فى صدره أثر طين خاتم، ختمه بعض كتاب العجم. وإنما خصهم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة.

وقال التبريزى: وطين الجولان إلي السواد.

وقال صاحب الاقتضاب: الجولان اسم للطين الذى يطبع به(٧٥).

❒ ❒ ❒

---

(٧٤) الديوان ١٣٣، والحيوان للجاحظ ٤ /٣٣٧، وفى رواية [صدره] بدلا من [زوره]، والضمير فيهما عائد إلى الرجل الممدوح.

(٧٥) الحماسة ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢، قال فى الهامش: وتروى لملحة الجرمى، والممدوح هو عمر بن هبيرة. والقبطرية: ضرب من الثياب، (حماسة أبى تمام / شرح التبريزى - تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان - ط جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٩٨١ / ١٤٠١.

# الفصل الثالث

## مدرستـه الشعريـة

# مدرسته الشعرية

كما يفترق الشعراء «في بواعث الشعر كذلك يفترقون في التعبير عما أثار تلك البواعث، بحسب أمزجتهم وإحساسهم وثقافتهم....

ومن هنا تباينت أساليب التعبير عن التجارب الشعورية، وتباينت أسباب معالجتها وطريقتها والنظر إلى تلك التجارب وتقديرها، فكان كثير من الشعراء يهذبون شعرهم ويصقلونه....»[١].

أمثال هؤلاء أطلق عليهم «عبيد الشعر». قال الأصمعي: «زهير والحطيئة - وأشباههما - عبيد الشعر»[٢].

وعبيد الشعر: هم أولئك الشعراء الذين كانوا يتخذون الشعر صناعة لهم، ينصرفون إليها مهذبين ومنقّحين، يدافعون طبعهم، ويتأنون في نظم الشعر[٣]، ويتأنقون في صوغه، ولا يقولونه ارتجالا، وإنما يتعملون فيه، ويقلبونه على وجوهه المختلفة، ينفون منه الغث، ويختارون له جيد اللفظ والمعنى[٤].

وأعلام هذه المدرسة: أوس بن حجر، الطفيل الغنوي، زهير بن أبي

---

(١) مواقف في الأدب والنقد. د/ عبد الجبار المطلبي ص١٩٦.

(٢) راجع: البيان والتبيين ٢/١٣، الشعر والشعراء ١/٨١، ٨٢، العمدة ١/١٣٣.

(٣) فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر. د/ محمد لطفي الضباغ ص٧.

(٤) النابغة الذبياني. د/ عمر الدسوقي ١٩٢.

سلمى، كعب ابنه، والحطيئة القائل:

« خير الشعر الحولى المنقح المحكك ».

وذكر الأصمعي منهم: النابغة الذبياني والأعشى[٥].

وابن رشيق يضيف: النمر بن تولب[٦].

وبعض الشعراء يعلن ويجاهر بانتسابه إلى تلك المدرسة، فهذا « سُوَيد ابن كراع »[٧] يذكر تنقيحه شعره، ورصده لأوابده، ومراقبته لها، وسهره من أجلها قائلا:

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سربًا من الوحش نزَّعا[٨]

أكالئها حتى أعرس بعدما يكون سحيرا أو بعيدا فأهجعا[٩]

يقول ابن رشيق[١٠]:

« وللشعر صناعة وثقافة، يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان .... إلخ ».

---

(٥، ٦) العمدة ١/٣٣. والنمر بن تولب شاعر مخضرم، صحابي كريم، ت نحو ١٤ هـ. الإصابة ٣/٥٤٢.

(٧) سويد بن كراع العكلي، شاعر فارس، أموي، ت نحو ١٠٥هـ. انظر: الأغاني ١١/١٢٣.

(٨) أصادي: أداجي وأخاتل. نزع: جمع نازع وهو الغريب.

(٩) أكالئها: أراقبها. التعريس: النزول في السحر.

(١٠) العمدة ١/١١٨.

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -[١١]: «خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته».

وكل صناعة تحتاج إلى جهد ومعاودة نظر، قال الجاحظ[١٢]:

«من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا، وزمنا طويلا، يردد فيهانظرة، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد «الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا».

وكانوا يأخذون أنفسهم بذلك، ويحثون أولادهم عليه. وقد ذكر ثعلب[١٣]: أن زهيرا كان ينهى كعبا عن قول الشعر مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه فى ذلك، فعل ذلك مرارا به فغلبه، فطال ذلك عليه، فأخذه فحبسه، ثم قال: والذى أحلف به، لا تتكلم ببيت إلا ضربتك ضربا ينكلك عن ذلك. حتى إذا تمكن من الشعر، ودانت له الموهبة، ونضج شعره واستوى، ونجح فى امتحان أجراه له أباح له أن يقول الشعر.

وقال ابن قتيبة[١٤]:

---

(١١) البيان والتبيين ٢ / ١٠١.

(١٢) نفسه ٢ / ٩.

(١٣) شرح ديوان كعب ص٧، وفن الوصف فى مدرسة عبيد الشعر ص٩.

(١٤) الشعر والشعراء / المقدمة ص٧٨.

« ومن الشعراء المتكلف والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة.

ويمضي قائلا:

« والمتكلف من الشعر – وإن كان جيدا محكما – فليس به خفاء على ذوى العلم لتبينهم ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعانى حاجة إليه، وزيادة ما بالمعانى غنى عنه..

« والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه، وفى فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر ».

والتكلف بهذا المعنى الذى ذكره ابن قتيبة يختلط بفكرة الصنعة الفنية ولا يناقضها أو يجافيها، إذ كان التكلف يعنى – عنده – اقتسار الكلام ووضعه فى أماكن خاصة من الشعر ليحقق غرابة فى الفكر، أو تحسينا فى اللفظ. أو هو كما يقول الدكتور مندور والمرحوم طه إبراهيم: أن يفكر صاحبه مرتين: مرة للفكر، ومرة لتحويرها والتلطف بها حتى تسكن للبديع[١٥].

وكان ابن رشيق أدق من ابن قتيبة إذ يقول[١٦]:

---

(١٥) راجع : نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ص١٦٩ د/ عبد السلام عبد الحفيظ، والنقد المنهجى د/ مندور ٣٦، ٣٧.

(١٦) العمدة ١/١٢٩.

«والمصنوع - وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذى سموه «صنعة»، من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير «الحوليات» على وجه التنقيح والتثقيف: يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب، بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو فى ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك..».

ويقول الدكتور «زغلول سلام» معقبا على كلام «ابن قتيبة»[١٧]:

«وقد وقع ابن قتيبة فى هذا الوهم والخلط الكبير، حين قرن بين الصنعة والتكلف في مقدمة الشعر والشعراء... أما ابن رشيق ففرق بينهما تفريق الناقد البصير، ورأى فى الصنعة جمالا وحسنا، وفى التكلف قبحا. وجمال الصنعة راجع للقدرة والحذق، وقبح التكلف راجع للقصور والكذب، والتقليد. وفى الأولى يكون التلازم والتآلف، وفي الثانية يكون الاختلاف والتفاوت».

وتعريف «ابن قتيبة» للشاعر المتكلف فيه تنكب للحق والإنصاف، لأنه يعتبر العناية بالشعر وتحكيكه من أمارات التكلف،وظاهر من هذا أنه يرى أن الارتجال فى الشعر هو الطبع... ولذلك عد زهيرا والحطيئة وأشباههما من المتكلفين، وذلك فيه مجانبة للصواب[١٨].

---

(١٧) تاريخ النقد العربى ١/٥٣، ٥٤.

(١٨) ابن قتيبة.. د/ عبد الحميد سند الجندى ص ٣٤١، ٣٤٢.

وعلى الشاعر أن يراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد، ولا يضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة، فإن الإنسان مفتون بشعره، إذ هو نبات فكره، واختراع قريحته»(١٩).

لقد خلط «ابن قتيبة» بين التكلف وبين تقويم الشعر، وتثقيفه بطول التفتيش وإعادة النظر بعد النظر كما كان يفعل زهير والحطيئة(٢٠).

إن ابن قتيبة - أحيانا - يصف الشعر المطبوع بنعوت تدل على أنه يقصد المرتجل.

ولا يمكن أن نجاريه في رأيه هذا، أو أن نفهم الشاعر المطبوع هذا الفهم، إذ إن الشعر تعبير عن شعور، ومواقف الامتحان التى تختبر فيها قدرة الشاعر علي إرسال القول لا يمكن أن تكون مقياسا لصدق العاطفة أو حقيقة الشعور، لان الإحساس لا يتكلف ولا يتطلب، والإجادة في هذا المضمار إن دلت فإنما تدل على شيء واحد هو القدرة على النظم فى أى معني وفى أى غرض....(٢١).

كما يؤخذ على «ابن قتيبة» عده كثيرا من الفحول - كزهير والحطيئة وأشباههما - متكلفين.

ومن النقاد المحدثين من ذهب إلى أن الشعراء جميعا متكلفون ويقول: «... إن هؤلاء المطبوعين لم يكونوا يلغون التكلف إلغاء، كما أن

---

(١٩) مقدمة ابن خلدون ٥٤٢.

(٢٠) نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا ١٦٩.

(٢١) دراسات فى نقد الأدب العربى. د/ بدوى طبانة ١٦١ط الأنجلو - الثانية - ١٩٥٤.

هؤلاء المتكلفين لم يكونوا يلغون الطبع إلغاء، ولذلك كنا نرى أن نعمم التكلف في الشعر القديم، ونجعله على درجات، يبلغ أعلاها عند زهير وأصحابه، الذين كانوا يعملون شعرهم عملا، ويأخذون بالتفكير الدقيق، والبحث والتحقيق»(٢٢).

ونحن لا نوافق الدكتور شوقى ضيف فى ذلك، ونرتضى ما ذهب إليه ابن رشيق، فهناك من الشعر ما هو مرتجل، ومنه المثقف المجود المحكك.

وإن كثيرا من الشعراء يثقفون شعرهم ويهذبونه، ويعيدون فيه النظر ويرددونه، إلا أن من يصرح منهم بذلك قلة قليلة، وهؤلاء - بتصريحهم - عدوا من مدرسة «عبيد الشعر».

ولم تكن هذه المدرسة مقصورة على الشعر الجاهلي فحسب، وإنما ظلت تخرج أعلاما من الشعراء في كل العصور.

ففى العصر الأموى نجد «الأخطل» أحد أعلامها، فقد ذكروا أنه كان ينظم القصيدة في تسعين بيتا، ثم ما يزال يصفيها، وينتقي منها، ويحذف ما لا يروقه حتى تستقيم له فى ثلاثين بيتا، فقد عرف القدماء أنه كان يتأنى في صوغ قصائده ، مما جعلهم يشبهونه بالنابغة الذبياني الذي وصفه الأصمعى بأنه من عبيد الشعر(٢٣).

وذكروا أنه شغل ببعض قصائده حولا كاملا كزهير، غير أنه في حقيقة الأمر امتداد متطور لتلك المدرسة، فهو طموح إلى التجديد

---

(٢٢) هو الدكتور شوقى ضيف / الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٢١.

(٢٣) العمدة ١ /١٣٣، مقدمة القصيدة فى العصر الأموى ص٤٢.

والابتكار في معانيه وصوره الفنية....(٢٤).

ولعل مما ساعد شعراء بني أمية على ذلك اهتمام العلماء بالشعر الجاهلي خاصة، بالإضافة إلى انتشار الكتابة وتوافر أدواتها، مما أتاح للشعراء أن يكتبوا ويقرأوا، ويحذفوا ويضيفوا، ويستبدلوا الذى هو أجود بالذى هو أقل.

ومنهم: «ذو الرمة» القائل:

وشعر قد أرقت له غريب أجنبه المساند والمحالا
فبت أقيمه وأقد منه قوافي لا أعد لها مثالا

وفي العصور التالية نجد البحتري، ومنصور النمري الذى لم يكن يخرج قصيدته إلا بعد شهر حتى يمحو بيتا ويجدد آخر(٢٥).

وليس ذلك مقصورا على الشعر العربي، فهذا «فرجيل» كان كثير العناية بشعره، كثير الأناة، حتى كان نظم البيت الواحد يستغرق عنده أحيانا يوما كاملا ، فأمضي – لهذا السبب – حوالى إحدى عشرة سنة في ملحمته «الإنيادة»، ولو لم يعجله الموت لقضى ثلاثة أعوام أخري في تهذيبها وصقلها..»(٢٦).

إلى هذه المدرسة – مدرسة عبيد الشعر – ينتمي شاعرنا «عدى بن الرقاع» وإنما عُدّ منها، وورد ذكره لدي النقاد القدماء – في معرض حديثهم

(٢٤) في الشعر الأموى د/ يوسف خليف ٧٣، ٧٤.

(٢٥) الموشح ٢٨٩.

(٢٦) مواقف في الأدب والنقد ١٦٧ وقد نقل عن مرجع أجنبي.

عن الطبع والتكلف وما اشبه ذلك - لقوله:

وقصيدة قد بت أجمع شملها ... حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته ... كيما يقيم ثقاف منآدها

فعدى يصرح بأنه يبيت الليالى ينظر فى القصيدة، يقوم ما فيها من ميل وسناد، كما يفعل صاحب الرمح برمحه من تشذيب..

وكان « الأصمعي » يقول لأصحابه: ألا انشدكم حولية عدى، وهى التى أولها:

أهم سرى أم عاد للعين عائر ... أم انتابنا من آخر الليل زائر [٢٧]

فقد أطلق عليها « حولية » تشبيها لها بحوليات زهير، أو لأنها استغرقت منه حولا كريتا.

وذكروا أن عديا بينما كان ينشد قصيدته تلك فى مجلس « الوليد » وذكر البيت الأول، قال له كثير:

« لا جرم أن الايام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها... إلخ[٢٨].

ومع أن كثيرا أخذ على « عدى » تثقيفه لشعره، وإعادة نظره فيه، فربما كان هو أيضا يجود شعره وينقحه، إلا أنه لم يفصح عن ذلك. وكان « عدى » بتصريحه هذا صادقا، شجاعا..

---

(٢٧) الديوان ص ١٩٧ من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز.

(٢٨) راجع ذلك فى مبحث (عدى وشعراء عصره).

ولم يتوافر لدينا شيء عن انقطاع عدى إلى قصائده سوى ما صرح به في بيتيه السابقين، اللذين ذكر فيهما تثقيفه وتجويده.

لم يكن هذا التثقيف غريبا على شاعر الدولة الذي عاصر خلفاءها، وتأثر بطراز حضارتها، وتأنق الحياة التى أصبحت سمة من سمات العصر،.... وربما كان هذا التثقيف سببا من أسباب الاستشهاد الكثير ببعض أبياته التى أصبحت مضربا للمثل، ومدعاة للاستشهاد في مواضع مختلفة...»[٢٩].

يقول الشاعر صلاح عبد الصبور[٣٠]:

«ومن سوء حظ الشعر العربى أن نظرية «الإلهام» لم تكد تثبت فى الوجدان العربى حتى زاحمتها نظرية أخرى هى نظرية «الصنعة الشعرية»، وأصبح الشعر صنعة كمعظم الصنائع، يحتاج قائله إلى دربة ومران ومعاودة نظر، هذه النظرية التى عبر عنها ففتح باب صياغتها النقدية الشاعر الأموى «عدى بن الرقاع العاملى» فى قوله:

وقصيدة قد بت . . . . . . . . . . . . . . . البيتين

فهو يكاشفنا أنه يجمع شتات أبيات القصيدة بيتا إلى بيت، ثم يعيد النظر فيها محاولا إقامة إعوجاجها، كما يفعل صانع الرماح حين يشذب أطراف القناة مرة بعد مرة، فإذا استوت القناة أطلقها.

«ومن الغريب أن نظرة «عدى بن الرقاع» هى الأخرى نظرة صادقة،

---

(٢٩) مقدمة الديوان ص ١٣.

(٣٠) قراءة جديدة لشعرنا القديم ص ١٤، ١٥.

فالشاعر لا يكاشف الناس بأول ما يجيش به فؤاده، بل هو يلجأ إلى خبرته، وإلى معرفته النقدية السابقة بأوجه تحسين القول. وتستيقظ فيه ملكة نقدية غذتها بدائع تراثه الشعرى، وحددت أصولها، فهو عندئذ يعيد عرض قصيدته أمام تراثه وتراث لغته الشعريين».

نعم، إنه في هذه الحالة شاعر أولا، وناقد ثانيا، يعرض شعره على ذوقه النقدى، فإن راقه وإلا حذف واستبدل.

وهذه شهادة أحد خبراء الصنعة، وأهل الذكر، انظر قوله: «فالشاعر لا يكاشف الناس بأول ما يجيش به فؤاده....» يوحي لك أنه أيضا يفعل ذلك.

ولكن قوله: «وأصبح الشعر صناعة...» غير دقيق.

ذلك أن الشعر - كما أسلفنا - من البداية صناعة، وهى كذلك منذ أوس بن حجر، وطفيل الغنوى، وزهير، وغيرهم. ولأنها صنعة تطلبت التجويد والتنميق منذ هؤلاء.

ثم رتب على ذلك قوله: «ففتح باب صياغتها النقدية الشاعر الأموى...».

والأمر قديم كما أسلفنا، إلا أن النقد لم تكن معالمه قد اتضحت بصورة منظمة إلا فيما بعد.

على كل فإن «عدى بن الرقاع» أحد أعلام هذه المدرسة، بتصريحه هذا من جهة، وبتكسبه بشعره من جهة أخرى، فقد لوحظ أن جل شعراء المدرسة كانوا متكسبين.

والشاعر فى هذه المدرسة مثله «كمثل الرسام المتمهل الذى يستوعب من يجلس قبالته ليرسمه، فينظر إليه كما هو في لحظة جلوسه عندئذ، وهو يحاول أيضا أن يراه كما كان فى حياته الأولى، تساعده على ذلك صور له كانت قد رسمتها أيدى رسامين آخرين قبله خلال أوقات متفرقة»[٣١].

وقد أجمل أحد الباحثين خصائص هذه المدرسة في نقاط منها[٣٢]:

١ - كثرة الصور البيانية التى تعتمد على خيال، شديدة التأثر بالحس.

٢ - العناية بالوصف وإيثار الألفاظ الضخمة الغريبة.

٣ - الإكثار من أسماء الأمكنة.

٤ - تأثر بعضهم ببعض..

وتكاد تكون هذه الخصائص كلها واضحة فى شعر عدى، ولا سيما الثلاث الأخيرة. وقد فصلنا القول فى ذلك.

❑ ❑ ❑

---

(٣١) مواقف فى ألادب والنقد ص١٩٧.

(٣٢) فن الوصف فى مدرسة عبيد الشعر ١٧-٢٠.

# الفصل الرابع

## عدى فى ميزان النقاد

## عدى فى ميزان النقاد

**أولا : إشادتهم بشعره.**

* قال « ابن قتيبة » : وكان شاعرا محسنا، وهو أحسن من وصف ظبية وصفا، فقال :

| | |
|---|---|
| كالظبية البكر الفريدة ترتعى | من أرضها قفراتها وعهادها |
| خضبت لها عقد البراق جبينها | من عركها علجانها وعرادها |
| كالزين فى وجه العروس تبدلت | بعد الحياء فلا عبت أرآدها |
| تزجى أغن كأن إبرة روقه | قلم أصاب من الدواة مدادها |

* وعده « ابن سلام » فى الطبقة السابعة من الإسلاميين مع المتوكل الليثى، ويزيد بن مفرغ الحميرى، وزياد الأعجم...

وذكر له أبياتا من قصيدة له بدأها بقوله :

تزجى أغن .......... البيت

[ ويلاحظ أنها نفس الأبيات التى أوردها ابن قتيبة.. ويستحسنها كثير من النقاد ].

---

( ١ ) الشعر والشعراء ٦١٨.

( ٢ ) طبقات الشعراء ٢٠٩-٢١٣ ط دار الكتب العلمية - بيروت.

( ٣ ) المصون فى الأدب ١٤.

* وقال العسكرى:

أحسن ما قيل فى العين: قول عدى بن الرقاع:

وكـأنهـا بين النسـاء أعـارها ... عـينيـه أحـور في جـآذر جـاسم
وسنان أقـصـده النعـاس فـرنقت ... فـى عـيـنـه سنـة وليس بنائم

* وقال الشهاب الخفاجي[٤]:

ومن التشبيه المختار قول عدى بن الرقاع العاملي: وذكر البيتين السابقين.

* وقال «القاضى الجرجانى» تحت عنوان «الحشو فى الشعر»[٥]:

وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر، ونواظر الغزلان، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ، ومتي جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس:

تصـد وتبـدى عن أسـيل وتتـقى ... بناظرة من وحش وجـرة مطفل

أو قابلته بقول عدى بن الرقاع:

**وكـأنهـا بين النسـاء أعـارها** ... عـينيـه أحـور من جـآ ذر جـاسم

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قربهما منه، والمعنى واحد، وكلاهما خال من الصنعة، بعيد عن البديع، إلا ما حسن به من

---

(٤) سر الفصاحة ٢٤٨.

(٥) الوساطة ٣١.

الاستعارة اللطيفة التى كسته هذه البهجة.

هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حذف لاستغنى عنه، وما لا فائدة فى ذكره، لأن امرأ القيس قال: «من وحش وجرة»، وعديا قال: «من جآذر جاسم». ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما فى إتمام النظم.

إلى أن يقول:

«وأما ما تمم به (عدى) الوصف، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على إثر هذا البيت:

وسنان أقصده النعاس فرنقت  في عينه سنة وليس بنائم

فقد زاد به على كل من تقدم، وسبق بفضله جميع من تأخر، ولو قلت: اقتطع هذا المعنى فصار له، وحظر على الشعراء ادعاء الشرك فيه لم أرنى بعدت عن الحق، ولا جانبت الصدق».

* وضمن وقفة الأصمعى مع شعر النابغة تناول تشبيهه الذى يقول فيه:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها  نظر السقيم إلى وجوه العود

من زاويتين:

عامة ثم خاصة، فهو يستحسن - بصفة عامة - تشبيه مرض العين، إلا أنه يراه قد هجنه بذكر العلة، وتشبيه المرأة بالعليل.

ومن هنا يقدم قول عدى بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أعارها  عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت  فى عينه سنة وليس بنائم

عليه فى هذا المعنى[٦].

* وذكر الشريف المرتضى فى أماليه عن الأصمعى قال:

وفدت على الرشيد فقال لى:

أتروى كلمة عدى بن الرقاع:

عــرف الديار توهمــا فــاعــتــادها

قلت: نعم. قال: هات، فمضيت حتى إذا صرت إلى وصفه الجمل قال لى «الفضل»: ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر فى ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب!.

فقال له الرشيد:

اسكت، فالإبل هى التى أخرجتك عن دارك، واستلبت تاج ملكك، ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها أنت وقومك. فقال الفضل:

لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله!

فقال الرشيد: أخطأت. الحمد لله على النعم، ولوقلت: أستغفر الله لكنت مصيبا. ثم قال لى: امض فى أمرك، فأنشدته حتي إذا بلغت إلى قوله:

تــزجـــى أغــن كــأن إبــرة روقــــه

استوى جالسا وقال: أتحفظ فى هذا ذكرا؟

قلت: نعم، ذكرت الرواة أن الفرزدق قال: كنت فى المجلس وجرير

(٦) الجمان ٢٣١، الحلية ١/٥٧، العمدة ١/ ٢٠٥، النقد عن اللغويين فى القرن الثانى الهجرى ص٢٧٣، ٢٧٤.

إلي جانبي، فلما ابتدأ عدى في قصيدته قلت لجرير - مسرًا إليه - : هلم نسخر من هذا الشامي، فلما ذقنا كلامه يئسنا منه، فلما قال:

تزجي أغن كأن إبرة روقه . . . . . . . . . . . . . . .

وعدى كالمستريح، قال جرير: أما تراه يستلب بها مثلا! فقال الفرزدق: يا لكع، إنه يقول:

. . . . . . . . . . . . . . . قلم أصاب من الدواة مدادها

فقال جرير: كان سمعك مخبوءا في صدره! فقال لي: اسكت، شغلني سبك عن جيد الكلام، فلما بلغ إلى قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكها ... من أمة إصلاحها ورشادها

قال الأصمعي: فقال لي: ما تراه قال إذ أنشده الشاعر هذا البيت؟

فقلت: قال: كذا أراد الله. فقال الرشيد: ما كان في جلالته ليقول هذا، أحسبه قال: ما شاء الله![٧].

قلت: وكذا جاءت الرواية.

* وعد ابن أبي الأصبغ بيت عدى[٨]:

تزجي أغن كأن إبرة روقة ... قلم أصاب من الدواة مدادها

(٧) أمالي المرتضي ٢/٩-١٢، وقريب منه ما حكاه العاملي في الكشكول ٢/٩٣، وقد اقتصر على ما حكاه الفرزدق. وذكر المرزباني في معجم الشعراء ٨٦-٨٧ حسد جرير لعدى على أبيات من هذه القصيدة. وانظر كذلك: الكامل للمبرد ٨٦٧ تحقيق شاكر، الأغاني ٩/٣١٣، الشعراء ونقد الشعر د/ هند حسين طه ٧٢.

(٨) تحرير التحبير ٤٧١.

من باب «سلامة الاختراع من الاتباع» حيث قال: وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه... وكقول ابن الرقاع في تشبيه قرن الخشف: وذكر البيت.

* وقال المرتضى(٩):

أخبرني المرزباني قال: حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوى قال، قال الأصمعي «... ولا وصف أحد عيني امرأة إلا احتاج إلى قول عدى بن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا     فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أعارها     عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت     في عينه سنة وليس بنائم

* وقال الصولي(١٠):

كانت الكتب قديما يقال فيها: «وأتم نعمته عليك»، فلما قال ابن الرقاع العاملي:

صلى الإله على امرئ ودعته     وأتم نعمته عليك وزادها

زاد الكتاب على ذلك: «وزاد في إحسانه إليك».

وقد علق الشيخ شاكر على ذلك بقوله(١١):

---

(٩) نفسه ١/٥١١.

(١٠) أدب الكتاب ٧٨.

(١١) الشعر والشعراء هامش ص٦١٩.

«أليس الكتاب أحق أن يأخذوا هذا المعنى واللفظ من قوله – عز وجل –: ﴿ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيما﴾! ، فما الضرورة إلى أخذهم هذا من جاهل أو عالم بعده!! . اهـ.

* وقال الثعالبي(١٢):

لما زوج الوليد بن عبد الملك ابنه عبد العزيز بأم حكيم بنت يحيى بن الحكم – وأمها بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام – وكان يقال لها: الواصلة، لأنها وصلت الشرف بالجمال، أمهرها أربعين ألف دينار، وقال لجرير وعدى بن الرقاع: اغدوا على فقولا في عبد العزيز وأم حكيم، فغدوا عليه، وأنشده جرير قصيدة منها:

ضم الإله إليه أكرم حرة ... فى كل حالات من الأحوال

ثم قام عدى بن الرقاع فانشد:

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا

ما وارت الأستار مثلهما ... فيمن رأى منهم ومن سمعا

دام السرور له بها ولها ... وتهنآ طول الحياة معا

فقال له الوليد: لئن قلت فلقد أحسنت، وأمر له بضعف ما أمر لجرير. وعدى هذا أول من شبه الزوجين بالشمس والقمر، ومنه أخذ الشعراء هذا التشبيه وأكثروا فيه.

* وروى الأصفهانى – بسنده – عن ثعلب قال(١٣):

---

(١٢) ثمار القلوب ٢٩٩.

(١٣) الاغانى ٩/٣١٣.

قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، من أنسب الشعراء؟ قال له: أتعنى ما قلت؟. قال: إنى لست أريد من شعرك، إنما أريد من شعر غيرك.. قال: ابن الرقاع في قوله:

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

ثم قال لى: ما كان يبالى أن لم يقل بعدها شيئا.

* وقال ابن ناقيا: وفى قوله أيضا(١٤):

من وحش وجرة موشى أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

قال الأصمعي: فقلت: أما تشبيهه مرضى الطرف فحسن، إلا أنه قد هجنه بذكر العلة، وتشبيه المرأة بالعليل، وأحسن منه قول عدى بن الرقاع:

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

* وقال أبو الفرج الأصفهانى(١٥):

ينفرد عدى بن الرقاع بوصف المطية، ويقدم فيه.

* ونقل الأصفهانى أن أبا عبيدة كان يستحسن بيت عدى(١٦):

وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

ويقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه فى هذا الشعر.

---

(١٤) الجمان في تشبيهات القرآن ٢٢٧.

(١٥) الأغانى ٩/٣٠٤.

(١٦) نفسه ٩/٣٠٥.

* كما نقل عن أبي عمرو - وهو يسمع أبيات عدى - قوله[١٧]:

أحسن والله عدي بن الرقاع.

* وقال البغدادى فى قول عدى[١٨]:

يتعاوران من الغبار ملاءة ... بيضاء محكمة هما نسجاها

تطوى إذا وردا مكانا جاسيا ... وإذا السنابك أسهلت نشراها

«وهذا أحسن ما قيل فى وصف الغبار والعجاج».

* ونقل عن الأصمعى قوله[١٩]:

أحسن بيت قيل فى فترة الجفون بيت ابن الرقاع... وذكر البيتين.

* وقال الخالديان معقبين[٢٠]: ولعمرى إن بيتى ابن الرقاع هذين فى نهاية الحسن.

* وقال ابن مناذر فى عدى[٢١]:

«إنه من أشعر الناس»، وكان ابن مناذر ينحو نحوه فى شعره، ويقدمه، ويتخذه إماما.

وليس أدل على قيمة شهر «عدى» اللغوية من أن أصحاب المعاجم قد استشهدوا بشعره كثيرا.

---

(١٧) نفسه ٩/٣٠٦.

(١٨) الخزانة ٣/٢٧٧.

(١٩، ٢٠) الأشباه والنظائر ١/١٦٥.

(٢١) الأغانى ١٨/ ١٠٨، ١٠٩.

**فها هو ياقوت الحموى يستشهد بشعر «عدي» في أكثر من مائة وعشرة أبيات، وهو عدد غير قليل بالنسبة لما يستشهد به للشعراء غيره، ويدل كذلك على اهتمام «عدى» بذكر المواضع والأماكن والبلدان على نحو ما أسلفت:**

وأصحاب المعاجم اللغوية يستشهدون بشعر عدى ويوردون منه الكثير، فابن منظور استشهد له في أكثر من مائة موضع، واعتمد على بعضها صاحب تاج العروس. غير أن صاحب التاج استشهد بأكثر من ثلاثين مرة من شعر عدى لم يوردها ابن منظور. هذا فضلا عن الكتب الأخرى..

وذلك يؤكد اعتماد اللغويين على شعره، ووقوفهم على ديوانه[٢٢].

وأما النقاد المحدثون والمستشرقون:

* فيقول ر. بلاشير[٢٣]:

« ... وتقرن قصائده الغزلية - إلى حد ما - إلى قصائد شعراء الحجاز. أما وصفه فمطبوع - بوضوح - بطابع الصحراء أو السهوب التى عرفها، سواء فى مكثه القصير فيها، أو من خلال التقاليد الشعرية. فإن هذا الشاعر الحضرى يحمل فى ذاتيته آثار تأثلية بدوية، تنفجر فى فخره ومدحه اليمنيين... ».

* ويقول كارل نالينو[٢٤]:

---

(٢٢) راجع: مقدمة الديوان ص ١٦.

(٢٣) تاريخ الأدب العربى ص ٥٦١، ٥٦٢.

(٢٤) تاريخ الآداب العربية - دار المعارف - مصر.

« ... وهو من المجيدين فى المديح والنسيب الرقيق اللطيف الخالى عن تغزل شعراء الحجاز والعراق » .

* وقال الدكتور عمر فروخ[٢٥]:

« ... وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، وكان يعنى بتنقيح شعره، ثم هو حسن التشبيه، جيد القول فى الوصف، وفى الغزل مع شىء من المجون، وكان يحسن المديح والهجاء، وله طرد جيد، منه وصف بارع للحمامة... » وقد تعرضنا لقوله « ... وكان يحسن المديح والهجاء.. » سابقا .

❐ ❐ ❐

---

( ٢٥ ) تاريخ الادب العربى ١ / ٥٦٧ .

**ثانيا: مآخذهم عليه:**

* قال الآمدى[٢٦]:

ومن خطأ الشعر قول «عدى بن الرقاع» يذكر البارى - تبارك وتعالى- :

وكفك بسطة، ونداك سح      وأنت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه مرءا.. اهـ.

ونحن لا نستطيع أن نوافق الآمدى فيما ذهب إليه، فليس هناك أبيات قبل البيت المذكور يفهم منها أن الخطاب موجه إلى البارى - جل وعلا -..

وأرى أن الأقرب إلى القبول أن الشاعر يمدح رجلا، فيصفه بالكرم والجود، وأنه يفي بوعده، ولا يخالف قوله فعله.

والبيت- وحده - ليس فيه ما يفرض توجيه الخطاب إلى الله - عز وجل -.

* ونقل المرزباني - بسنده - عن أبى جعفر محمد بن موسى المنجم[٢٧]:

كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما وهو «عدى بن الرقاع» لقوله:

---

(٢٦) الموازنة ٣٩، الصناعتين ١٠٧.

(٢٧) الموشح ٣٠٠.

وعلمت حتى ما أسائل واحدا　　　عن علم واحدة لكى أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم، فإذا لم يجب أدبته، وأقبل رأس الآخر وهو «زيادة بن زيد» لقوله:

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده　　　أطال فأعلى أم تناهى فأقصرا

وهو محق فى ذلك. فأين هو من قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾، وقوله للرسول - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وقل رب زدنى علما﴾.

وقد ذكرنا - آنفا - قول كثير لعدى معلقا على هذا البيت: «كذبت ورب الكعبة.. وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن بنفسك هذا».

* وقال الشهاب الخفاجى والقاضى الجرجانى(٢٨):

إن قول عدى «جاسم» فى بيته:

وكأنها بين النساء أعارها　　　عينيه أحور من جآذر جاسم

إنما هو حشو في القافية، لا لمعنى فيها. وليس لجآذر جاسم ميزة على غيرها.

ويقول الخفاجي: وقد سألت عن ذلك جماعة ممن يخبر تلك الناحية فما وجدت عندهم فيها إلا ما عندهم فى غيرها من البلاد.. اهـ.

ولم أكن قانعا بذلك، فعدت إلى كتب الحيوان ومعاجم البلدان وغيرها لأتحقق الأمر، ووجدت ضالتى عند «ابن أبى الأصبع» الذى قال يرد

---

(٢٨) سر الفصاحة ١٥٤، الوساطة ٣١.

على الشهاب الخفاجى والقاضى الجرجانى[٢٩]:

ذكر عدى «جاسم» دون غيرها من المواضع؛ لأنها معروفة بأدم الظباء، وأدمة اللون دليل على الحرارة واليبس، وذلك مما يوجب شدة سواد العيون ونقاء بياضها. ولهذا قال «أحور»، والحور: نقاء بياض العين وشدة سوادها. فدل على أنه قصد بها إفادة هذه المعانى، لا إقامة الوزن.

* وعاب الشريف المرتضى على عدى قوله[٣٠]:

ولقــد أراد الله إذ ولاكــهــا      من أمــة إصــلاحــهــا وفــســادها

والبيت على هذه الرواية فاسد المعنى.. وقد ذكر محقق أمالى المرتضى – نقلا عن الطرائف الأدبية – أن روايته:

. . . . . . . . . . .      من أمــة إصــلاحــهــا ورشــادها

وعلى ذلك فلا عيب في البيت.

وقيل: إن عديا قال (فسادها)، والأصمعى أنشد (رشادها).

* وعاب الأصمعى قول عدى[٣١]:

لهـم راية تهـدى الجمـوع كـأنهـا      إذا خطرت فى ثعلب الرمح طائر

وقال: الراية لا تخطر، إنما تخفق، إنما يخطر الرمح. اهـ.

وفي المخصص وغيره[٣٢]: الخطر والخطران: التبختر والخيلاء، أو الرفع

---

(٢٩) تحرير التحبير ٣٩٧.

(٣٠) أمالي المرتضى ١/٥٦٧.

(٣١) الموازنة ٣٩، الديوان ٢٠٠.

(٣٢) راجع: المخصص لابن سيده – السفر السادس – المجلد ٢ ص٢٧، ٣٥، ٣٦ – =

**مرة والوضع مرة.. قالوا: والفحْل يخطر بذنبه عند الوعيد من الخيلاء، ومن المجاز: خطر الرجُل بسيفه ورمحه وقضيبه وسوطه يخطر: إذا رفعه مرة ووضعه أخرى.**

وعلى ذلك فانا أرى أن الشاعر لم يخطئ حين جعل الراية تخطر، وإنما جاء خطرها لخطر حاملها، فهو يخطر وهى تخطر بخطرانه.

وعدي هو القائل أيضا(٣٣):

| | |
|---|---|
| إذا خطرت سياطهم عليها | بخرق وانسحلن به انسحالا |

* وعقب الأصمعى على قول عدى بن الرقاع(٣٤):

| | |
|---|---|
| أتعرف الدار أم لا تعرف الطللا | أجل فهيجت الأحزان والوجلا |
| وقد أرانى بها فى عيشة عجب | والدهر بينا له حال إذ انفتلا |

قائلا:

«ليس من كلام العرب أن يقولوا: بينا كذا إذ كان كذا، إنما هو: بينا كذا كان كذا.

وبالرجوع إلى كتب النحو وجدت أن «إذ» قد تجئ لإفادة المفاجأة، بعد (بينما) أو (بينا)، واستشهدوا لذلك بقول الشاعر:

---

= تحقيق لجنة إحياء التراث العربى - دار الآفاق الجديدة - بيروت. وتاج العروس للزبيدى جـ١١/١٩٤، ١٩٥ تحقيق عبد الكريم العزباوى. ط الكويت ١٩٧٢، الصحاح للجوهرى ٢/٦٤٨ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط دار العلم للملايين.

(٣٣) الديوان ١١١.

(٣٤) الطرائف الادبية ٨١، وانظر: النقد عند اللغويين فى القرن الثانى الهجرى ص٢٢٦.

استقدر الله خيرا وارضين به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط ... إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

قالوا:

والأحسن في هذا - وأشباهه - اعتبارها حرفا معناه المفاجأة، أو حرفا زائدا لتأكيد معنى الجملة كلها، لا ظرف زمان ولا مكان(٣٥).

والصيغة واردة في أحاديث كثيرة، منها حديث جبريل الذى روى عن عمر بن الخطاب:

« بينما نحن جلوس عند النبى - صلى الله عليه وسلم - إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب.. الحديث.

وأحاديث أخرى كثيرة.

* وخطأ الأصمعي عديا في قوله عن العير والأتان(٣٦):

حتى تأوب ماء عين زغرب ... تنقى الضفادع في نقيع صراها

فالتأوب يكون ليلا أو مع الليل، قال الأصمعي: وهذا خطأ، إنما يورد العير أتنه سحرا. اهـ.

❑ ❑ ❑

(٣٥) راجع النحو الوافي / عباس حسن ٣/٨٧، ٢/٢٧٧.

(٣٦) هكذا نقله ثعلب في شرح ديوان عدى ص١٠٧.

# أهم المراجع(*)

**أولا : الكتب :**


١ – **الأخطل** – إيليا الحاوى – دار الثقافة – بيروت .

٢ – **الأغانى** – للاصفهانى – ( مصورة عن دار الكتب ) .

٣ – **أمالى المرتضى** – تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم – ط الحلبى .

٤ – **البداية والنهاية** لابن كثير ط دار الكتب العلمية – بيروت .

٥ – **بهجة المجالس وأنس المجالس** – لأبى عمر القرطبى – تحقيق محمد مرسى الخولى – ط دار الكتب العلمية .

٦ – **البيان والتبيين** للجاحظ – ط الخانجى – بتحقيق هارون .

٧ – **اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثانى الهجرى** –د/محمد مصطفى هدارة .

٨ – **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** – د/ شوقى ضيف – دار المعارف .

٩ – **التاريخ الإسلامى** – محمود شاكر – المجلد الرابع – ط المكتب الإسلامى .

١٠ – **تاريخ الشعر السياسى** – أ/ الشايب .

١١ – **تاريخ الشعر العربى** – ج٢ – د/ محمد عبد العزيز الكفراوى .


---

( * ) هناك مصادر ومراجع كثيرة كالدواوين مذكورة فى مواضعها .

١٢ – **تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى** / محمد نجيب البهبيتى دار الثقافة.

١٣ – **جمهرة أنساب العرب** / ابن حزم – ت هارون – دار المعارف.

١٤ – **حديث الأربعاء** – د/ طه حسين – دار المعارف.

١٥ – **ديوان** عدى بن الرقاع:

أ – بشرح ثعلب – تحقيق د/ نورى القيسى ود/ حاتم صالح الضامن ط المجمع العلمى العراقى بغداد ١٩٨٧.

ب – جمع وتحقيق د/ الشريف عبد الله البركاتى ٠ ط الفيصلية – السعودية.

جـ – جمع وتحقيق د/ حسن محمد نور الدين – دار الكتب العلمية.

١٦ – **الشعر الأموى** / دراسة فى التقاليد والأصالة الأدبية د/ محمد فتوح أحمد / مكتبة الشباب – القاهرة.

١٧ – **الشعر العربى بين الجمود والتطور** –د/ محمد عبد العزيز الكفراوى.

١٨ – **الشعر والشعراء** لابن قتيبة – تحقيق شاكر.

١٩ – **الشعراء ونقد الشعر** د/ هند حسين طه – ط العراق.

٢٠ – **ظاهرة التكسب فى الشعر العربى** درويش الجندى.

٢١ – **العصر الإسلامى** د/ شوقى ضيف – دار المعارف.

٢٢ - **العقد الفريد** لابن عبد ربه ط دار الكتب العلمية .

٢٣ - **العمدة** لابن رشيق - تحقيق محيى الدين عبد الحميد / دار الجيل .

٢٤ - **فن الوصف فى مدرسة عبيد الشعر** ، د/ محمد لطفى الصباغ .

٢٥ - **فى الشعر الاموى** - دراسة فى البيئات - د/ يوسف خليف - مكتبة غريب .

٢٦ - **فى الشعر السياسى** - عباس الجرارى - دار الثقافة المغرب - ط ثانية .

٢٧ - **قراءة جديدة لشعرنا القديم** - صلاح عبد الصبور - دار العودة - بيروت ط ثالثة .

٢٨ - **الكامل للمبرد** - تحقيق أحمد شاكر - ط أولى - الحلبى .

٢٩ - **مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموي** . د/ حسين عطوان - دار المعارف .

٣٠ - **مواقف فى الادب والنقد** د/ عبد الجبار المطلبى - ط العراق .

٣١ - **نصوص النظرية النقدية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين** جمع وتبويب د/ جميل سعيد ، د/ داود سلوم - ط العراق .

٣٢ - **نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا** - د/ عبد السلام عبد الحفيظ - ط دار الفكر العربى .

٣٣ - **النقد عند اللغويين فى القرن الثانى الهجرى** - سنية أحمد محمد

بغداد ١٩٧٧ .

٣٤ - **الوساطة بين المتنبى وخصومه** - القاضى الجرجانى .

**ثانيا : الدوريات .**

١ - **مجلة فصول** : المجلد الأول - العدد الرابع.

٢ - **مجلة فصول** : المجلد الرابع - العدد الثانى .

٣ - **مجلة كلية اللغة العربية** - جامعة أم القري - العدد الرابع ١٤٠٧/١٤٠٩.

# الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب الوثائق القومية
١٩٩٤/٨٧٥٣
تحريرا في ١٢/٩/١٩٩٤